

إِتِّخَافُ السَّائِغِ فِي الْفَهْمِ

بِالتَّعْلِيقِ عَلَى كِتَابِ الْعِلْمِ

لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي خَيْثَمَةَ

زُهَيْرِ بْنِ عَرَبِ النَّسَائِيِّ

المتوفى سنة ٢٣٤ هـ

تأليف

أ.د. عَارِفِ بْنِ مَزِيدِ السُّحَيْمِيِّ

إِتِّخَافُ الرَّغْبِ فِي الْفَهْرِ

بِالتَّعْلِيقِ عَلَى كِتَابِ الْعِلْمِ

لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي خَيْثَمَةَ

زُهَيْرِ بْنِ عَرَبِ النَّسَائِيِّ

المتوفى سنة ٢٣٤ هـ

تأليف

أ.د. عارف بن مزيد السُّحَيْمِي

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ الله فلا مضلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].
أَمَّا بعد:

فهذا تعليق على جزء حديثي صغير الحجم عظيم النفع في العلم، للحافظ أبي خيثمة زهير بن حرب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.
وكتب الأجزاء هي ما دُوِّن فيه حديث شخص واحد أو أحاديث جماعة في مادة واحدة.

ومؤلفه هو زهير بن حرب بن شداد النسائي، نسبة إلى مدينة كانت بخراسان يقال لها نسا، وقد ولد رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٦٠هـ) كما قال ابنه أبو بكر، وتوفي سنة (٢٣٤هـ).

وروى عن أحمد وابن إسحاق الحضرمي وإسماعيل بن أبي أويس

وإسماعيل بن عُليّة وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق بن همام
وعبد الصمد بن عبد الوارث وهشيم بن بشير ووکیع بن الجراح والوليد
بن مسلم ويحيى بن سعيد القطان وجمع من كبار الأئمة.

وأشهر تلاميذه الإمام البخاري والإمام مسلم وقد روى عنه
أكثر من ألف حديث ومائتي حديث، وروى عنه أبو داود وابن
ماجة وبقي بن مخلد ويعقوب بن شيبه الدوسي وأبو قاسم البغوي
وغيرهم من أئمة الإسلام.

وهو إمام ثقة، وثقه يحيى بن معين، وقال عنه: (يكفي قبيله).
وقال أبو حاتم الرازي: (صدوق).

وسئل أبو داود عنه فقال: (ما أحسن علمه).

وقال عنه أبو عبد الرحمن النسائي: (ثقة مأمون).

وقال الخطيب: (كان ثقة ثبتًا حافظًا متقنًا).

وكلام أهل العلم في تعديله وتوثيقه كثير جدًا.

وهذا الكتاب موضوعه في ذكر شيء من فضائل العلم وآدابه
وأخلاق أهله، واشتمل على التحذير من بعض الخصال السيئة التي
يجب على المسلم عمومًا وطالب العلم خصوصًا أن يتجنبها.

وقد كان أهل العلم يؤلفون كتب آداب طلب العلم ويولونها
عناية فائقة لما لها من أثر عظيم في مسيرة طالب العلم، فالمرء قد يُحرم
العلم بسبب عدم تأدبه بآداب طلب العلم.

ومما يدل على أهمية التزام طالب العلم بآداب طلب العلم
أمر إليك ذكر شيء منها:

أولاً: تحلي طالب العلم بالأدب مع مشايخه وأقرانه وزملائه من أسباب تحصيله للعلم، فالمعلم يجلب الطالب المؤدب ويوليه غاية العناية في النفع ويسعى في إيصال الخير إليه بكل سبيل ممكنة متى ما رآه يحسن السؤال، فيعرف كيف يسأل ومتى يسأل وفي أي وقت يسأل فهذا يجعله محبوباً عند المعلم فيوليه غاية العناية في الإجابة.

وإذا كان طالب العلم سيء خُلق ربما كان ذلك سبباً في صد أهل العلم عنه فتجده لا يعرف يسأل ويقاطع الدرس ويكثر الحركة في الدرس، فهذا قد يُحرم بركة العلم.

وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في مدارج السالكين: (فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استُجلب حرمانها بمثل قلة الأدب).

ثانياً: مما يدل على أهمية التزام طالب العلم بآداب الطلب: أنَّ طالب العلم محل نظر الناس عامة إليه، ومحل نظر طلبة العلم خاصة إليه، فالناس يراقبون أفعاله وتصرفاته بل أحياناً ربما يحاكونه وهو لا يشعر فينظرون كيف يصلي فيتأسون به فالتزامه بالأدب له أثر عظيم في غيره.

ولهذا قال ابن وهب المالكي رَحِمَهُ اللهُ: (ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه).

وكان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ يجتمع في مجلسه خمسة آلاف أو يزيدون، نحو خمسمائة يكتبون عنه العلم والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت.

ثالثًا: التزام طالب العلم بالآداب سبب لفهم العلم وضبطه.

مثال ذلك: الإنصات للدرس وعدم الشرود عنه، وعدم التفكير في المسألة التي لم يفهمها في أثناء الدرس سبب لفهم الدرس، والذي ينبغي لطالب العلم إذا استشكل مسألة أو طُرحت مسألة لم يفهمها أن يضع خطأً تحتها أو يشير إليها إشارة مباشرة ويرجع إلى درسه ولا يلتفت إلى ما أشكل عليه في أثناء درسه، فإذا استرسل في التفكير فإنه قد تطرح مسألة ولما يزل يفكر في تلك المسألة التي لم يفهمها فيفوته ما طُرِح بعد هذه المسألة.

مثال آخر: أحيانًا تتقرر في ذهن طالب العلم مسألة، فيسمع تقريرًا مخالفًا لما تقرر في ذهنه من المعلم، وقد تكون هذه المسألة من مسائل الاجتهاد التي لها حظ من النظر، فتجده يفكر في كيفية الاعتراض على المعلم بعد الدرس، وهذا يشغله عن العلم الذي يطرح أثناء تفكيره، فانظروا إلى أثر التزام الأدب في أثناء الدرس وعلاقته بفهم العلم وضبطه.

ولهذا قال يوسف بن الحسين: (بالأدب نتفهم العلم).

رابعًا: التزام طالب العلم بالأدب مظنة لمحبة الناس له وثقتهم بما يقول فيطمئنون لكلامه لأنهم يرون عليه آثار العلم وآثار التدين وآثار التمسك وحسن الخلق فيطمئنون لما يقول ويكونون قريبين منه فيسألونه عما أشكل عليهم ويكون هو أيضًا قريبًا منهم إذا رأى إقبالهم على السؤال عما ينفع.

خامسًا: الالتزام بالآداب يجعل طالب العلم يحسن التعامل مع

مشايخه وأقرانه وأهل بيته وأسرته وأثناء بحثه وحواره ونقاشه العلمي فيكون لهذا أثر في قبول الحق منه، وأما إذا كان فظاً غليظ القلب فإنه سيكون سبباً في صد الناس عما ينفعهم في دينهم.

سادساً: عدم التزام طالب العلم بآداب طلب العلم ووقوعه في مساوئ الأخلاق كحسد الأقران والغيبة والنميمة والكذب والتسلط على عباد الله وحب الرئاسة والعلو والكبر والعجب والحزبيات المقيتة، هذه كلها معاصي، والمعاصي من شؤمها أنها سبب في حرمان العلم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في الجواب الكافي: (فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تُطفئ ذلك النور).

ووكيع بن الجراح لما شكى له الشافعي سوء حفظه قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي
إذا علمنا أهمية التزام طالب العلم بآداب طلب العلم

فهناك طرق لاكتساب هذه الآداب من أهمها ما يلي:

أولاً: سؤال الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقك حسن الأدب وأن يعيذك من مساوئ الأخلاق، وقد كان من دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ» رواه مسلم.

ومعنى: لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، أي: لأكملها.

وكان من دعائه كما جاء عند الترمذي والحاكم واللفظ له بسند حسن كان يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَذْوَاءِ».

فعلى الإنسان أن يلجأ إلى الله دائماً أن يعافيه من كل بلاء ومن كل ما يحول بينه وبين طلب العلم الشرعي.

ثانياً: التعويد والممارسة ومجاهدة النفس على التخلص بالآداب الإسلامية والأخلاق الحسنة.

وقد جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم ومن يتحرى الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه» رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وحسنه الألباني.

فالنفس تحتاج إلى المجاهدة ليحصل المرء الثمرة الواردة في قول الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [العنكبوت: ٦٩]. قال محمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللَّهُ: (جاهدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت).

وهذا فيه تنبيه إلى أنَّ الإنسان إذا اتصف بصفة سيئة وجاهد نفسه فترة ولم يتغير فعليه أن يستمر في محاسبة نفسه وإن طال به الزمان.

ثالثاً: مجالسة أهل الآداب الفاضلة، فالذي يريد أن يحسن من أخلاقه السيئة عليه أن يحرص على مجالسة أصحاب الأخلاق الفاضلة.

وقد جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»، رواه أبو داود والترمذي وحسنة الألباني.

وكان بعض السلف يذهب إلى بعض مجالس أهل العلم ليهذب أخلاقه وسلوكه.

قال الأعمش سلميان بن مهران: (كانوا يأتون همام بن الحارث يتعلمون من هديه وسمته).

فالذي يجالس أهل الخير والصلاح لابد أن يستفيد من أخلاقهم. وقد قيل: (الناس كأسراب القطا يتبع بعضهم بعضاً). فالذي يجالس أهل الخير سيتبعهم، والذي يجالس أهل الشر لن يعدم سوءاً من مجالستهم.

وينبغي أن نعلم أن الأخلاق على قسمين: فطرية ومكتسبة. فالأخلاق الفطرية: هي التي يتخلق بها المرء بفطرته، فعليه أن يشكر الله جَلَّ وَعَلا عليها وأن يسعى في الثبات عليها. وهناك أخلاق مكتسبة، إما مكتسبة بمجالسة أهل الخير والصلاح، وإما بطلب العلم الذي عن طريقه يعرف الأخلاق السيئة والأخلاق الحسنة، فيأتي الخلق الحسن ويدع الخلق السيئ.

رابعاً: من طرق اكتساب الآداب: قراءة سير العلماء وتراجمهم. فالعلماء ألفوا مصنفات كثيرة في السير ومن أجلها كتاب سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ.

وألّف كتب الطبقات في تراجم أتباع المذاهب الأربعة، وكتب

الرجال، فالذي يقرأ في مثل هذه الكتب فستتقوى عزيمته في طلب العلم؛ لأنه سيقراً في سير العلماء المبرزين من جهة نشأتهم العلمية وحفظهم للقرآن وعنايتهم بالآداب وكيف كانوا يدرسون وكيف كانوا يصبرون على الأذى فلن تعدم خيراً من قراءة مثل هذه الكتب التي تعينك على سلوك شئ من آثارهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إنَّ التشبه بالكرام فلاح خامساً: محاسبة النفس على تقصيرها في حسن الأدب أو ارتكابها لمساوئ الأخلاق.

وقد قيل: (لا يكون الرجل تقيّاً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه).

سادساً: النظر في نصوص الكتاب والسنة وفي آثار حسن الخلق وفي عواقب سوء الخلق، فالذي ينظر في هذه النصوص ويوفقه الله جَلَّ وَعَلا للعمل بها ستتحسن أخلاقه إن كانت سيئة. سابعاً: قراءة كتب آداب طلب العلم.

ومن الكتب المؤلفة فيها:

- كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي.

- اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي.

- مقدمة المجموع شرح المذهب للنوي.

وقد شرحها الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

- كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم، للزرنوجي.
قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ في حلية طالب العلم:
" وقد كان العلماء السابقون يلقنون الطلاب في حلق العلم آداب
الطلب، وأدركت خبر آخر العقد في ذلك في بعض حلقات العلم في
المسجد النبوي الشريف، إذ كان بعض المدرسين فيه، يدرس طلابه
كتاب الزرنوجي (م سنة ٥٩٣ هـ) رحمه الله تعالى، المسمى: " تعليم
المتعلم طريق التعلم".

- كتاب حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد وعليه شرح
للشيخ ابن عثيمين.
- كتاب معالم في طريق طلب العلم للشيخ عبد العزيز
السدحان.

فآداب طالب العلم الآداب مودعة في هذه الكتب.
ومن كتب آداب طلب العلم: هذه الرسالة التي معنا، فقد
اشتملت على مائة وخمسة وستين حديثاً وأثراً، وفي بعض النسخ مائة
وثلاثة وستين حديثاً وأثراً، فهي من الكتب المتقدمة في ذكر فضائل
العلم وشيء من أهم الآداب المتعلقة به.
ونشرع مستعينين بالله تعالى في التعليق عليها، ونسأل الله العون
والسداد والصدق والإخلاص، إنه سميع مجيب.



المثنى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما توفيقى إلا بالله

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ
عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "اغْدُ عَالِمًا
أَوْ مُتَعَلِّمًا، وَلَا تَغْدُ بَيْنَ ذَلِكَ".

الشرح:

البسملة وقول: (وما توفيقى إلا بالله)، من عمل النساخ لا من عمل المؤلف.

وهذا الأثر إسناده منقطع لكنّ معناه صحيح.

قال: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: يعني: ابن مسعود رضي الله عنه.

قال: "اغْدُ عَالِمًا": هذا فعل أمر من الغدو، يعني: اذهب في طلب العلم، والمعنى: أقبل على العلم والسعي فيه مع بذل الوسع في ذلك حتى تكون عالماً، واحرص على أن تجتهد غاية الاجتهاد في طلب العلم حتى تصل إلى مصاف العلماء؛ لأن هذه أعلى رتبة في العلم وهي الوصول إلى هذه المنازل العلية، حتى تنال الفضل الوارد في فضل العلماء، وسيأتي معنا جملة من النصوص الواردة في فضل العلماء.

وهذا فيه تنبيه إلى أن العلم مكتسب فالعلم لا يحصل في المنام، ولا

ينال براحة الأجساد، فلا بدَّ من سلوك سبيل العلم وبذل الوسع في طلبه مع البعد عن الصوارف التي تصرفك عن العلم. فانظر كل صارف عن تحصيل العلم الشرعي فاجتنبه وانظر كل ما يعينك على العلم فافعله، وأعظم ما يعينك على العلم حضور مجالس العلم، فما آذى المسلمين في هذا الزمان إلا أنصاف المتعلمين الذين تصدروا وصُنِّفوا في مصاف العلماء وتشبهوا بالعلماء وليسوا منهم لأن هؤلاء ما درسوا على العلماء ولا ثنوا الركب على أهل العلم فإذا أردت أن تحصيل العلم فجالس العلماء أو من سار على طريقته السلفية النقية.

واحرص على شراء الكتب وعلى الرحلة في طلب العلم إن تيسرت لك وعلى البحث والكتابة والقراءة وغيرها من وسائل تحصيل العلم. والعلم يحتاج إلى سهر وبحث ومطالعة وتفريغ له فالعلماء ما وصلوا إلى هذه المراتب بالنوم والكسل، وإنما أفنوا أعمارهم بالجد والاجتهاد حتى وصلوا إلى هذه المنزلة العظيمة.

قال: (أَوْ مُتَعَلِّمًا): يعني: إذا لم تكن عالماً فاحرص على التعلم حتى تنال الفضل الوارد في طلب العلم.

وقد جاء في الحديث: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» رواه أبو داود والترمذي.

فاحرص أن تكون عالماً، وإذا لم يتيسر لك ذلك فاحرص أن تكون متعلماً، فإنَّ العلم بالتعلم، وهو طريق يوصل المرء لأن يكون عالماً، فالعالم كان متعلماً ثم ترقى حتى وصل إلى مصاف العلماء.

قال: (وَلَا تَغْدُ بَيْنَ ذَلِكَ)، يعني: بين ما سوى ذلك من الرتب، فتكون معرضاً عن العلم تعلمًا أو تعليمًا.

وفي رواية: "وَلَا تَغْدُ إِمعةً فيما بين ذلك"، يعني: لا تكن إِمعة تتبع كل ناعق.

ويُحتمل أن معنى: (وَلَا تَغْدُ بَيْنَ ذَلِكَ): أي: لا تكون في مصاف العلماء ولا في مصاف طلاب العلم، بل تتابع كل أحد على رأيه. والذي لا يكون من العلماء ولا من طلاب العلم، لن يكون صاحب فُرْقان بين الحق والباطل، ومن كان بعيداً عن العلم فإنه سيسمع لكل أحد، ويقرأ لكل أحد، ولا يعرف أوصاف العلماء، ولا يعرف من هم أهل العلم، وتجدّه يتعبد لله جَلَّ وَعَلا بالجهل والبدع، وتجدّ عنده اختلالاً في مصدر التلقي لأن دينه يأخذه من كل أحد، فيوم يسمع للصوفية، ويوم يسمع للقبورية، ويوم يسمع كلام الملاحدة، وفي كل يوم يهيم في وادٍ من أودية الباطل، فهذه وصية عظيمة من وصايا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو حَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ الرَّازِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ حَنْظَلَةَ يُحَدِّثُ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: " قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: "يُقَالُ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا؛ فَكُنْ عَالِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَكُنْ مُتَعَلِّمًا، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُتَعَلِّمًا؛ فَأَحْبَبَهُمْ، فَإِنْ لَمْ تُحِبَّهُمْ فَلَا تَبْغُضْهُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ لَهُ مَخْرَجًا".

الشرح:

عون بن عبد الله أحد العُباد الزُّهاد، قال لعمر بن عبد العزيز، وهذا من باب التحفيز والحث له على تحقيق أمر من أعظم المطالب وهو أن يصل إلى مراتب العلماء، وهذا لا يكون إلا ببذل الوسع في طلب العلم مع الصبر والسعي في مقومات التحصيل والاستنباط مع البعد عن صوارف العلم.

قال لعمر بن عبد العزيز، وهو من فقهاء التابعين: يُقَالُ: والقائل: أهل العلم قبلهم، يعني: من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم. (إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا؛ فَكُنْ): يعني: اسعى في تحقيق هذا الأمر العظيم أن تكون في مرتبة العلماء، وبذل الوسع في ذلك. فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ: يعني: أن تكون عالماً، فَكُنْ مُتَعَلِّمًا: يعني: إذا فاتتك أعلى المراتب فاحرص على عدم تضييع المرتبة الثانية وهي

التعلم، فالمتعلم لن يعدم خيراً في هذا الباب فإذا طلب العلم عرف كيفية العبادة ورفع الجهل عن نفسه، وصار يفهم كلام العلماء فيحفظه الله جلّ وعلا من الوقوع في الشُّبه، وتتسع مداركه، وتكون عنده آلة البحث والمطالعة فيعرف القراءة، ويفهم كلام أهل العلم إذا سلك طريق التعلُّم.

قال: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُتَعَلِّمًا؛ فَأَحِبَّهُمْ: أي: إذا ضعفت الهمة وقصُرت فلم تكن في عِداد العلماء ولا في عِداد طلاب العلم فاعرف قدر أهل العلم، حتى تحب أهل العلم.

فمحبّة العلماء وطلاب العلم فيها فوائد منها: أن المرء يوم القيامة مع من أحب كما ورد في الحديث، ولهذا يقول القائل:

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعه
وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواءً في البضاعة
فمن أحب أهل العلم والعلماء فإنه سيسألهم عن دينه ويرجع إليهم
في أزمنة الفتن والشبهات، وإذا ابتعد عن العلماء وأهل العلم سيقع في البلايا وفي عدم الفرقان، وسيكون صاحب هوى، وعجب بنفسه، وسيُصغي سمعه لكل أحد ولا يُفرّق بين صاحب سنة وصاحب بدعة وصاحب علم وصاحب جهل.

قال: فَإِنْ لَمْ تُحِبَّهُمْ فَلَا تَبْغُضْهُمْ: يعني: احرص على محبتهم حتى تُحصِّل هذه المنقبة التي سبق ذكرها، وإذا لم ترغب في محبتهم فلا تُبغضهم، بل اتركهم وشأنهم، وبعض الناس كما قيل: مثل الذباب

يُراعي موضع العلل، فربما يرى عند طالب علم واحد فقط قصوراً في العمل وفي الأخلاق ويبيّن على هذا أموراً، فيُبغض هذا المقصّر المنتسب إلى العلم لأجل هذا الخلق السيء الذي فيه، ويتصوّر أن جميع طلاب العلم على شاكلته، فيترك العلم ويفارق أهله ويُبغضهم. وأسوأ من هذا مَنْ يحذر منهم ويحتج على التحذير بأنه رأى شخصاً منتسباً إلى العلم يفعل كذا وكذا من الأخلاق السيئة، وفعل هذا المنتقد ليس من الإنصاف في شيء، فيجب عليه أن يتقي الله في نفسه، وأن يحذر من تعميم الخطأ على أهل العلم، وأن يتذكّر ما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»، فهذه عقوبة من عادى أولياء الله، وهم أهل الإيمان وأهل التقوى وعلى رأسهم أهل العلم، فليحذر من ابتلي بهذا البلاء عقوبة الله وبطشه، فإذا لم يحب المرء أهل العلم فلا يُبغضهم بُغضاً يحمله على التنفير منهم، وربما صد الناس عنهم وربما إيذاؤهم بالقول أو بالعمل.

فَقَالَ عُمَرُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ: قال هذا على سبيل التعجب تعليقاً على أثر عون، يعني: أنزه الله عن كل نقص وسوء، لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مَخْرَجًا": فَمَنْ قَبَلَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ ، فَإِنَّهُ سَيَجِدُ مَخْرَجًا، فسبيل السلامة متعددة، فمن لم يسلك مسالك العلماء فعليه أن يسلك مسالك أهل العلم، وإن لم يكن منهم فليحبهم، فهذه مخارج، فإذا لم يحبهم فلا يُبغضهم ولا يفعل ما يترتب على هذا البُغض.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ".

الشرح:

هذا الأثر روي موقوفًا على ابن مسعود بإسناد منقطع، لكنه صحّ مرفوعًا عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، والحديث معروف ومشهور وهو في الصحيحين.

قال: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا: هذا أسلوب شرط، وخيرًا، نكرة، والتنكير هنا للتفخيم.

وخيرًا يشمل كل خير، فيشمل دخول الجنة والسلامة من النار وأنواع الخيرات، ويشمل علو الدرجات في الدنيا والآخرة، كما قال الله عزَّ وجلَّ: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة: ١١]، ودرجات: نكرة تشمل درجات الدنيا والآخرة، وقد ورد في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

قال: يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ: والفقه هنا بمعنى: الفهم في الدين، والتفطن فيما غمض منه، والفقه هنا لا يُراد به الفقه المعروف بالفروع فحسب، بل هذا جزء من الفقه في الدين.

فالمراد بالفقه في الدين: عموم الفقه في الدين وهذا يشمل مسائل

الأصول ومسائل ما يُسمّى بالفروع، وما يعين على ضبطها مما يُسمى بعلوم الآلة والوسيلة.

فأعظم ما ينبغي التفقه به: علوم المقصد والغاية، وهي العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، فهذه التي ينبغي أن تُفنى فيها الأعمار، وبقية العلوم تُدرس لضبط علوم المقصد والغاية، وتُسمى علوم الآلة والوسيلة، مثل: علم النحو والصرف والبلاغة ومصطلح الحديث وأصول التفسير وأصول الفقه، والقواعد الفقهية، ونحو ذلك، فهذه علوم تُدرس لأجل ضبط علوم المقصد والغاية، فهذا كله داخل تحت قوله: **يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ**."

وهذا الأثر فيه إثبات صفة الإرادة لله عَزَّ وَجَلَّ، وفيه فضل العلم والعلماء والفقه والفقهاء، وفيه الترغيب والحث على طلب العلم. والأقرب والله أعلم أنه لا يفهم من الحديث أنّ العوام لم يرد الله بهم خيراً، بل المراد: أنّ صاحب الفقه يكون خيراً من غيره، وهذا لا ينفي وجود الخير عند غيره من عوام المسلمين.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو حَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ عَنْ
الْأَعْمَشِ عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:
"يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَعَلَّمُوا، فَمَنْ عِلِمَ فَلْيَعْمَلْ".

الشرح:

هذه وصية عظيمة من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقد قال
النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه: «رَضِيتْ لَأُمَّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ
عَبْدٍ» رواه الحاكم بسند صحيحه الألباني.

قال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ: هذا عموم مخصوص، فالخطاب للمسلمين.
قال: تَعَلَّمُوا: وهذا فيه حث على التعلم وعلى بذل الوسع فيه،
حتى يُدرك شرف العلم، حتى ينال المرء فضل العلم والأجر المترتب
عليه.

قال: فَمَنْ عِلِمَ فَلْيَعْمَلْ: فالذي يُحْصِلُ شيئاً من العلم يجب عليه
أن يعمل به إذا كان من الواجبات، هذا هو سبب فضل العلم، من
علم فليعمل، وثمرة العلم العمل، وهذا فيه تنبيه إلى وجوب الارتباط
بين العلم والعمل حتى يُحْصِلَ المرء الخير الوارد في الحديث السابق:
"مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"، فالذي يريد أن يُحْصِلَ هذا
الفضل عليه أن لا يكتفي بطلب العلم فقط، بل يجمع بينه وبين
العمل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال بعض السلف: "كنا نستعين على حفظ

العلم بالعمل به".

وقد قال الله جَلَّ وَعَلَا: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى) [محمد:

١٧]، فمن أعظم أسباب ازدياد العلم العمل به.

فَالَّذِينَ اهْتَدَوْا بِالْإِيمَانِ وَالْإِنْقِيَادِ، وَاتَّبَاعِ مَا يَرْضِي اللَّهُ تَعَالَى زَادَهُمْ هُدًى شُكْرًا مِنْهُ تَعَالَى لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ أَي: وفقهم للخير، وحفظهم من الشر، فذكر للمهتدين جزاءين: العلم النافع، والعمل الصالح.

ثم إِنَّ عَدَمَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ مَعْصِيَةٌ، وَمِنْ شُؤْمِ الْمَعَاصِي نَسْيَانُ الْعِلْمِ كَمَا قِيلَ: هَتَفَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ.

فطالب العلم يجب أن يظهر عليه أثر العلم في أخلاقه وتعاملاته، وفي مراقبته لله عَزَّ وَجَلَّ.

وإنك لتعجب من أناس قد استمروا في مجالس العلم فترة طويلة يسمعون العلم ولا تجد عليهم أثر العلم، فتجد عندهم قصوراً في مظهرهم، ولا تجد شعائر الاستقامة ظاهرة عليهم، فما الذي استفاده هؤلاء من مجالس العلم التي لازموها مدّة من الزمن؟



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي
النُّجُودِ، عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: "أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ
الْمُرَادِيَّ فَقَالَ: "مَا جَاءَ بِكَ؟" قُلْتُ: طَلَبْتُ الْعِلْمَ. فَقَالَ: "إِنَّ
الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا لِمَا يَطْلُبُ".

الشرح:

زر بن حبش أتى إلى صفوان بن عسال المرادي، فسأله صفوان:
ما جاء بك؟ أي: ما غرضك من هذه الزيارة؟
قال: فقلت: ابتغاء العلم، يعني: ما جئت لدنيا أحصلها وإنما جئت
لطلب العلم، فجاء طالباً للعلم، جاء يسأله عن رواية لحديث في
المسح على الخفين، ولعله بلغه أنَّ هذه الرواية عند صفوان.
ويُحتمل أنه سأله لأنه من أهل العلم، فما جاء يسأله لشيء آخر من
رياء أو دنيا يُحصلها أو غير ذلك من المقاصد السيئة.
فقال صفوان: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ: يعني: عموم الملائكة، لأن (ال) هنا
الأقرب والله أعلم أنها للجنس، أي: عموم الملائكة، وتقييدها
بصنف من الملائكة، يحتاج إلى دليل.

قال: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا: وهنا في كلام كثير لأهل العلم
في معنى وضع الأجنحة هنا، وأقربه أنها تضعه حقيقة وإن لم
نشاهدها، فتضعها لتكون له وطاءً إذا مشى، وتحضر مجالس العلم،
وهذا فيه تنبيه إلى أن الملائكة لها أجنحة، فهي من أوصاف

الملائكة.

وفيه تنبيه أيضًا إلى أن مجالس العلم مشهودة تحفها الملائكة. فيه تنبيه إلى طلبة العلم عليهم أن يحترموا مجالس العلم، فمجالس العلم ما تُعقد لإضحاك الناس وللهزل، فهي مجالس مشهودة من الملائكة فينبغي أن تُحترم مثل هذه المجالس.

تَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا لِمَا يَطْلُبُ: وهذا فيه محبة الملائكة للعلم، لأنهم يرضون عنهن يرضون فعله، فهذا فيه محبة الملائكة للعلم، وهذا دليل على شرف العلم.

فصفوان لما علم مقصد زر بن حُبَيْش الحسن ذكر له فضل طالب العلم، وهو أن الملائكة تضع أجنحتها له تواضعًا وتوقيرًا وإكرامًا لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه، وهذا يدل على المحبة والتعظيم، كما ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في مفتاح دار السعادة.

وهذا الأثر فيه فضل العلم وعناية السلف به، فإنهم كانوا يذهبون إلى العلماء ليسألوهم عما أشكل عليهم.

ومن فوائد هذا الأثر: أنه ينبغي لأهل العلم إذا سُئِلُوا أن يجيبوا وأن يشجعوا السائل الذي يسألوا عن دينه تشجيعًا يُرَغِّبُهُ في طلب العلم. وأن يدعوا الله للسائل، حتى يتشجع الجهلة على السؤال عن ما أشكل عليهم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَمْرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "إِنَّ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ دَابَّةٍ حَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ".

الشرح:

هذا الأثر إسناده صحيح، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إِنَّ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ: قال: النَّاسَ: فيدخل في التعليم المسلم والكافر، فالكافر يُعلم الخير ويُدعى إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، والمسلم يُدعى أيضًا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

والخير المقصود به هنا: العلم الشرعي، فالذي يُعلم الناس الخير ابتغاء وجه الله جَلَّ وَعَلَا لا يدعوا إلى نفسه ولا يُعلمهم ليُظهر علمه، ولا يعلمهم ليترفع به عليهم.

قال: يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ دَابَّةٍ: أي: يطلب له المغفرة من الله عَزَّ وَجَلَّ كل دابة، وهي كل ما دب على الأرض من الحيوانات، وقد قال الله تعالى: (وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) [البقرة: ١٦٤].

"حَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ": والحوت هنا يُطلق على السمك وما عظم منها، فالحوت يستغفر له قيل: لأنه علّم الناس الإحسان إليه، فنفع التعليم يتعدى إلى كافة الخلق، وهو سبب لسعادتهم وزكاة نفوسهم ونجاتهم في الآخرة.

فهذا الأثر فيه فضل تعليم العلم، وهو أحد وسائل العمل بالعلم،

فالعلم يُرشد إلى الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وتعليم الخير ويحذر من كتمه، والتعليم الذي ينفع هو تعليم ما ينفع، وهو تعليم العلم الشرعي ابتغاء وجه الله عَزَّ وَجَلَّ.

ومن فوائد الأثر: أنه لا ينبغي احتقار التعليم وإن قلَّ. وقوله: (الخَيْرُ): يشمل أي خير.

وينبغي للمعلم استغلال كل وسيلة ممكنة لتعليم الناس الخير، وهذا يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة.

ففي زماننا ينبغي الاجتهاد في تعليم الناس الخير ونشره بكل سبيل ممكنة عن طريق تصميم المواقع الدعوية لمن كان يتقن ذلك، وعن طريق الكتابة والتأليف والتدوين، ونشر العلم عن طريق الصحف والمجلات الالكترونية والمجلات العلمية والدروس والمحاضرات والندوات والكلمات.

بل اجتهد في نشر الخير عن طريق إمامة الناس في الصلاة فهي دعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وداخلة في تعليم الناس الخير، وهذا أمر يغفل عنه كثير من أئمة المساجد، فانتقاء الإمام للآيات التي يقرؤها في صلاته دعوة إلى الخير، وكم من أناس تأثروا وهم يسمعون شيئاً من الآيات التي تمس قلوبهم، فيكون لها وقع.

فعلى أئمة المساجد أن يستحضروا هذا الأمر في صلاتهم، وأن يستعدوا وينتقوا الآيات التي قد يحتاج الناس إلى سماعها ربما في وقت من الأوقات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في كتابه قاعدة جلية في

التوسل والوسيلة: (العلم يجب بذله، فمن سُئل عن علم يعلمه فكتمه أَلجمه الله بلجام من نار يوم القيامة، وهو يزكو على التعليم). فالعلم لا ينقص بالتعليم كما تنقص الأموال بالبذل.

ورحم الله أبا إسحاق التجيبي الألبيري حين قال:

يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص أن به كفاً شددتا
لكن مقام الدعوة وتعليم الناس مقام عظيم يجب على المرء ألا يتقحمه إلا إذا توفرت فيه شروط الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، فلا بد من إخلاص الداعية إلى الله العمل، ودعوته إلى الله لا إلى نفسه ولا إلى حزبية ولا إلى طائفة ولا إلى جماعة، ولا إلى غير ذلك من أغراض الدنيا، ويجب أن يدعوا إلى الله على بصيرة.

والبصيرة تشمل أمرين: العلم الشرعي ومعرفته بحال المدعو، فيعرف كيف يدعوا الأمير والحاكم والوزير والمسئول وشيخ القبيلة والوالد والوالدة والفاسق واليهودي والنصراني، فكل له طريقة في دعوته، فهذه داخلة تحت قوله: (أدعوا إلى الله على بصيرة).

وإذا لم تتوفر فيه هذه الشروط فسيقع القول على الله بغير علم، وسيُفسد المرء أكثر مما يُصلح، فالعلم له رجاله وأهله.

فعلى الداعية أن يدعوا بقدر ما تعلم، وأن لا يحقر نفسه ولا يضعها فوق قدرها، ولا يدعوا إلى الله بدون علم.



المتن:

قال رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ ظَبْيَانَ، قَالَ: " قَالَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ: "مَنْ تَعَلَّمَ وَعَمِلَ وَعَمِلَ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ".

الشرح:

قال: عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ ظَبْيَانَ، قَالَ: " قَالَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ: وقد ورد ذلك في إنجيل متى، قال: "مَنْ تَعَلَّمَ: يعني: بذل الوسع في طلب العلم، وَعَمِلَ: أي: بذل الوسع في تعليم الناس، وَعَمِلَ: ويدخل في العمل الدعوة إلى الله تعالى فهي من جملة الأعمال الصالحة، فمن حقق هذه الأمور الثلاثة قال: فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا: يعني: يُسَمَّى ويُلقب عَظِيمًا، فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ": يعني: في ملك الله عَزَّ وَجَلَّ وسلطانه.

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ في كتابه المفردات في غريب القرآن: (الملكوت مختص بملك الله تعالى، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [الأنعام: ٧٥].

وهذا الأثر فيه فضل عمارة الأوقات بالعلم الشرعي، تعلمًا وتعليمًا وعملاً ودعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ المرء إذا قام بهذه الأمور يُحْصَلُ المكانة العالية عند الملائكة، فيستغفرون له كما جاء في صحيح مسلم من حديث معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: "تَعَلَّمُوا فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يَحْتَلُّ إِلَيْهِ".

الشرح:

قال: عن عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه قال: "تَعَلَّمُوا: والتعلم هو بذل الوسع في طلب العلم. فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يَحْتَلُّ إِلَيْهِ": وهذه الكلمة مأخوذة من الحَلَّة - بفتح الحاء - وهي: الحاجة والافتقار. وفي الأثر الحث على التعجيل بطلب العلم الشرعي قبل أن يصل المرء إلى الأماكن التي يحتاجه الناس فيها. قال: "إِلَيْهِ": والضمير يحتمل أن المراد به المتعلم، فإنه لا يدري متى يحتاج الناس إليه وإلى علمه. وهذا مشاهد في زماننا، فإن المرء في مرحلة شبابه قد ابتلى بالإمامة والخطابة، فيحتاج المصلون إلى تعليمهم وإرشادهم من إمامهم وخطيبهم. وقد يُعَيَّن المرء في التدريس الرسمي الوظيفي، فيحتاج الناس إليه، وقد يُبتلى بالقضاء مع صغر سنه. فإذا وصل إلى هذه المراتب وحصيلته العلمية ضعيفة جداً فإنه لا يحصل النفع التام من ورائه، بل قد تحصل الفتنة بسبب وصوله إلى

هذه الأماكن، لأنه قد يقول على الله بغير علم، وقد يعرض له من الأمور ما يكون سبباً في عدم انتفاع الناس بعلمه.

وقد يعود الضمير إلى العلم، فالمرء لا يدري متى يحتاج هو إلى العلم، فقد يقع منه شيء بسبب جهله فتعرض له مواقف يعرف قدر العلم، فما يدري هو متى يحتاج إلى العلم.

مثال ذلك: قد يُتلى الإمام بالإمامة، فإذا كان لا يعرف أحكام الصلاة ولا أحكام سجود السهو، فإذا عرض له شيء في صلاته فإنه، يعرف قدر العلم ومكانته.

هذا هو المعنى الثاني، والمعنيان صحيحان.

فعلى المرء أن يبذل وسعه في التعلم بملازمة مجالس العلم من الصغر وسماع الدروس في المواقع الموثوقة وسؤال أهل العلم قبل التلبس بالعبادات وقبل حلول المواسم، وأن يسأل عما أشكل عليه، وينظر في حاله قبل التلبس فيما أراد من عبادة، من زكاة وصيام وحج، وأحكام سفر، ونحو ذلك.

وتعظم الحاجة إلى التعلم في زماننا هذا، لكثرة الشُّبه التي ييثرها أهل الضلال في وسائل التواصل بأنواعها، ولهذا ما تسلطت المذاهب الفكرية المعاصرة، ولا تسلطت طوائف الانحراف بأنواعها على بعض الشباب، إلا أنهم وجدوا أمامهم بيئةً تستقبل ما يرد إليها بسبب جهلها، وعلى الإنسان أن لا يحقر نفسه، فبعض الناس يقول: من أنا حتى يحتاج الناس إلي؟ وهذا من تلبيس الشيطان على الشاب في حادثة سنه.

وإليك هذا الأثر العظيم الذي يدل على أن الإنسان لا يدري متى يحتاج الناس إليه، وهو أثر صحيح رواه ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ في جامع بيان العلم وفضله، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال لما قُبِضَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا شاب، قلت لشاب من الأنصار: "يا فلان هَلُمَّ فلنسأل أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولنتعلم منهم فإنهم كثير"، قال: العجب لك يا ابن عباس، أترى أن الناس يحتاجون إليك وفي الأرض من ترى من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: "فتركت ذلك وأقبلت على المسألة وتتبع أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأجده قائلاً -يعني: في وقت القيلولة- فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح على وجهي حتى يخرج"، فإذا خرج قال: يا ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لك؟ فأقول: "حديث بلغني أنك تُحدث به عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأحببت أن أسمعه منك"، قال: فيقول: فهل بعثت إليّ حتى آتيك؟ فأقول: "أنا أحق أن آتيك"، فكان ذلك الرجل بعد ذلك يراني وقد ذهب أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحتاج إليّ الناس، فيقول: كنت أعقل مني.

فالإنسان لا يدري متى يحتاج الناس إليه، فعليه أن يجتهد في طلب العلم في حداثة سنّه، حتى يكون مهيناً للتعليم إذا احتيج إليه.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ
الْأَخْنَفِ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: "تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا".

الشرح:

قال عمر رضي الله عنه: "تَفَقَّهُوا: وهذا حثٌّ منه على الفقه في الدين قبل حلول الصوارف والشواغل التي تمنع من الازدياد من طلب العلم.

قال: قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا": وهذا الكلام لا مفهوم له، والمعنى: ليست السيادة غاية الطلب، لكن السيادة مُشغلة عن طلب العلم الشرعي. ولهذا قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ مُعَلِّقًا: "وبعد أن تسودوا"، يعني: تفقوا قبل أن تسودوا وبعد أن تسودوا.

ثم قال البخاري: "وقد تعلم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كِبَرِ سنهم"، وهذا دليل على أن التفقه ليس خاصًا بسنٍّ من مراحل العمر، بل الإنسان عليه أن يطلب العلم من صغره إلى أن يلقي الله عزَّ وجلَّ، لأن العلم الشرعي عبادة، والعبادة لا تنقضي إلا بالموت، كما قال الله تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [الحجر: ٩٩]، أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات.

ويُحتمل أن يكون معنى: "تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا": يعني: تفقها قبل أن تجلسوا للناس فتُسالوا، يعني تكونون سادة تتصدرون لمجالس

العلم وتعلمون الناس.
ويُحتمل: تفقهوا قبل أن يكون لكم شأن في المجتمع، يعني: تكونون ولاية أو قضاة أو معلمين، أو تكون صاحب أسرة وزوجة وولد، أو وظيفة لها شأن، فمثل هؤلاء الناس الذين لهم مكانة في مجتمعهم قد يُتتلون بسؤال الناس لهم، فعليهم أن يتفقهوا حتى إذا سُئلوا أجابوا عما سُئلوا عنه.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: "وَاللَّهِ إِنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْأَلُونَهُ لَمَجْنُونٌ" قَالَ الْأَعْمَشُ: فَقَالَ لِي الْحَكَمُ: "لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا كُنْتُ أُفْتِي فِي كَثِيرٍ مِمَّا كُنْتُ أُفْتِي".

الشرح:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "وَاللَّهِ إِنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْأَلُونَهُ لَمَجْنُونٌ": والجنون: هو اختلاط العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهج العقل إلا نادراً. وهذا الأثر وصف فيه من يُفتي الناس في كل ما يسألونه بالجنون؛ لأن المجنون يوقع نفسه في المهالك بسبب نقص تقديره وقصور عقله، فأسئلة الناس كثيرة لا تنتهي، والناس يسئلون في شتى فنون العلم، والإحاطة بالعلم غير ممكنة، فلا بد من التحرز في الفتيا. ومن الناس من يسأل لمقاصد سيئة فيسأل تعنتاً، أو استهزاءً، أو اختباراً وهو ولعباً، أو لمجرد التسلية وقضاء الوقت، فليس كل ما يسأل عنه طالب العلم يُجيب عنه، بل يجيب على ما فيه مصلحة للسائل، فليس كل ما يُعلم يُقال.

فالذي يُفتي الناس في كل ما يُسأل عنه، مثله مثل المجنون فقد أوقع نفسه في المهالك، فبعضهم يتسرع في الفتيا وفي القول على الله بغير علم حتى لا يوصم بالجهل، أو يفعل ذلك بحثاً عن شهوات نفسه

من البحث عن الشهرة وحب المدح والثناء وتحصيل الدنيا، وكل هذه هلكة، أو يقول على الله بغير علم فيقع في الوعيد الشديد. وهذا الأثر فيه خطورة التسرع في الجواب والأحكام والفتيا، فالفتيا تحتاج إلى استحضار المعلومات وإلى مراعاة حال السائل فلا يجوز التسرع فيها.

والواجب على المرء إذا سُئل عن ما أشكل عليه أن يتأنى في الجواب، أو يقول: لا أدري، فالسلامة لا يعدلها شيء، أو يحيله إلى من هو أعلم منه ببعض الجوانب العلمية في بعض جوانب العلم. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في إعلام الموقعين: (وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتيا أو في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم أفتي).

قَالَ الْأَعْمَشُ: فَقَالَ لِي الْحَكَمُ: ابن عُثَيِّبَةَ وهو فقيه. قال: "لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا كُنْتُ أُفْتِي فِي كَثِيرٍ مِمَّا كُنْتُ أُفْتِي". وهذا من ورعه، وإلا فإن الفتيا بعلم مع مراعاة المصالح والمفاسد هذه من الواجبات على أهل العلم، وإذا سكتوا مع وجود العلم عندهم فإن هذا من كتمان العلم الذي جاء فيه المنع، لكن هذا الأثر محمول على تورعه وخوفه من التسرع في الفتيا التي تُقضي إلى القول على الله بغير علم.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ رَجَاءِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَزْرَقِ، قَالَ: "دَخَلَ رَجُلَانِ مِنْ أَبْوَابِ كِنْدَةَ، وَأَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ جَالِسٌ فِي حَلَقَةٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَلَا رَجُلٌ يَنْظُرُ بَيْنَنَا؛ فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْحَلَقَةِ: أَنَا قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو مَسْعُودٍ كَفًّا مِنْ حَصَى فَرَمَاهُ بِهِ وَقَالَ لَهُ: "إِنَّهُ كَانَ يُكْرَهُ التَّسَرُّعُ إِلَى الْحُكْمِ".

الشرح:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَزْرَقِ، قَالَ: "دَخَلَ رَجُلَانِ مِنْ أَبْوَابِ كِنْدَةَ: وهو موضع في الكوفة، وهو بمعنى الحي أو الحارة الآن. وهذان الرجلان يرجعان إلى قبيلة في اليمن وهي قبيلة كندة، وهي قبيلة يمنية مشهورة تعود نسبتها إلى قحطان. وهذان الرجلان أصولهم من اليمن وقد سكنا في هذا المكان الذي في الكوفة.

قال: وَأَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ: وهو صحابي جليل رضي الله عنه. جَالِسٌ فِي حَلَقَةٍ: جالس في جماعة من الناس مستديرة في جلوسها. فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَلَا رَجُلٌ يَنْظُرُ بَيْنَنَا: فكانت بين هذين الرجلين خصومة، وقال: ينظروا، يعني: في هذه القضية والخصومة التي بيننا فيحكموا فيها، وهذا دليل على أن الناس قديماً كانوا يجلسون أهل العلم فهم ليسوا مجرد معلمين فحسب، بل كانوا يُصلحون بين

الناس.

قال: فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْحُلُقَةِ: من الحاضرين في مجلس أبي مسعود الأنصاري، ولم يسمه هنا لعدم المصلحة في ذكر اسمه. فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْحُلُقَةِ: أَنَا: فتطَوَّع هذا الرجل للحكم بينهما اجتهدًا منه، حتى يدخل في الفضل الوارد في الإصلاح بين الناس، لكنه استعجل، لأن الحلقة فيها شيخه وربما كان فيها من هو أعلم منه.

قَالَ: والقائل عبد الرحمن بن بشر الأزرق. فَأَخَذَ أَبُو مَسْعُودٍ: وهو شيخ هذا المستعجل المتطوع. كَفًّا مِنْ حَصَى: وكانت المساجد في ذاك الوقت تُفرش بالحصى. فَرَمَاهُ بِهِ: تأديبًا له.

وجاء في رواية: وقال: "مه"، وهذا اسم فعل أمر معناه: اكفف، وهذا دليل على استنكاره وحنقه وغضبه بسبب قيام هذا التلميذ بما قام به، وشيخه أعرف به، وربما يعرف من حاله أنه غير مؤهل لفصل الخصومات بين الناس، أو يحتمل أنه أراد بذلك العمل أن يريه على عدم الاستعجال في الأحكام، ويربيه على احترام من هو أعلم منه، ففعله هذا من باب التقدم على من هو أعلم منه، وهذا لا يصلح من طالب العلم أن يتصف بهذه الخصلة.

والعجلة لا خير فيها، فطالب العلم إذا وُجِدَ في مجلسٍ من هو مثله في العلم، أو من هو دونه وكفاه في تعليم الناس في ذلك المجلس فعليه

أن يلزم الصمت إلا إذا تَعَيَّنَ عليه الكلام فهذا من حسن الأدب. وبعضهم عنده عجلة فتجده لا يتكلم شيخه بكلمة إلا ويتعقب كلامه ويعلق عليه، وهذه من مداخل الشيطان على الحدث، لأن بعضهم يفعل ذلك وكأنه يقول: أنا طالب علم، وهذا لا يليق بطالب العلم المبتدئ خاصة ولا حتى بالمنتهي، فإذا وُجد من يقوم بالكفاية في هذا المجلس فلزوم الصمت هو غاية الأدب.

ثم إن فعل أبي مسعود ورميه له بالحصى لا يُقال أن هذا الفعل يُفعل مع الطلاب دائماً، فتأديب الطلاب يُرجع فيه إلى المصالح والمفاسد، والمعلم أعلم بأحوال طلابه ويعلم من هو الحليم منهم ومن هو الصبور ومن الذي قد لا يتحمل هذا الأمر، وربما يترك مجلس العلم إلى مجالس أصحاب الشهوات أو الشبهات.

والقصص الواردة عن السلف في تأديب طلابهم كثيرة، بل بعضهم كان يشدد عليهم ويصل الأمر إلى العقوبة الشديدة له، كانوا يصبرون ويتحملون، فلا يُقال: أن الطالب إذا أخطأ على المعلم أن يضربه، لا، وإنما يراعي المصلحة والمفسدة في تأديبه ويختار الطريقة المناسبة لتأديب الطالب، فأحياناً يكفي النظر إليه، وأحياناً تكفي الإشارة إليه بالسكوت، وأحياناً يكلمه، وأحياناً يغلظ عليه، وأحياناً يطرده من المجلس.

قال: "إِنَّهُ كَانَ يُكْرَهُ التَّسْرُعُ إِلَى الْحُكْمِ": المراد: يُكره عند الصحابة رضي الله عنهم فكانوا يكرهون التسرع إلى الحكم، وهذا تعليل لسبب الغضب والإنكار وهو مخالفة فعل السلف وعلى رأسهم

الصحابه رضي الله عنّهم، فإنهم كانوا يطلبون المعافاة من القضاء،
ويطلبون المعافاة من الحكم بين الناس، ويتأنون في أمورهم إذا ابتلوا
في الحكم بين الناس فيتأنون ولا يتعجلون.
وليس المراد من هذا الأثر أن يترك أهل العلم القضاء، بل من ابتلي
بذلك فعليه أن يتعلم ما يحصل به طريقة الحكم بين الناس، ومن
عوفي فليحمد الله تعالى.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ
صَالِحِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: "عِلْمٌ
لَا يُقَالُ بِهِ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ".

الشرح:

قال سلمان رضي الله عنه: "عِلْمٌ لَا يُقَالُ بِهِ: نَكَّرَ العلم، والتنكير
فيه دلالة على التعميم، يعني: عموم علوم الشريعة.
"عِلْمٌ لَا يُقَالُ بِهِ: يعني: لا يُعْمَلُ بِهِ، فقد يُطْلَقُ القول في اللغة وفي
الشرع ويُراد به الفعل والعمل.

ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه وفيه: "كَانَ إِذَا وَجَدَ أَحَدُهُمُ
الْبَرْدَ، قَالَ: هَكَذَا، يَعْنِي تَيْمَمٌ، وَصَلَّى" رواه أحمد، أي تيمم وهذا
عمل.

ويدخل في عدم العمل بالعلم عدم الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وكتمان
العلم مُحَرَّم، لكن حكم نشر العلم يختلف بحسب العلم، فالعلم العيني
يجب نشره، والكفائي يجب نشره على الكفاية، والعلم الذي
لامصلحة في نشره لا يُنْشَرُ.

قال: "كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ": الكنز: هو المال المجموع المخزون المحرز
في مكان يُحْفَظُ فيه لا تؤدي زكاته.

والمقصود: أن عدم العمل بالعلم يعود أثره على من لا يعمل بالعلم
لا على العلم نفسه.

فالعالم شريف في نفسه، والمتضرر هو الذي لا يعمل بعلمه، فقد
يُعذب في الآخرة مثله مثل صاحب الكنز، والذي لا يعمل بعلمه
من الأصناف الذين أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة.
فالتشبيه في هذا الأثر هو بجامع الحبس عن الانتفاع والظلم أيضًا
بمنع المستحق منه، هذا هو وجه الشبه بين العلم الذي لا يُقال به
والكنز الذي لا يُعمل أو لا يُنفق منه.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، أَنَّهُ قَالَ: "فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ".

الشرح:

قال مطرّف رحمه الله: "فضل العلم"، يعني: العلم الشرعي، فـ(ال) هنا للعهد الذهني.

والمراد بفضل العلم، ما زاد عن المفترض، فلاشتغال بهذا العلم الذي ليس واجباً في حقه الاشتغال به تحصيلًا وتعليمًا أَحَبُّ: يعني: أولى وأفضل أن أنشغل به، وهو أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ: يعني: من نافلة العبادة والطاعة، والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فالعلم الذي هو من باب النفل أحب من فضل العبادة، فإحياء الليل مثلاً بما يعين على ضبط العلم إذا ضاق الوقت على المرء فأصبح لا يستطيع الجمع بين قيام الليل وبين مذاكرة العلم وضبطه وحفظه وكتابته وتقييده وفعل ما يعين على ضبط العلم، فهنا الأولى تقديم نافلة العلم، فنافلة العلم تُقدم على نافلة العبادة إذا ضاق الوقت ولم يمكن الجمع بين الأمرين.

وكذلك صيام النافلة، فإذا كان المرء يعرف من نفسه أنه لو صام النفل سيتعب تعباً يصده عن الانشغال بالعلم وما يعين على ضبطه

فإنه يُفْطَرُ حَتَّى يَتَّقَى عَلَى نَافِلَةِ الْعِلْمِ.

وَلَا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا إِهْمَالُ طَالِبِ الْعِلْمِ لِنَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ، بَلِ الْمَرْءُ إِذَا تَزَاحَمَتْ أَوْ طَالِبِ الْعِلْمِ إِذَا تَزَاحَمَتْ مَشَاغِلُهُ أَوْ خَشِيَ ضَعْفَهُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ نَافِلَةَ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ.

قَالَ: وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ: وَالْوَرَعُ عَرَفَهُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: بِأَنَّهُ تَرَكَ مَا يُخْشَى ضَرَرُهُ فِي الْآخِرَةِ، فَيَدْخُلُ فِيهِ الْوَرَعُ الْوَاجِبُ وَالْمُسْتَحَبُّ، فَيَدْخُلُ فِيهِ الْكَفُّ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ وَالشَّبَهَاتِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "دَعْ مَا يَرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيئُكَ" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

قَالَ فِي النَّهَائِيَّةِ: (وَالْمُرَادُ أَنَّ مَا اشْتَبَهَ حَالَهُ عَلَى الْإِنْسَانِ فَتَرَدَّدَ بَيْنَ كَوْنِهِ حَلَالًا أَوْ حَرَامًا فَالْإِتِّقَ بِحَالِهِ تَرْكُهُ وَالذَّهَابُ إِلَى مَا يَعْلَمُ حَالَهُ وَيَعْرِفُ أَنَّهُ حَلَالٌ).

وَيَدْخُلُ فِيهِ الْوَرَعُ الْمُسْتَحَبُّ، وَهُوَ الْوَرَعُ عَنْ بَعْضِ صُورِ الْحَلَالِ مَخَافَةَ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: "تَرَكَنَا تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْحَلَالِ مَخَافَةَ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ"، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ حُفِظَ لَهُ دِينُهُ، وَالْوَرَعُ مِنْ سِمَاتِ الْعُلَمَاءِ، فَقَدْ رَوَى أَبُو بَكْرٍ الْآجِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَخْلَاقَ الْعُلَمَاءِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: "الْعَالَمُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَخَشْيَةِ اللَّهِ الْوَرَعُ".

فَإِذَا اتَّصَفَ طَالِبُ الْعِلْمِ بِالْوَرَعِ كَانَتْ لَهُ هَيْبَةٌ عِنْدَ النَّاسِ، وَإِذَا رَأَى عَامَّةُ النَّاسِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْعِلْمِ وَهُوَ لَا يَتَوَرَعُ فِي مَكَاسِبِهِ وَلَا يَتَوَرَعُ فِي أَلْفَاظِهِ وَلَا فِي تَصَرُّفَاتِهِ كَانَ سَبَبًا فِي صَدْحِهِمُ عَنِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ سُلَيْمٍ عَنْ
حُذَيْفَةَ، قَالَ: " بِحَسَبِ الْمَرْءِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ،
وَبِحَسَبِهِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يَقُولَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثُمَّ يَعُودُ".

الشرح:

قال حذيفة رضي الله عنه: " بِحَسَبِ الْمَرْءِ: يعني: يكفي الرجل من العلم الشرعي أَنَّ العلم يكون سببًا في خشية الله تعالى، والخشية خوف يشوبه ويخالطه تعظيم لله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا لا يحصل إلا لمن رزقه الله علمًا نافعًا.

والفرق بين الخشية والخوف، أَنَّ الخشية: خوف مشوب بعلم مبني على تعظيم للخالق جَلَّ وَعَلَا، فهذا هو الذي يبعث على خشية الله، ولهذا حُصَّ العلماء بالخشية، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر: ٢٨]، فثمرة العلم أنه يبعثك على خشية الله، فالخشية هي صفة العلماء.

والخوف قد يقع من العامة وقد يقع من أهل العلم، لكن لا يلزم فيه العلم، بل فيه توقع العقوبة بسبب ارتكاب الذنوب، ولكن قد لا يصاحبه خشية وتعظيم، فقد يكف على المعصية خوفًا من أمور دنيوية تحصل له، فهذا خوف.

وأما الخوف الذي قد بُني على ترك هذه المعصية تعظيمًا لله ومراقبة له فهذا يُقال له خشية وهذه صفة العلماء.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في القول المفيد: (الخشية تكون مع العلم بالمشي وحاله؛ لقوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)، والخوف قد يكون من الجاهل، والخشية تكون بسبب عظمة المخشي، بخلاف الخوف فقد يكون من ضعف الخائف لا من قوة المخوف).

قال: وَبِحَسْبِهِ مِنَ الْكَذِبِ: يعني: يكفيه أن يكون مستحقاً لوصف الكذب. أَنْ يَقُولَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثُمَّ يَعُودُ: يعني: أن يتوب ثم يعود للذنوب بعد الاستغفار، فهذه توبة الكاذبين كما يُقال، فهو كاذب لأنه طلب المغفرة والتوبة ولم يأت بشروطها: من الإقلاع عن الذنب والندم على ما فات والعزم على أن لا يعود ورد المظالم إلى أصحابها، فهذه شروط الاستغفار والتوبة.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [آل عمران: ١٣٥].

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: (فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنوب كالتلاعب).

فالواجب على طالب العلم إذا وقع في زلة علمية أن يتوب إلى الله توبة صادقة نصوحة، ومن شرط صحة توبته إن كان صادقاً في رجوعه عن هذا الخطأ الذي انتشر أن يعتذر علناً إذا كانت مخالفته علنية، وقد قال الله جَلَّ وَعَلَا: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا) [البقرة: ١٦٠].

وطالب العلم عليه أن يكون قريباً من الله ويفعل الأسباب التي تثبته على هذا الطريق، وإذا ابتلي بمعصية عليه أن يكف عنها ويستغفر، وإذا كانت هذه المعصية متعلقة بإضلال الناس كالقول على الله بغير علم أو الخطأ غير المقصود فإن التوبة تكون بإعلان الرجوع علناً كما أخطأ علناً ولا ضير في ذلك، فهذا مما يجعل الناس يثقون بطالب العلم الذي أشهر رجوعه.

وكم حصلت من فتن بين طلاب العلم بسبب عدم مراعاة هذا الأدب فتجد أحدهم ممن له جماهيرية وطلاب كُثُر يُخطئ ولا يريد أن يعلن رجوعه عن خطأه حتى لا يخسر هذا الجمع الكبير، فهذا غلط عظيم يترتب عليه تفشي الباطل.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ،
عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: "بِحَسَبِ
الرَّجُلِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ، وَبِحَسَبِ الرَّجُلِ مِنَ
الْجَهْلِ أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ".

الشرح:

معنى هذا الأثر قريب من معنى الأثر السابق.
قال مسروق رحمه الله: "بِحَسَبِ الرَّجُلِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ عِزَّ
وَجَلَّ: يعني: يكفي المرء من العلم ما يبعثه على خشية الله عِزَّ وَجَلَّ،
فإذا كان لا ينتفع من هذا العلم والخشية فما الفائدة من علمه؟!
وَبِحَسَبِ الرَّجُلِ مِنَ الْجَهْلِ أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ": الجهل خلاف
العلم، فمن أمانة جهل المرء أن يُبتلى -والعياذ بالله- بالعُجب ويظن
أنه وصل إلى مرحلة من الكمال بحيث لا يلحقه أحد فيه، ويظن أن
العلم الذي عنده لا يوجد عند غيره.
ويزاد البلاء إذا كان صاحب العُجب ازدراء للآخرين، فهذا يُسمى
كِبَرًا.

والابتلاء بالعُجب يترتب عليه مفسد كثيرة منها:

أولاً: نسيانه نعمة الله عليه، فالعلم فضل من الله عليك وعلى أهل
العلم، فلا تظن أنك وصلت إلى مرحلة في العلم لم يصل إليها أحد
غيرك.

ثانيًا: إصرار من ابتلي بهذا الداء على أقواله المخالفة وعدم رجوعه إلى الحق.

فالذي يُبتلى بهذا المرض يظن أنه هو الوحيد الذي يُحسن الكلام في مسائل العلم، وإذا أخطأ ورُدَّ عليه ازدري الناصح له.

ثالثًا: العُجب كما قال بعض أهل العلم: بريد الكبر، لأنه يُفضي إلى احتقار الآخرين والعلو عليهم.

رابعًا: العُجب إذا ابتلي به المرء يؤدي إلى احتقار العُصاة. فبعض الناس يمن الله عليهم بالتبكير للصلاة وبكثرة قراءة القرآن وبحسن الاستقامة والعمل، لكنه يزدرى العصاة، وهذا غلط فإذا رأيت مبتلاً بمعصية فاحمد الله أن عافاك مما ابتلاه به وادع الله له، واحمد الله أن منَّ عليك بالاستقامة، فإذا حصل منك احتقار لهذا الشخص فهذا هو العُجب بعينه ويُخشى عليك من آثاره السيئة. وإذا ابتلي المرء بمرض من أمراض القلوب فعليه أن يُعجل بمحاسبة نفسه وبتأديبها وأن ينظر إلى حال من هو أعلى منه في العلم وحال من هو أشد خشية لله منه، فهذا من أعظم ما يزيل الله به هذه الأدواء.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ، شَيْخٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ فَجَلَسَ، فَسَكَتَ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: إِنَّ أَصْحَابَكَ قَدْ اجْتَمَعُوا إِلَيْكَ لِتُحَدِّثَهُمْ أَوْ لِتَأْمُرَهُمْ قَالَ: "بِمَ أَمُرُهُمْ، فَلَعَلِّي أَمُرُهُمْ بِمَا لَسْتُ فَاعِلًا".

الشرح:

قال: عَنْ أَبِي خَالِدٍ: وهو شيخ من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ: يعني: في وقت مكثنا وجلسنا في المسجد، إِذْ جَاءَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ فَجَلَسَ، فَسَكَتَ: ويظهر أن خباباً رضي الله عنه ما جاء للتدريس، بل جاء للمسجد للجلوس فيه، لأنه لو كان قد جاء للتدريس لدرّس.

قال: فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: وهم الجماعة من الناس الذين كانوا في المسجد، لأن الأصل في القوم هم الجماعة من الرجال خاصّة. ومما يدل على أنّ القوم الرجال دون النساء قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ) [الحجرات: ١١].

وقول زهير بن أبي سلمى:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء فقالوا: إِنَّ أَصْحَابَكَ: وكان له طلاب ملازمين له، لأن الصُحبة في

اللغة تدل على الملازمة، ففعل من كانوا في المسجد كانوا من ملازميه، فتلطفوا معه في الخطاب عسى أن يحدث الناس وينتفعوا به.

قالوا له: إِنَّ أَصْحَابَكَ قَدْ اجْتَمَعُوا إِلَيْكَ لِتُحَدِّثَهُمْ: يعني: تعلمهم الحديث أو التحديث عموماً الذي يدخل فيه الوعظ والتذكير. أَوْ لِتَأْمُرَهُمْ: تعلمهم الخير وتدلهم عليه.

قَالَ: "بِمَ آمُرُهُمْ، فَلَعَلِّي آمُرُهُمْ بِمَا لَسْتُ فَاعِلًا": أي: بَمَ عساي أن آمرهم وأعظمهم فأخشى أن أسترسل في تعليمهم وتذكيرهم ووعظهم، فأمر بما لا أفعل.

وقوله هذا يُحتمل أنه لا يريد الاسترسال في الوعظ، لأنهم كلموه في مجلس ليس من المجالس التي يدرسوا فيها، فليس الوقت وقت درس، فما كان يريد التوسع في وعظ الناس في كل وقت.

ويُحتمل أنه قال ذلك تواضعاً حتى يريهم على التواضع، فقد يُطلب من طالب علم أن يعظ ويقول: أنا بحاجة للوعظ، وليس معنى هذا الكلام أنه لا يريد أن يدعوا إلى الله، لا، بل يفعل ذلك من باب التواضع.

فلو قيل له: لو وعظت الناس، فله أن يقول: أنا بحاجة إلى من يعظني، فلا يُفهم من هذا أنه ينفر عن التعليم والتدريس، لأن هؤلاء يعرفون قدر العلم وشرف العلم، فلا يُظن بهم هذا الظن.

ويكون هذا من باب التربية لبعض الطلاب المبتدئين، ولعله أن يكون في هذا المجلس من بعض المتعلمين الصغار الذين يريدون

التصدر في المجالس، فيقال: انظروا إلى هذا الشيخ الجليل الفاضل ما عنده هذه العجلة التي عندكم والحرص على الجلوس للناس. وحاشاه أن يقصد كتمان العلم، فالصحابة رضي الله عنهم من أعرّف الناس بخطورة كتمان العلم.



المُتَن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا أَبُو سِنَانٍ سَعِيدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنِي عَنَّتَرَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: "مَا سَلَكَ رَجُلٌ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا إِلَّا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ".

الشرح:

في أثر ابن عباس رضي الله عنهما فضل العلم وشرفه.

قال: "مَا سَلَكَ: السلوك: النفاذ في الطريق، يعني: ما ولج رجل وسار في طريق، والطريق: السبيل الذي يُطْرَق ويُضْرَب بالأرجل، وكل مسلك يسلكه الإنسان في فعل يُقال له طريق لأنه يُطْرَق، يعني: يُضْرَب بالأرجل.

يَلْتَمِسُ: يعني: يطلب ويريد من سلوكه في هذا الطريق طلب العلم الشرعي.

عِلْمًا: يعني: علمًا شرعيًا، فتدخل فيه جميع العلوم الشرعية وما يعين على ضبطها.

إِلَّا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ": والمعنى: أن من سلك الطريق أو الطرق الموصلة لتحصيل العلم الشرعي سواء كان قد مشى إلى مجالس العلم والمساجد أو درس على أهل العلم أو حفظ العلم أو ذاكره أو درسه مع زملائه أو طالعه أو بحث في كتب العلم أو قيد العلم.

والمهم أن يسلك المرء كل سبيل يحصل به ضبط العلم الشرعي في

المساجد أو في غيرها من الطرق التي يوصل من خلالها إلى تحصيل العلم الشرعي، سواء كان عن طريق الدروس أو عن طريق السماع أو عن طريق النظر في مواقع التواصل التي فيها نشر للعلم، فإذا فعل ذلك ابتغاء وجه الله عزَّ وجلَّ جازاه الله على فعله بأن يوصله إلى الجنة مسلماً مُكرماً.

وهذا فيه حث وحضُّ على سلوك جميع السبل التي توصل إلى نيل العلم الشرعي، لتحصيل الفضل الوارد فيه، فالعلم الشرعي سُلَّم للعمل به، والعمل به سبب لدخول الجنة، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: (وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [الأعراف: ٤٣]. فإذا ابتلي العبد بغفلة وصدود عن العلم فعليه أن يُذكِّر نفسه بهذا الفضل وما مثله، لأنه يعلم أنه إذا سلك هذا الطريق فإنه سيوصله إلى الجنة.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ مَعْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمُحَدِّثَ فَافْعَلْ".

الشرح:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إِنْ اسْتَطَعْتَ: المخاطب هم صغار الطلبة،" أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمُحَدِّثَ: يعني: من غيرك، فَافْعَلْ: ولا تحرص على أن تتكلم وأنت في حادثة سنك وفي بداية طلبك للعلم.

فصغار الطلبة عليهم السكوت والإنصات بحضرة الأكابر، فمن هو أكبر منك في العلم والسن له قدره فاسكت في مجلسه، بل هذا ليس خاصاً في مجالس العلم، بل هو شامل لمجالس العامة فالصغير الذي يتكلم بحضرة كبار العامة يُنتقد، فكيف إذا كان صغيراً في السن وفي العلم وإذا جاء المشايخ أو طلاب العلم أو العلماء جالسهم وصار يتكلم بحضرتهم؟

هذا مدخل من مداخل الشيطان على العبد، وهو طريق إلى البحث عن الشهرة، ونوع من أنواع الرياء كما عدّه بعض أهل العلم. بل السكوت من تمام الأدب السكوت حتى في حضرة الأقران، حتى يلزمك الكلام، فالذي يسكت عند كفاية أخيه له خير من المتكلم، فسكوتك ليس لأجل كتمان العلم، بل لأنك كُفيت، ولأن كلامك

عند كفاية غيرك لك قد تحصل فيه إشكالات من اعتراض على صاحبك، أو يأتي الشيطان وتتكلم فيما لم يتكلم به لإظهار نفسك، فهذا أدب دقيق جداً لا يوفق له أي أحد.

فهذا الأثر فيه الحث على تقديم الإنصات والاستماع على المبادرة إلى الكلام، وعلى عدم التصدر للفتيا.

ومما جاء في الحث على الاستماع أكثر من الكلام قول أبي حاتم بن حبان البستي في كتابه روضة العقلاء: "الواجب على العاقل أن يُنصف أذنيه من فيه، ويعلم أنه إنما جُعِلَ له أذنان وفم واحدٌ ليسمع أكثر مما يقول؛ لأنه إذا قال ربما ندم، وإن لم يقل لم يندم".

وقول ابن مسعود رضي الله عنه: "إِنْ اسْتَطَعْتَ: هذا فيه تنبيه إلى أن بعض المواطن لا يحسن فيها السكوت.

فأحياناً يتعين الكلام عليك، فقد تكون في مجلس فيه طلاب علم، فتُطرح مسألة يخفى حكمها على الحاضرين من طلبة العلم، مع معرفتك بها فهنا يلزمك الكلام خوفاً من تبعة كتمان العلم.

أحياناً يسمع طالب العلم خطأ صريحاً في هذا المجلس، ويوجد طلاب علم سكتوا، فلا يجوز له أن يسكت بل عليه أن يتكلم، فهذا من نفع الناس الذي يتعين عليه ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو
عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، قَالَ: "كَانَ نَاسٌ يَأْتُونَ سَلْمَانَ فَيَسْتَمِعُونَ
حَدِيثَهُ يَقُولُ: هَذَا خَيْرٌ لَكُمْ وَشَرٌّ لِي".

الشرح:

أورد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ هذا الأثر عن يحيى بن جعدة قال: "كَانَ نَاسٌ: يعني: من طلاب العلم، يَأْتُونَ سَلْمَانَ: يعني: يحضرون ويتقصدون المجيء إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه، ويتحرون الزمان والمكان الذي سيكون فيه، ويلازمونه ملازمة شديدة، فقد كانت له مجالس علم يجلس للناس فيها رضي الله عنه.

قال: فَيَسْتَمِعُونَ حَدِيثَهُ: فقد كانت له مجالس علم يُدَرِّسُ الناس فيها، فمن طرق التعلم مجالسة أهل العلم، وهو أقوى الطرق وأفضلها. قال: فَيَقُولُ: أي لهؤلاء الطلاب، هَذَا خَيْرٌ لَكُمْ وَشَرٌّ لِي: أي: هذا الحديث الذي تسمعون منه وتنبع مجالس العلم خير لكم، يعني: إذا عملتم بهذا العلم الذي تسمعون، وهذا فيه فضل مجالس العلم وأنها مجالس خير.

قال: وَشَرٌّ لِي: شر لي، يعني: إذا لم أعمل بهذا العلم، أو إذا كانت له مقاصد سيئة في تصدره للتدريس، فهذه المجالس تكون شرًا على الملقى إذا كان يقصد في مجلسه التصدر والرياء والبحث عن الشهرة أو الدنيا أو غير ذلك من المقاصد السيئة.

وهذا القول من سلمان رضي الله عنه هذا من تواضعه، وإلا يكفيه شرف الصُّحبة، وأنه في ضمن الصحابة الذين قال الله عزَّ وجلَّ في شأنهم: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) [المائدة: ١١٩].

فيكفيه تعديل الله جلَّ وعلا للصحابة عمومًا وهو من ضمنهم، لكنه قال هذا القول من باب التواضع والخوف على نفسه من الشهرة والعُجب والرياء.

وفي الأثر تأديب للحاضرين فإذا سمعوا هذا الكلام من معلمهم وشيخهم ازدادوا تواضعًا.

فالمقصود من مجالس العلم: ليس تلقي العلم فحسب، بل مما يميز مجالس العلم عن غيرها أن هذه المجالس مجالس علم وتربية. ولهذا كان جمع من الناس يحضرون إلى مجالس الأئمة والعلماء الكبار من أجل الاستفادة من أدبهم وسمتهم.

كما قال ابن وهب المالكي رَحِمَهُ اللهُ: "ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه".



المُتَن:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: "إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَجْلِسَ مَعَ الْقَوْمِ فَيَرُونَ أَنَّ بِهِ عِيًّا وَمَا بِهِ مِنْ عِيٍّ إِنَّهُ لَفَقِيهٌ مُسْلِمٌ".

الشرح:

قال الحسن رحمه الله: "إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَجْلِسَ مَعَ الْقَوْمِ: يعني أنَّ بعض طلبة العلم يحضرون مجالس العلم ويجلسون مع القوم في حلق العلم، ولكنهم لا يشاركونهم في الحديث ولا في النقاش العلمي الذي يكون بين الطلبة، بل يلزمون الصمت حتى يظن الظان أن هؤلاء جهلة أو لا يحسنون الكلام، لأن العي في لغة العرب له معنيان: الجهل، وعدم حسن البيان.

قال: فَيَرُونَ أَنَّ بِهِ عِيًّا: أي جهلاً أو عدم حُسن بيان.

وَمَا بِهِ مِنْ عِيٍّ: ليس فيه جهل ولا قصور عن البيان.

قال: إِنَّهُ لَفَقِيهٌ مُسْلِمٌ: فهذا الذي يحضر ويسكت وينصت ويسمع فقيه من الفقهاء، فهو فقيه بما يُصلح نفسه، ولو تكلموا أيضاً لَعِلِمَ أنهم من أهل الفقه في الدين، لكن حملهم على الصمت تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ والورع وخوف الشهرة وحرصهم على التواضع وحرصهم على الإنصات للعلم والاشتغال عن ما لا ينفع واحترام الأكابر، واحترام مجالس العلم والخوف أن يخوضوا في مسائل لا يحسنونها، فيلزمون الصمت.

والصمت لا يكون محمودًا على كل حال، بل هو على قسمين:
قسم مشروع ويدخل فيه ما يلي:

أولاً: يجب الصمت عن كل كلام نُهت عنه الشريعة.

فالقاعدة العامة في باب النواهي وجوب الكفّ عنها، ومما يدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" رواه البخاري ومسلم.

ثانياً: يجب الصمت عن الكلام المباح الذي يؤدي إلى الكلام بباطل.

ومن القواعد الفقهية المقررة أن (الوسائل تعطى أحكام المقاصد). وهذه القاعدة تبين أن هذا المباح إذا أدى فعله إلى أمرٍ من الأمور المحرمة فإنه يكون ممنوعاً.

وقسم ممنوع ويدخل فيه ما يلي:

أولاً: يحرم الصمت إذا اعتقد الصامت أنه قربة لله عز وجل.

يدل على ذلك حديث قيس بن أبي حازم، قال: دخل أبو بكر على امرأة من أحسن يقال لها: زينب، فرآها لا تكلم، فقال: «ما لها لا تكلم؟» قالوا: حجت مصمتة، قال لها: «تكلمي، فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية»، فتكلمت" رواه البخاري.

ثانياً: يحرم الصمت إذا تعيّن الكلام.

ويتعين الكلام في تعليم الناس أمر دينهم، وفي الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر ما لم يكن في الإنكار باللسان مفسدة، وفي الاتيان بالأذكار الواجبة ونحو ذلك.

ومن ثمرات الصمت في وقته حصول الهيبة في قلوب الناس، فإذا احتاج إلى الكلام يكون لكلامه وقع في نفوس الناس فيعرفون أنه مايتكلم إلا لحاجة، بخلاف غيره ممن يُكثر الكلام بدون حاجة فهؤلاء يُخشى عليهم من ذهاب الهيبة في قلوب الناس.

والذي لا يضبط لسانه، يُخشى عليه من العجلة والخوض فيما لا يُحسن، ويُخشى عليه من الوقوع في التعامل السيء مع الناس.

ثم إن الصمت في وقته فيه فوائد:

منها حصول النجاة لصاحبه في الدنيا والآخرة، فقد جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ صَمَتَ نَجَا» رواه الترمذي. ويتعين الصمت في أزمنة الفتن، أو ترتب الآثار السيئة على الكلام. والصمت قد يُغطي عيوب الشخص، فأحياناً يكون سبب صمته الجهل فصمته فيه ستر لجهله.

ومن لطائف ما جاء في هذا الباب:

ما حُكي عن أبي يوسف الفقيه: أن رجلاً كان يجلس إليه فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف: ألا تسأل؟ ظنه طالب علم وصاحب صمت، قال: بلى، قال: متى يُفطر الصائم؟ قال: إذا غربت الشمس، قال: فإذا لم تغرب إلى نصف الليل؟ قال: فتبسم أبو يوسف وتمثل ببيتي الخطفي جد جرير:

عجبت لإزراء العيي بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للعيي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: "أَذْرَكْتُ عِشْرِينَ وَمِائَةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْصَارِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ وَلَا يُحَدِّثُهُ حَدِيثًا إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ".

الشرح:

يقول عبد الرحمن بن أبي ليلَى رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَذْرَكْتُ عِشْرِينَ وَمِائَةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْصَارِ: نصَّ على الأنصار ولم يذكر المهاجرين، لأن كثيراً من المهاجرين أهل فُتْيَا وفقه، بخلاف الأنصار فإنهم دونهم في هذا الباب.

وهذا دليل على شرف الأنصار، فإنهم من توقيهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم وورعهم أنهم كانوا يتورعون عن الفُتْيَا.

قال: مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ وَلَا يُحَدِّثُهُ حَدِيثًا إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ": وهذا فيه سلامة قلوبهم

لإخوانهم في تدافع الفُتْيَا، فالفُتْيَا تسقط بجواب عالم واحد، ولا يلزم في مسألة واحدة أن يتكلم فيها جميع أهل العلم، بل إذا قام عالم معتبر وتكلم فيها فإنه يسقط تسقط تبعة كتمان العلم عن البقية.

ومما يُستفاد من هذا الأثر: أنه فيه تهيب السلف وعلى رأسهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم من الفُتْيَا، وهذا دليل على

خشيتهم لله عَزَّ وَجَلَّ وورعهم، فالفُتيا بغير علم تهيّب السلف منها لخطورتها.

فالقول على الله بغير علم من أعلى مراتب المحرمات وأشدّها تحريمًا، بل جعله بعض أهل العلم قرينًا للشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال الله تعالى: (وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف: ٣٣].

ثم إنهم يعرفون ما الذي يترتب على القول على الله بغير علم من مفساد، وما يترتب عليه من الكذب على الله تعالى وعلى دينه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وتبديل الشريعة، وما يترتب على القول على الله بغير علم من إضلال الناس وتحمل أوزارهم يوم القيامة، وأنه موجب لدخول النار كما جاء في الحديث: «وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» رواه البخاري ومسلم.

فعلى طالب العلم أن يعرف قدر نفسه، ويعلم الناس بقدر ما تعلم، ولا يُنصّب نفسه مفتيًا يستقبل فتاوى الناس، فأسئلة الناس لا تنتهي وهي متنوعة، والناس لهم أغراض في أسئلتهم، فلا يفتح طالب العلم أذنيه لسماع كل شيء والجواب عنه.

وهناك مسائل نازلة ليس لآحاد أهل العلم الخوض فيها، وإنما هي لأكابر العلماء، كما قال الله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) [النساء: ٨٣].

فالنوازل لها أهلها، والتدريس له أهله، والوعظ له أهله، والفُتيا لها أهلها ولها شروطها، التي من أعظمها: العلم بأدلة الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ومعرفة دلالات الألفاظ وكيفية اقتباس الأحكام منها.

ولابدّ للمفتي أن يكون عالماً بعلوم المقصد على سبيل العموم، هذه شروط المفتي المطلق، ومن الذي يدّعي أنه يستكملها؟
فلنأخذ من هذا الأثر عبرة: فخير خلق الله تعالى بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتهيبون من الفُتيا.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إنّ التشبه بالكرام فلاح



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: "كَانَ عُرْوَةُ يَتَأَلَّفُ النَّاسَ عَلَى حَدِيثِهِ".

الشرح:

لما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ شيئاً من الآثار في التحذير من خطورة الجرأة على القُتيا والتسرع فيها لما تجره إلى القول على الله بغير علم وإلى الرياء والعُجب ومساوئ الأخلاق، بيّن في هذا الأثر أدباً رفيعاً في الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وهو: الحرص على تأليف قلوب المدعوين.

وتقدم بيان شيء من فضائل الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن المرء يدعوا إلى الله بقدر ما تعلّم، فلا يقول على الله بغير علم، ولا يترك الدعوة إلى الله تعالى إذا توفرت فيه شروطها.

قال الزهري رَحِمَهُ اللهُ قال: "كَانَ عُرْوَةُ: بن الزبير" يَتَأَلَّفُ النَّاسَ: والتأليف ضد التفريق، والتألف عَرَفَهُ ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: بأنه المداراة والإيناس، والمقصود منه هنا: بذل الوسع في تقريب الطلاب من العلم الشرعي بالأساليب الشرعية.

وترغيب الناس وتحبيبهم في العلم الشرعي له صور منها:

حسن التعامل معهم وتذكيرهم بشرف العلم الشرعي وفضله، وزيارتهم، وخدمتهم، وعدم المشقة عليهم في التدريس، ومخاطبتهم على قدر عقولهم، فإذا حضر المجلس من لا يفقه كثيراً مما تتقول سيزهد في هذا المجلس.

ومن تألَّف محمد بن الحسن رَحْمَةُ اللَّهِ لطلابِه قول الإمام الشافعي رحمه الله: (كان محمد بن الحسن يحدثنا على قدر عقولنا، ولو حدثنا على قدر عقله ما فهمنا عنه شيئاً).

وتألَّف الطلاب له فوائد منها ما يلي:

الفائدة الأولى: عوَّد أثر ذلك على المعلم، ففعله من الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ومعلوم فضل الدعوة وفضل هداية الخلق، فأول مستفيد من التألَّف المعلم، لأنه إذا علَّم سيُحصِّل الأجر الوارد في فضل التعليم.

الفائدة الثانية: سلامة المعلم من إثم كتمان العلم، فأحياناً يكون المعلم في مكان لا يوجد فيه علماء ولا طلبة علم، فيتعين عليه نشر العلم وتحبيب الناس في العلم، حتى يبلغ هذا العلم الذي عنده.

الفائدة الثالثة: بعث هم أصحاب الفتور، فعسى أن ينشطوا في طلب العلم.

فأكثر الناس لا يعرفون حقيقة العلم الشرعي، ولا يعرفون كثيراً من فوائده، ولا يعرفون كيفية طلب العلم، فمثل هؤلاء إذا كانوا في طريق وطلبة العلم في طريق آخر، فسيعيشون في طريقهم وينكبون على الدنيا، وربما يحصل لهم التعرض فتن الشبهات التي لا تواجه إلا بالعلم الشرعي.

الفائدة الرابعة: وجود طلاب للمعلم فيه مصلحة للمعلم، فينشط في مذاكرة العلم وفي تحضيره وفي ارتباطه للعلم، أما إذا كان منعزلاً عن الناس وعن تعليمهم فسيضعف، وربما يترك الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

الفائدة الخامسة: إذا لم يحرص المعلم على تألّف الطلاب ورأوا منه الجفاء والغلظة في التعامل، فإنهم ربما ينصرفون عنه إلى غيره من أصحاب التوجهات السيئة، وبعض المعلمين عندهم قصور في هذا الجانب.

فعلى المعلم ألا يعتبر أن ما يقوم به من تأليف طلابه وأهل مجتمعه نوع إذلال لنفسه، بل في عمله إعزازٌ لدينه.

قال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ: "من أعزَّ نفسه أذلَّ دينه، ومن أذلَّ نفسه أعزَّ دينه" وهذا الأثر ذكره الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في كتاب الزهد، **والإذلال هنا المراد به:** لزوم التواضع، وترك الكبرياء وترك الترفع، ولزوم اللين وحسن التعامل مع المدعو، فهذا فيه إعزاز للدين بدخول الناس في طلب العلم فيعتز الدين.

وليس المراد أن يُعَرِّض طالب العلم نفسه لما يكون سبباً في احتقاره، كما تقوم في بعض الدعوات الحركية، فأفراد هذه الجماعات همهم جمع الناس عليهم، ويفعلون أي طرق توصلهم إلى هذا المقصود، ولو كانت مشتملة على مخالفة شرعية.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو: "لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ يَعْنِي عُرْوَةَ قَالَ: "اَنْتُونِي فَتَلَقُّوا مِنِّي".

الشرح:

يقول: "لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ يَعْنِي عُرْوَةَ: ابن الزبير.
 قَالَ: "اَنْتُونِي فَتَلَقُّوا مِنِّي": أي: خذوا عني العلم، وهذا من تألّف الطلاب، وخاصة إذا وجد منهم عدم الرغبة في طلب العلم.
 والأصل أن الطلاب هم الذين يبحثون عن العلم وأهله، وقد قال الزهري رحمه الله: (هَوَانُ بِالْعِلْمِ أَنْ يَحْمِلَهُ الْعَالَمُ إِلَى بَيْتِ الْمُتَعَلِّمِ)، فالأصل: أن يأتي الطلاب إلى المعلم ويتعلمون.
 لكن مع كثرة الصوارف وبُعد الناس عن العلم فإن تألفهم من حسن أدب المعلم.
 وأحياناً قد يلجأ المعلم إلى دعوة الناس إلى دروسه، كأن يكون في مكان ليس فيه طلبة علم وهو أهل للتدريس والتعليم، فيدعوهم إلى دروسه لحصول المصالح التي سبق ذكرها في الأثر السابق.
 وأحياناً يفعل ذلك خوفاً على الشباب لكثرة دُعاة الفتن، فدُعاة الفتن قُطاع طريق، يجلسون للشباب في طرقاتهم، فإذا لم يزارحهم أهل الحق أثار أهل الباطل عليهم وساروا معهم في طريقهم الفاسد.
 فعلى المعلم أن ينظر في المصلحة من دعوة الناس إلى الدروس حتى يكون سبباً في إبعاد الناس عن أهل الأهواء الذين يذلون أنفسهم

ومقصودهم احتواء هؤلاء.
وأحياناً قد تستدعي المصلحة دعوة طالب العلم لحضور دروسه
بسبب عدم معرفة الناس به، فيفعل ذلك رغبة في حصول أجر نشر
العلم، والمعوّل على النوايا، فإذا فعل ذلك حرصاً على دعوة الناس
إلى الله فهو مأجور على فعله إن شاء الله.
وإذا كان همه تكثير السواد عليه فهذا مدخل من مداخل الشيطان
على العبد، نسأل الله العافية في ديننا.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ عَنْ
الْأَعْمَشِ عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ:
قِيلَ لِعَلْقَمَةَ: "أَلَا تَقْعُدُ فِي الْمَسْجِدِ فَيُجْمَعُ إِلَيْكَ وَتُسَالُ وَتُجْلَسُ
مَعَكَ فَإِنَّهُ يُسَالُ مَنْ هُوَ دُونَكَ، قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ
يُوطَأَ عَقِي يُقَالَ: هَذَا عَلْقَمَةُ هَذَا عَلْقَمَةُ!".

الشرح:

قال: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: قِيلَ لِعَلْقَمَةَ: القائل هم بعض
طلابه لما رأوا كراهية شيخهم للجلوس لتعليم الناس في المسجد.
وقديماً كانت أماكن التدريس أشمل من المسجد، فأحياناً توضع قباب
وخيم يُدْرَسُ فيها، والقُبَّة: كلُّ بناء مرفوعٍ مدوّرٍ وسقفُه مستدير
مقعرٌ على هيئة الخيمة، وأحياناً تكون الدروس في المساجد، وأحياناً
تكون في غير ذلك، فكان لا يُكثر الجلوس للطلاب في المسجد،
ويكره ذلك خوفاً من التعرض للشهرة؛ لأنَّ السلف يعرفون الآثار
السيئة التي تترتب على من كان حريصاً على الشهرة.

فكم من إنسان باع دينه بسبب شهرته، من وقوع في المداهنة، ومن
سكوت عن الحق، فهمه تكثير السواد، فلا يأمر بمعروف ولا ينهى
عن منكر ولا يُبين للناس السنة ولا يحذرهم من البدع حتى لا ينصرف
الطلاب عنه، فكان السلف يخافون على أنفسهم من الشهرة.

قَالَ: قِيلَ لِعَلْقَمَةَ: "أَلَا تَقْعُدُ فِي الْمَسْجِدِ: يعني: لنشر العلم

الشرعي.

فَيُجْمَعُ إِلَيْكَ: يعني: يجتمع الطلاب إليك في المسجد.

وَتُسْأَلُ: من الطلاب.

وَتُجْلِسُ مَعَكَ: هؤلاء طلابه.

فَإِنَّهُ يُسْأَلُ مَنْ هُوَ دُونَكَ: فإذا تركت الجلوس للناس في المسجد صار الناس يسألون من هو دونك في العلم.

قَالَ: فَقَالَ عَلَقَمَةُ: وهذا من حسن أدبه فإنه ما سكت بل اعتذر لطلابه، وهذا فيه تنبيه إلى أنه لم يترك نشر العلم، ولا مجالس العلم، وإنما قصد تجنب المساجد التي يرد إليها الجمع الكبير خوفاً على نفسه من الشهرة.

فَقَالَ عَلَقَمَةُ: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُوطَأَ عَقْبِي: يعني: أن يكثر أتباعي، فإذا خرج من المسجد أو من مجلس الدرس يطأ الناس عقبه، يعني: يكونون خلفه، فكان يخاف على نفسه؛ لأن كثرة الأتباع فتنة للمتبوع، فبعض الناس قد يغتر بحضور الجمع الكبير إلى درسه فيدخله داء العجب وحب المحمدة وحب التعظيم والثناء.

وطالب العلم الخائف على نفسه لا يرضى للطلاب أن يمشي أحداً خلفه بلا مصلحة خوفاً على نفسه، فإذا كثّر الجمع يفرقهم خوفاً على نفسه.

وبعض من ابتلي بحب الشهرة لا يحب أن يُخطأ بسبب كثرة أتباعه، فيبين له خطأه، ولا يرجع عنه، لأنه لو رجع سينصرف جمع من طلابه عن مجالسه، ويدعُ الاعتذار خشية على نفسه من اتهامه

بالجهل.

وبعضهم لا يُبين لطلابه الانحرافات الفكرية التي في طريقهم، ولا ينصح لهم خشية انصراف الجمع الكبير عنه، وهذا من الثمرات السيئة للشهرة.

قال: أَكْرَهُ أَنْ يُوطَأَ عَقْبِي يُقَالُ: هَذَا عَلْقَمَةٌ هَذَا عَلْقَمَةٌ!".

الناظر في طريقة السلف يلحظ أن لهم في هذا الباب مسلكان:

المسلك الأول: تأليف الطلاب والحرص على نشر العلم، كما مرَّ في أثر عروة السابق، فتجده يقول للطلاب: "اَتْتَوْنِي"، فهذا مسلك سلكه بعض العلماء وهو دعوة الطلاب إلى دروسه.

المسلك الآخر: إثارة الخمول خشية الشهرة.

ولا شك أن المرء أدرى بنفسه، فإن غلب على ظنه أنه ضعيف وقد يميل إلى الشهرة، فهذا له أن يتجنب المجالس الكبيرة التي يغشاها الجمع الكبير من الخلق، لكن لا يترك التدريس بل يدّرس في غير المساجد الكبيرة، وإذا ترك التدريس كله فهذا من تلبيس الشيطان عليه.

وإذا كان قوياً مجاهداً لنفسه على الإخلاص فله أن يتألف الطلاب وينشر العلم حتى في الجامعات العامة، وهذا المسلك سلكه الأنبياء، فإنهم كانوا يذهبون إلى أقوامهم في نواديهم وأماكن تجمعاتهم، وهذا الذي سلكه الخلفاء الراشدون وسار عليه جمع من العلماء، فالإنسان عليه أن يتوسط في هذا الباب.

وأحياناً يتسلط الشيطان على طالب العلم بحجة الخوف من الرياء

فيتجنب التدريس في المساجد الكبيرة فيتسلّط عليها صغار المعلمين،
وربما تولى التعليم فيها أهل البدع، فنشروا بدعهم فيها، وتعلّق الجهلة
بهم، فكان فرار أهل العلم من أهل السنة سببًا في نشر أهل الباطل
لباطلهم.



المُتَن:

حَدَّثَنَا جَرِيرٌ وَالضَّرِيرُ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِيمَا أَرَى، قَالَ جَرِيرٌ): "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ".

الشرح:

قال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِيمَا أَرَى: وهذا من التحري.

قَالَ جَرِيرٌ: "مَنْ سَلَكَ: يعني: من طلبة العلم، طَرِيقًا: أيَّ طريق يُسلك لطلب العلم من سماع وغيره.

يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا: شرعيًا، ما جزاؤه؟ قال: سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ: وسبق الكلام عن شطر هذا الحديث، فالعلم الشرعي يُعرفك بالله عَزَّ وَجَلَّ ويدعوك إلى العمل، وهذا سبب لدخول الجنة.

ثم قال: وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ: يعني: من كان بطيئًا في الأعمال وصاحب قصور في العمل، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ: لم يُلْحِقْهُ نَسَبُهُ بمرتبة أصحاب الأعمال العظيمة.

والمقصود من إيراد هذا الحديث: بيان أن العلم لا يُحصَل بالنسب، فاعلم أنك إذا قصرت في طلب العلم فإنَّ نسبك لا يوصلك إلى مراتب العلماء.

فيجب على العبد ألا يُقصر في العمل، ومنه العلم الشرعي وطلب

العلم الشرعي، وأن لا يتّكل على شرف النسب وفضيلة الآباء، فلن يكون المرء في عِداد العلماء وطلاب العلم اعتمادًا على نسبه، ففضائل العلم ينالها أهل العلم لا أهل الأنساب فحسب والميزان التقوى، وقد قيل:

لقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارسٍ وقد خذل الشركُ الشقي أبا لهب



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زَهِيرٌ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ
يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، قَالَ: "أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَكْتُبَ السُّنَّةَ، ثُمَّ كَتَبَ فِي
النَّاسِ: "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَمْحُهِ".

الشرح:

قال: "أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَكْتُبَ السُّنَّةَ، ثُمَّ كَتَبَ فِي النَّاسِ: "مَنْ كَانَ
عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَمْحُهِ": وهذا أمر، وفيه كراهة الصدر
الأول من هذه الأمة لكتابة السنة، خشية أن تلتبس بالقرآن، وأن
يضاهى القرآن بغيره، أو أن ينشغل الناس بالسنة عن القرآن.
وحكم كتابة العلم من المسائل التي اختلف فيها العلماء.
وسبب ذلك: ما ظاهره التعارض بين النصوص.

أما المنع من الكتابة فقد جاء فيه حديث عند مسلم وغيره أن النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ
الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهِ»، ثم جاء الإذن بالكتابة كما جاء في الحديث:
«اَكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ» رواه البخاري.

فالسلف اختلفوا في ذلك، يعني: عملاً وتركاً، ثم استقر الإجماع
وانعقد على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل أحياناً تكون
كتابته متعينة واجبة، إذا لم يوجد وسيلة لضبط العلم إلا الكتابة
فتكون الكتابة واجبة، فأثر عمر رضي الله عنه كان في أول الأمر،
وسياقي ما يدل على التنصيص والحث على كتابة العلم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ طَاوُسٍ، قَالَ: "إِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْتُبُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ عَنِ الْأَمْرِ، فَيَقُولُ لِلرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ بِالْكِتَابِ: "أَخْبِرْ صَاحِبَكَ بِأَنَّ الْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّا لَا نَكْتُبُ فِي الصُّحُفِ إِلَّا الرِّسَائِلَ وَالْقُرْآنَ".

الشرح:

قال: عَنْ طَاوُسٍ، قَالَ: "إِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْتُبُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ عَنِ الْأَمْرِ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَتَلَقَّى الرِّسَائِلَ وَالْكَتَبَ مِنَ الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ يُسْأَلُ فِيهَا عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ شَأْنٌ عِنْدَ النَّاسِ، مِثْلَ مَا يَتَعَلَّقُ فِي زَمَانِنَا بِالْحَوَادِثِ الْمُسْتَجِدَّةِ أَوْ النَّوَازِلِ. وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ، كَانَ مِمَّنْ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، وَجَاءَ عِنْدَ أَحْمَدَ: «وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ».

وقد تحققت هذه الدعوة فاشتهرت علومه وارتحل إليه الطلبة وصار يُسْتَفْتَى فِي الْمَسَائِلِ النَّازِلَةِ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَكْتُبُ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ فِي الْأَمْرِ الْمُسْتَجِدِّ وَفِي النَّوَازِلِ.

فيقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِلرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ بِالْكِتَابِ: "أَخْبِرْ صَاحِبَكَ بِأَنَّ الْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا: الْأَمْرُ يَعْنِي: الْجَوَابُ كَذَا وَكَذَا، فَكَانَ جَوَابُهُ مَشَافَهَةً لَا مَكَاتَبَةً.

قال: فَإِنَّا لَا نَكْتُبُ: هذا تعليل لفعله.

قال: فَإِنَّا لَا نَكْتُبُ فِي الصُّحُفِ: يعني: الأوراق التي يُكتب فيها، إِلَّا الرِّسَائِلَ وَالْقُرْآنَ: فكان يُكتب فيها الرسائل التي كان يرسلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأشخاص والقبائل من أجل دعوتهم إلى الإسلام.

فكان يرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الفُتيا لا تُكتب، وهذا اجتهاد منه، وإلا فقد جاء في الحديث الذي رواه الدارمي وغيره بسند صحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ»، ففي هذا الحديث الحث على حفظ العلم بواسطة الكتابة، ويدخل في ذلك تقييد النوازل والفتاوى.

قال: وَالْقُرْآنَ: لحديث: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهِ» رواه مسلم، وتقدم أن هذا كان في أول الأمر. فدل الأثر على أنه لا مانع من كتابة العلم ومنه الفتاوى، وأن فعل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعله كان احتياطاً منه أن لا يُكتب أي شيء، وإلا كتابة العلم جاء ما يدل على مشروعيتها.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ فَضِيلٍ عَنْ ابْنِ شُبْرَمَةَ عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: "مَا كَتَبْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْ رَجُلٍ حَدِيثًا فَأَرَدْتُ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيَّ".

الشرح:

قال: عَنِ الشَّعْبِيِّ: عامر الشعبي فقيه من الفقهاء وإمام عظيم من أئمة المسلمين، يُخبر عن نفسه قال: "مَا كَتَبْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ: سوداء يعني: حبر، في بيضاء يعني: على ورق، يعني: لم أخلط حبراً على ورق في كتابة العلم، بسبب شدة حفظه.

وَلَا سَمِعْتُ مِنْ رَجُلٍ حَدِيثًا فَأَرَدْتُ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيَّ": لشدة حفظه، وهذا فيه شدة حفظ بعض السلف للعلم واستغنائهم عن الكتابة، والحفظ من طرق ضبط العلم.

لكن لا شك أن الجمع بين الحفظ والكتابة أولى؛ لأنَّ المرء لا يدري ما يعرض له، فقد يصاب بآفة أو بمرض يضعف حفظه.

وقد جاء في الحديث المتقدم: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ»، فالحفظ والكتابة وقوة الفهم تكون بملازمة العلم، والعلم يُضبط بما يحصل ضبطه من حفظ أو كتابة أو حضور مجالس علم أو غير ذلك.

فإن تيسر حفظ العلم فحسن، وإلا فلا يُفترط المرء في كتابة العلم، بل قد جاء عن ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: أنه كان لا يُحَدِّثُ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ، وهذا من احتياظه أن لا يروي شيئاً بالمعنى.

وأولى ما ينبغي أن يُعتنى بحفظه حفظ القرآن الكريم والأحاديث وحفظ أصول العلم وقواعده سواء كانت منثورة أو منظومة. ولهذا بعضهم يُفضل النظم في قواعد العلم بعضهم كما قال الأول: لكنّ حفظ النثر ليس يخلو من نوع عُسرٍ والنظام يخلو فالنظم يضبط لك شتات مسائل العلم. وعناية العلماء المتقدمين في تقرير مكانة الحفظ يطول ذكره، فقد وردت عنهم آثار كثيرة في ذكر فوائد الحفظ، بل في ذكر الأماكن التي يُحفظ فيها والأزمنة المناسبة للحفظ وما يعين على الحفظ. ومما ورد عنهم قولهم: (من حفظ المتون فاز بالفنون). وذكر الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في السِّير: أنه لما أحرق المعتمد ابن عباد كتب ابن حزم، قال ابن حزم: فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري يسير معي حيث استقلت ركائي وينزل إن أنزل ويُدفن في قبري ومن طرائف ما قيل في الحث على حفظ العلم قول الشاعر:

عليك بالحفظ دون الجمع في كتبٍ فإن للكتب آفات تُفريقها
الماء يُغرقها والنار تُحرقها والفأر يخرقها واللص يسرقها

والجمع بين الأمرين حسن كما سبقت الإشارة إليه.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ
مُجَاهِدٍ: " (وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [الفرقان: ٧٤] قَالَ: نَأْتُمُّ بِهِمْ
وَنُقْتَدِي بِهِمْ، حَتَّى يَقْتَدِيَ بِنَا مَنْ بَعْدَنَا".

الشرح:

عَنْ مُجَاهِدٍ: يعني: في تفسير هذه الآية: (وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ): الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية، فامتلأوا بالأوامر وتكروا النواهي. (إِمَامًا): يعني: قدوةً حسنة في الخير، قَالَ: في معنى هذه الآية، نَأْتُمُّ بِهِمْ وَنُقْتَدِي بِهِمْ: يعني: نسير على طريقة أهل التقوى، حَتَّى يَقْتَدِيَ بِنَا: يعني: إذا صرنا علماء يَقْتَدِيَ بِنَا مَنْ بَعْدَنَا".

وهذا أحد الأقوال التي ذكرها أهل التفسير في معنى هذه الآية. وذهب ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية: إلى أنَّ الداعي يطلب الإمامة ليقتدى به، فلا مانع أن يسأل أهل العلم ربه أن يكونوا أئمة للخير يقتدى بهم.

والإمامة ليست دعوة تُدعى، بل تحتاج إلى صبر ويقين كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) [السجدة: ٢٤].

قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان: (بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين).



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ،
(وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ)، قَالَ: "مُعَلِّمًا لِلْخَيْرِ".

الشرح:

من مقولة عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، قوله: (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ):
ففسر مجاهد رحمه الله البركة هنا بتعليم الناس الخير، فقال: "مُعَلِّمًا
لِلْخَيْرِ"، فيتعلم الناس منه الخير في أي مكان يحل فيه، وينتفعون به،
فالبركة جعلها الله في عيسى عليه السلام من تعليم الخير والدعوة
إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من
جالسه، أو اجتمع به، نالته بركته، وسعد به مصاحبه.

وبعض طلاب العلم مبارك ينتفع الناس به في العلم والتوجيه وجميع
صور الإحسان، فهذه من البركة، والذي يُعَلِّمُ الناس الخير يُحْصِلُ
ثمرات تقدّم ذكر بعضها منها: استغفار الملائكة له، وأنه يستغفر له
من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وينتفع
الناس به ويعملون بالعلم الذي علمهم ويعلمون غيرهم، فيعود أثر
ذلك عليه.

فكم من الأجور التي يُحْصِلُها معلم الناس الخير فلا مانع أن يسأل
الإنسان ربه أن يجعله مباركًا أينما كان.



المُتَن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، قَالَ: "قِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ عِكْرِمَةَ. فَلَمَّا قُتِلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: مَا خَلَّفَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. قَالَ: وَقَالَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا بَلَغَهُ مَوْتُ إِبْرَاهِيمَ: أَهْلَكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: لَوْ قُلْتُ أَنْبِي الْعِلْمَ: مَا خَلَّفَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَالْعَجَبُ أَنَّهُ يُفَضِّلُ ابْنَ جُبَيْرٍ عَلَى نَفْسِهِ، وَسَأَخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: إِنَّهُ نَشَأَ فِي أَهْلِ بَيْتِ فَقْهِ فَأَخَذَ فَقْهَهُمْ ثُمَّ جَالَسَنَا، فَأَخَذَ صَفْوَةَ حَدِيثِنَا إِلَى فَقْهِ أَهْلِ بَيْتِهِ فَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ؟".

الشرح:

هذا الأثر فيه جملة من الفوائد التربوية.

قال: عَنْ مُغِيرَةَ، قَالَ: "قِيلَ: والقائل هو المغيرة بن مقسم الضبي.
"قِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟: هذا فيه اعتراف من المغيرة بمكانة سعيد بن جبير في العلم، فقد أقر له بالعلم لكن سألته فقال: هل تعرف أحد أعلم منك؟ فهو يُقر أنه من أهل العلم، وإنما أراد أن يعرف أعلم أهل زمانه.

وسؤاله هذا كان لمصلحة، ومثل هذا السؤال إذا أُريد به مقصد حسن فلا مانع منه، فإن أهل العلم في الزمان الواحد يتفاضلون، في المكنة من ضبط العلوم كما هو مشاهد، فهذا متقن لعلم الاعتقاد، وهذا متقن للفقه، وهذا متقن لأصول الفقه، وهذا متقن للنحو،

وبعضهم قد يكون أتقن من الآخر في باب من أبواب العلم الواحد، فطالب العلم يفيد معرفته حال أهل العلم في زمانه من جهة التمكن في العلوم، حتى يدرس عند كل شيخ ما أتقنه، فإذا كان الواحد يسأل من أفضل فلان أو فلان في كذا؟ فقليل له: هذا أفضل منه في كذا، وهذا أقوى منه في الفن الفلاني، فإنه لا مانع منه، وليس هذا مطعناً في أهل العلم.

فإنَّه عَزَّ وَجَلَّ يقول: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) [يوسف: ٧٦]، والمعنى: يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم.

وقد جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «معاذ بن جبل أمام العلماء يوم القيامة برتوة» رواه الطبراني وصححه الألباني، والمراد برتوة يعني: بمسافة وخطوة، وهذا دليل على تقدمه على غيره في العلم.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في إعلام الموقعين جملة من الآثار في بيان أعظم الصحابة فضلاً في العلم.

ومن الآفات التي ابتلي بها بعض الأحداث والصغار في العلم: التنقص من بعض أهل العلم بسبب قصورهم في بعض فنون العلم والإعراض عنهم، فهذه مشكلة عظيمة فإذا كنت تبحث عن شيخ متقن لجميع العلوم فإنك لن تجد هذا الصنف من الناس فإنه لا يوجد عالم متقن لجميع العلوم من جميع جوانبها كما دلَّ على ذلك قول الله تعالى: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ).

والعاقِل يسأل عن أهل العلم من جهة حالهم في العلم، فيأخذ عن آحادهم ما ضبطه من علم، فيكون مثل النحلة التي تطوف بين الأزهار فتأخذ من هذه ومن هذه ومن هذه، والنتيجة حصول العسل المفيد.

أما أن يذهب إلى طالب علم ويرى عنده قصورًا في جانب من جوانب العلم، ثم يذهب فيزهد فيه ويتنقصه ويكون سببًا في صد الناس عنه فهذا من قلة الأدب.

وكذلك من قلة الوفاء: عدم حفظ قدر من علّمك في الصغر، فبعض الناس في صغره يجالس طالب علم ويستفيد منه ثم يستمر في طلب العلم فيفوق شيخه في العلم، فيزدري من علّمه في الصغر، وهذا الصنيع من قلة الوفاء، فعندما علمك كنت بحاجة إلى معلوماته التي تراها قاصرة بعد ذلك فاحفظ له هذا الفضل، فإنه علمك وأنت جاهل، فدعه وشأنه واتركه يُعلم الصغار وينتفعون به.

"قِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ عِكْرَمَةُ: عكرمة وهو مولى ابن عباس، يعني قال: عكرمة، فهو أعلم مني وهذا من تواضعه، فالعالم كلما ازداد علمًا ازداد تواضعًا وعرف قدر نفسه. وصنيعه فيه اعتراف لأهل الفضل بفضلهم، وفيه تربية للطلاب على لزوم التواضع وحسن الأدب.

قَالَ: المغيرة، فَلَمَّا قُتِلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: وسعيد بن جبیر -عفا الله عنه ورحمه- كان ممن قتله الحجاج في سنة: (٩٤هـ) في آخرها، وقيل: أوائل سنة: (٩٥) للهجرة، بسبب دخوله في فتنة عبد الرحمن بن

الأشعث، التي قُتل فيها أكثر من مائة ألف مسلم فيهم علماء، وما نجا منها إلا من نجاه الله.

فَلَمَّا قُتِلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ إِبْرَاهِيمُ -يعني: النخعي- مَا خَلَّفَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ: وهذه تزكية من النخعي لسعيد بن جبير، يعني: أنه ما خلف بعد موته مثله في العلم، فهو عنده أعلم من عكرمة الذي عاش نحو تسع سنوات بعده، أو بعد ابن الزبير.

قَالَ: وَقَالَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا بَلَغَهُ مَوْتُ إِبْرَاهِيمَ: أَهْلَكَ الرَّجُلُ؟: يعني: أمات، لأن الهلاك معناه السقوط، ولذلك يُقال للميت: هلك. قَالَ: لَوْ قُلْتُ أَنْعِيَ الْعِلْمَ: وهذه مبالغة منه، يعني لو قلت لكم: أنا أخبركم بموت العلم، فالعلم انتهى بعده، وهذه مبالغة منه لكثرة ما حوى من العلم، فهو يفضل على من بقي.

قَالَ: لَوْ قُلْتُ أَنْعِيَ الْعِلْمَ: مَا خَلَّفَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ: وهذه تزكية من الشعبي للنخعي، وأنه ما خلف بعده مثله في العلم.

قال: وَالْعَجَبُ أَنَّهُ يُفَضِّلُ ابْنَ جُبَيْرٍ: العجب من إبراهيم النخعي، وهو من فقهاء المسلمين، أَنَّهُ يُفَضِّلُ ابْنَ جُبَيْرٍ عَلَى نَفْسِهِ: يعني: أنه لم يتكبر ولم يقع في حسد الأقران، فيتعجب منه، فالأقران يحصل بينهم ما يحصل من التنافس والحسد، ومع ذلك يفضل ابن جبير على نفسه.

فثناء النخعي على ابن جبير دليل تواضعه، وإلا فالنخعي أعلم من سعيد بن جبير.

قال: **وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ**: يعني: عن سبب تواضع النخعي، مع سعة علمه وهي التربية التي تربي عليها.

قال: **إِنَّهُ**: يعني: إبراهيم النخعي، **نَشَأَ فِي أَهْلِ بَيْتِ فَقْهِ**: فهذه الأسرة المباركة أسرة فقه وعلم، فخاله علقمة بن قيس، والأسود بن قيس، هما من تلاميذ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فأهل هذا البيت أهل علم، أثمرت له هذه التربية.

وقال: **فَأَخَذَ فَقْهَهُمْ ثُمَّ جَالَسَنَا فَأَخَذَ صَفْوَةَ حَدِيثِنَا**: فجمع ما عندنا وجمع ما عند أقاربه.

قال: **فَأَخَذَ صَفْوَةَ حَدِيثِنَا إِلَى فَقْهِ أَهْلِ بَيْتِهِ**: فجمعه إلى الفقه الذي حصَّله من أهل بيته، فجمع بين الفقه والحديث وأخذ العلم على أهله.

ولهذا من وسائل التربية: مجالسة أهل العلم، من يستفيدون من علمهم وأدبهم.

قال: **فَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ؟**: من مثل النخعي في العلم والتواضع. ومن فوائد هذا الأثر: أنَّ من الآداب التي ينبغي أن يكون عليها أهل العلم سلامة قلوب بعضهم لبعض، وعدم الوقوع في التنافس وحسد الأقران، فثناء بعضهم على بعض يدل على سلامة قلوبهم، وعلى أن هذه الصفة هي التي ينبغي أن يكون عليها طلاب العلم.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ الطَّائِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ، يَقُولُ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَطْلَبَ لِلْعِلْمِ فِي أَفْقٍ مِنَ الْآفَاقِ مِنْ مَسْرُوقٍ".

الشرح:

قال عامر الشعبي رَحِمَهُ اللهُ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَطْلَبَ لِلْعِلْمِ فِي أَفْقٍ مِنَ الْآفَاقِ مِنْ مَسْرُوقٍ": يقصد به: مسروق بن الأجدع الهمداني، وقوله: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ: هذا الحكم على شيء معين يحتاج إلى تثبُّت، فالتزكيات لا يُستعجل فيها، بل الحكم على الشيء ينبغي أن يكون مبنياً على علم تام.

"مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَطْلَبَ لِلْعِلْمِ: يعني: ما رأيت أحداً أكثر وأشد للعلم طلباً واجتهاداً، فِي أَفْقٍ مِنَ الْآفَاقِ: الأفق: الناحية، يعني: في ناحية من النواحي، من البلدان، مِنْ مَسْرُوقٍ".

وهذا الأثر فيه تزكية من إمام وعالم وهو عامر الشعبي، وعامر الشعبي معروف أيضاً بالرحلة في طلب الحديث، بل إنه رحل إلى مكة من أجل ثلاثة أحاديث، فهذه شهادة بأنه لا يعرف أكثر اجتهداً في تحصيل العلم من مسروق، ومن ذلك الرحلة في طلب العلم.

وفي هذا الأثر تنبيه إلى أَنَّ العلم الشرعي لا يُنال براحة الأجساد، بل يُحصل ببذل الجهد في تحصيله، فكلُّ ما يكون سبباً في تحصيل العلم ينبغي لطالب العلم أن يكون حريصاً على فعله.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ ثَنَا هُشَيْمٌ، حَدَّثَنَا سَيَّارٌ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَيَّانَ، "إِنَّ رَجُلًا رَحَلَ إِلَى مِصْرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَلَمْ يَحُلَّ رَحْلَهُ حَتَّى رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ: مَنْ سَتَرَ عَلَى أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ".

الشرح:

قال: عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَيَّانَ، "إِنَّ رَجُلًا: وهذا الرجل هو عقبة بن عامر، فهذا الأثر خرّجه الإمام أحمد في مسنده وفيه: قَالَ ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، فِي حَدِيثِهِ: "رَكِبَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ إِلَى مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَلَّدٍ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرَ" فسافر إلى مصر في هذا الحديث، يعني: رحل من أجل طلب سماع حديث واحد.

فَلَمْ يَحُلَّ رَحْلَهُ: الرحل هو الذي يوضع على ظهر البعير للركوب، فلم يُنْزَلْ، بل ذهب وسمع الحديث ورجع إلى بيته.

قال: فَلَمْ يَحُلَّ رَحْلَهُ حَتَّى رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ: وهذا الحديث الذي رحل من أجل سماعه هو حديث: مَنْ سَتَرَ عَلَى أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا: الستر: التغطية والإخفاء، عَلَى أَخِيهِ: يعني: المسلم، فِي الدُّنْيَا: من ستر عليه في الدنيا، قال: ستر الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، يعني: أنه لا يفضحه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، فالجزاء من جنس العمل.

والأصل في المنكرات والمعاصي السترُ على أصحابها، إلا إذا كان

صاحب المعصية مُعلنًا بفسقه، فهذا لا غيبة له ويجب أن يُبين خطره للناس حتى يحذروه، مثل: أهل البدع، ومثل المجاهرين بالمنكرات، فهؤلاء حقهم ألا يُستر عليهم، إذا جاهرُوا وكان ضررهم متعديًا، أما المستتر فإنه يُترك من حيث عدم الفضيحة، ويُنصح.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: " قال بعضُ الوزراءِ الصالحينَ لبعضِ من يأمرُ بالمعروفِ: اجتهدْ أن تسترَ العُصاةَ، فإنَّ ظهورَ معاصيهم عَيْبٌ في أهلِ الإسلامِ، وأوْلَى الأمورِ سترُ العيوبِ".

وهذا الأثر فيه الحرص على طلب العلم وبذل الوسع فيه بكل سبيل ممكنة، ومن ذلك الرحلة في طلب العلم.

والرحلة في طلب العلم منهج السلف الصالح، وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم والتابعون، فإنهم رحلوا إلى طلب العلم.

ومن فوائد الرحلة في طلب العلم قديماً: طلب الأسانيد العالية والتفرغ لطلب العلم.

ووسائل العلم في زماننا بحمد الله ومنته متوافرة، والوصول إلى مسائل العلم أيسر بكثير من الزمن السابق، فالواجب علينا شكر الله عزَّ وجلَّ على هذه النعم العظيمة، واستعمالها في طاعة الله عزَّ وجلَّ وفيما يقربنا إليه، ومن ذلك الوصول إلى مسائل العلم وإلى أهل العلم عن طريق هذه المواقع التي يسرت وسهلت الوصول إلى العلم الشرعي وتحصيله.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: "أَمَلَى عَلِيٌّ نَافِعٌ".

الشرح:

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ هذا الأثر قال: "أَمَلَى عَلِيٌّ نَافِعٌ": ليستشهد به على جواز كتابة العلم، ولكنه اختصره هنا.

وقد رواه بأطول من ذلك الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه عن زهير بن حرب وابن أبي عمر كلاهما عن سفیان عن ابن جريج قال: أَمَلَى عَلِيٌّ نَافِعٌ فِي الْوَا حِي قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَبَايَعَ الْمُتَبَايِعَانِ الْبَيْعَ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْخِيَارِ مِنْ بَيْعِهِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ يَكُنْ بَيْعُهُمَا عَنْ خِيَارٍ»، وجاء عند السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء قال ابن جريج: "أَمَلَى عَلِيٌّ نَافِعٌ فِي الْوَا حِي".

وهذا الأثر فيه التنبيه إلى طريقة من طرق تحمل العلم، وهي الإملاء، وهو فرع عن السماع للفظ الشيخ، فالسماع من لفظ الشيخ ينقسم إلى: إملاء، أو تحديث، والإملاء أقوى طرق تحمل العلم، والمعنى: أن الشيخ يُمَلِّي الطالب يكتب، ووجه كونها أقوى طرق تحمُّل العلم لأنه يلزم من هذه الطريقة تحرز الشيخ والطالب، فهذا فيه التنبيه إلى أن طالب العلم عليه أن يحرص ما استطاع على فعل أقوى الطرق التي تحصل في تحمل العلم الشرعي.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: "أَمَلَى عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ وَكَتَبَتْهُ بِيَدِي".

الشرح:

هذا الأثر من جهة معناه مثل الأثر الذي قبله، ففيه صحة وتحمل العلم عن طريق الإملاء.

والذي أملى على ورَّاد كاتب المغيرة جاء في صحيح البخاري، من طريق سفيان بن عبد الملك بن عُمير عن ورَّاد كاتب المغيرة بن شعبة.

قَالَ: "أَمَلَى عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ: بن شعبة في كتاب معاوية أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»، ورواه مسلم أيضاً.

وهذا الأثر فيه تنبيه إلى أن تقييد العلم بالكتابة أضبط للمسموع، وفيه تنبيه إلى تقييد العلم عمومًا بالكتابة.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَنِ الْأَعْمَشِ،
 قَالَ: ذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ فَرِيضَةً أَوْ حَدِيثًا فَقَالَ: "احْفَظْ هَذَا، لَعَلَّكَ
 تُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ".

الشرح:

ذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ: يعني: النخعي، فَرِيضَةً: المقصود بالفريضة هنا: العلم
 الذي تعلمه فريضة، لأن العلم على قسمين: علم عيني، وعلم
 كفائي.

والعلم العيني عرفه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: بأنه العلم الذي لا يستقيم
 دين المرء إلا به، فهذا يجب تعلُّمه على كل إنسان بعينه.
 والعلم الكفائي: هو العلم الذي إذا قام به البعض سقط الإثم عن
 الباقيين.

فذكر إبراهيم النخعي علماً تعلمه من باب الفرض العيني.
 قال: أَوْ حَدِيثًا فَقَالَ: قال إبراهيم لتلميذه الأعمش: "احْفَظْ هَذَا:
 يعني: هذا العلم الذي سمعته احفظه، أو احفظ هذا الحديث، على
 رواية الشك.

"احْفَظْ هَذَا: والحفظ يشمل حفظ الصدر وحفظ الكتاب، وعلى
 طالب العلم أن يعتني بالأمرين.

ومن فوائد ضبط الكتاب: أنه أسلم من طوارئ النسيان.
 فالإنسان في مرحلة صغره وشبابه قد يكون جانب الحفظ عنده

قويًا، لكن كلما كبر ضعف حفظه، فإذا جمع بين نوعي الحفظ فقد حصل خيرًا كثيرًا، فإذا نسي ما حفظه رجع إلى كتابه الذي خط فيه العلم.

قال: "اَحْفَظْ هَذَا، لَعَلَّكَ تُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ": الدهر: الزمن والوقت، وهذا من بُعد نظر المعلم، فإنّ طالب العلم لا يدري متى يحتاج إلى العلم، ولا يدري متى يُحتاج إليه هو. وفي مرحلة الطلب قد تستقر بعض مسائل العلم في ذهن الطالب، فيكون نشيطًا في بداية طلبه للعلم، فيسمع مسألة مرات كثيرة فتمر به في كتاب يدرسه ولا يقيدها، لأنها مستقرة عنده ومحفوظة، فيُهمَل أثناء الدرس كتابة هذه الفائدة لوضوحها عنده، ثم إذا كبرت سنُّه وكثرت الكتب التي يدرسها ربما ينسى هذه المعلومة. فينبغي للطالب ألا يحتقر شيئًا في كتابته وتقييده للعلم ولو كان من الواضحات عنده، فالواضح اليوم عندك ربما يكون غدًا ليس بواضح عندك، فقيد العلم فقد تحتاج إليه في زمن من الأزمان.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ
إِبْرَاهِيمَ قَالَ: "كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُظْهَرَ الرَّجُلُ مَا عِنْدَهُ".

الشرح:

يقول الأعمش عن إبراهيم النخعي، وهذه من الفوائد التي استفادها
الأعمش من شيخه النخعي.

قَالَ: "كَانُوا": يعني: مشايخه وهم كبار تلاميذ ابن مسعود رضي الله
عنه، وغير تلاميذه.

قَالَ: "كَانُوا يَكْرَهُونَ": يكرهون يعني: لا يرضون هذا العمل
ولا يحبونه، وهو أن يُظهر الرجل ما عنده.
وفي رواية: "أن يُظهر الرجل أحسن ما عنده".

والمقصود بهذا بيّنه الخطيب البغدادي رحمه الله بقوله: (عَنِ
إِبْرَاهِيمَ بِالْأَحْسَنِ الْغَرِيبِ غَيْرِ الْمَأْلُوفِ يُسْتَحْسَنُ أَكْثَرُ مِنَ الْمَشْهُورِ
الْمَعْرُوفِ)، والغريب: هي المسائل النادرة التي يحسن الكلام فيها في
المجالس الخاصة ولا يصلح إشهارها للعامة ولا للمبتدئ في طلب
العلم.

فالمسائل النادرة والغريبة التي فوق أذهان الطلاب المبتدئين، كانوا
يكرهون أن تُظهر في مجالس الصغار.

وعلة الكراهة: أنَّ الولع بالغرائب وطرحها في المجالس العامة فيه
تحديث للعامة بما لا يُحسنون، وقد يكون فتنة لهم.

وكذلك هذا العمل من مداخل الشيطان على العبد، ففيه فتح لإظهار نفسه وإبرازها على أقرانه.

فطالب العلم عليه أن يحذر من كل سبيل يُفضي إلى الرياء وإلى الشهرة، وأن يُغلق هذا الباب على نفسه، لأن هذا من مداخل الشيطان عليه.

ويُحتمل أن معنى قوله: **يَكْرَهُونَ أَنْ يُظْهَرَ الرَّجُلُ مَا عِنْدَهُ**: يعني: على المعلم ألا يُظهر أحسن ما عنده للطالب المبتدئ حتى لا ينفر من العلم.

ولهذا قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ -وهو من تلاميذ محمد بن الحسن- قال: (كان محمد بن الحسن يُحدثنا على قدر عقولنا، ولو حدثنا على قدر عقله ما فهمنا عنه العلم).

ومخاطبة المعلم للمبتدئ بما لا يناسب قدرته العلمية دليل على قلة الفقه، فالناس عليهم أن يُحدثوا بما يعقلون حتى لا تحصل المفاصد المترتبة على مخاطبتهم فوق عقولهم.

وقيل أيضاً: يُحتمل أن يكون المراد من هذا الأثر: أنهم كانوا يكرهون أن يُظهر طالب العلم المبتدئ أحسن ما عنده أمام أقرانه، فلا يُظهر لهم أسانيد العلم والإجازات التي حصَّلها، ولا يُظهر لهم قوة الحفظ، ولا يُظهر لهم قوة صلته بالمشايخ، فلا يُظهر أحسن ما عنده من الأشياء الحسنة؛ لأنَّ مثل هذه الأشياء تولّد الحسد بين الأقران، فيقع بينهم التنافس المذموم، أو البحث عن الشهرة والرياء، وهذه الأدواء قد تحصل عند المبتدئين في طلب العلم.

قال النووي رحمه الله عن بعض السلف: " وقالوا: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، معناه: كانت عاقبته أن صار لله تعالى". وقال الذهبي رحمه الله في ترجمة معمر بن راشد: "نعم يطلبه أولاً والحامل له حب العلم، وحب إزالة الجهل عنه، وحب الوظائف، ونحو ذلك، ولم يكن علم وجوب الإخلاص فيه، ولا صدق النية، فإذا علم حاسب نفسه، وخاف وبال قصده، فتجيئه النية الصالحة كلها أو بعضها، وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم، وعلامة ذلك أنه يُقصر من الدعاوى وحب المناظرة، ومن قَصَد التكثير بعلمه ويزري على نفسه".



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَثَّامُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَامِرِيُّ، قَالَ سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ، يَقُولُ: "مَا سَمِعْتُ، إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ فِي شَيْءٍ بِرَأْيِهِ قَطُّ".

الشرح:

قال الأعمش: "مَا سَمِعْتُ، إِبْرَاهِيمَ -وهو شيخه إبراهيم النخعي- يَقُولُ فِي شَيْءٍ: يعني: في شيء من مسائل دين الله عَزَّ وَجَلَّ بِرَأْيِهِ. فمن خصائص أهل السنة في مصادر التلقي: الاعتصام بالكتاب والسنة للنصوص التي جاءت في الأمر بذلك، ومنها: قول الله عَزَّ وَجَلَّ: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء: ٦٥]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب: ٣٦]. وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَإِذَا هَيَّئْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» رواه البخاري.

وقد قال الشاعر:

دين النبي محمدٍ أخبار	نعم المطيعة للفتى الآثار
لا تغفلن عن الحديث وأهله	فالرأي ليلٌ والحديث نهار
ولربما ضلَّ الفتى سبل الهدى	والشمس ساطعةٌ لها أنوار

ومن خصائص أهل السنة: عنايتهم بالأسانيد، لأن هذا الأمر دين يحتاج إلى تثبت، وقد قال ابن المبارك رحمه الله: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء).

فأهل السنة أهل عناية بالحديث، وأهل تثبت وتمحيص لما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن خصائص أهل السنة: فهمهم الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن الله عدلهم وزكاهم، بقوله: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) [التوبة: ١٠٠]، فهؤلاء الذين رضي الله عنهم لا يجوز الخروج عن أفهامهم للنصوص.

ومن خصائص أهل السنة: اعتبار العقل مؤيداً للنصوص لا معارضاً لها ولا مستقلاً، فهم يأخذون بالنظر العقلي الذي أمرت به الشريعة، فالشريعة جاءت بالأمر بالنظر والتفكر والاعتبار وإعمال العقل في بعض الأمور، لكن عند أهل السنة لا يستقل العقل بنفسه، بل هو محتاج إلى الشرع، فأهل السنة يرون تقديم النقل على العقل عند توهم التعارض، فالعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح.

ففي هذا الأثر إشارة إلى عناية السلف بالدليل الشرعي، إبراهيم النخعي لا يُدخل عقله ولا رأيه فيما لا مدخل للآراء والعقول فيه. فالذي يريد السلامة عليه أن يسلك هذا المسلك الذي سار عليه إبراهيم النخعي، وهو تعظيم النصوص الشرعية وعدم إدخال العقل

فيما لا مدخل للعقول فيه.

وهذا الأثر يدل على عدم تقديم الآراء والأقيسة المخالفة على الكتاب والسنة، فكيف بتقديم العقل على النقل والوقوع في التأويل الفاسد؟



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانٍ عَنْ أَشْعَثَ عَنْ جَعْفَرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، (يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) [النساء: ٣٧] قَالَ: "هَذَا مِنَ الْعِلْمِ".

الشرح:

عن سعيد بن جبير في تفسير هذه الآية: (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ)، يعني: بما عندهم من العلم، (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ)، فهذا البخل والأمر به في الآية متعلق بالبخل بالعلم، ولهذا قال عنه: "هَذَا مِنَ الْعِلْمِ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا - الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) [النساء: ٣٦-٣٧]، قال: (فوصفهم [أي: اليهود] بالبخل الذي هو البخل بالعلم والبخل بالمال وإن كان السياق يدل على أن البخل بالعلم هو المقصود الأكبر فلذلك وصفهم بكتمان العلم في غير آية مثل قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ الْآيَةَ)... فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتُمون العلم تارة بخلاً به وتارة اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا وتارة خوفاً أن يحتج عليهم بما أظهروه منه، وهذا قد ابتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم فإنهم تارة يكتُمون العلم بخلاً به وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه وتارة اعتياضاً عنه برياسة أو مال ويخاف من إظهاره انتقاص رياسته أو نقص ماله وتارة يكون قد

خالف غيره في مسألة أو اعتزى إلى طائفة قد خولفت في مسألة فيحكم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل. ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم).

وقال أيضاً: (قد تُؤُولت [فُسِّرَتْ] في البخل بالمال والمنع والبخل بالعلم وهي تعم البخل بكل ما ينفع في الدين والدنيا من علمٍ ومالٍ وغير ذلك).

فالاختلاف في تفسير هذه الآية هو من قبيل اختلاف التنوع، وكل هذه المعاني صحيحة.

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: من بخل بالعلم -يعني: في نشر العلم وكتمه- ابتلي بثلاث: إما أن يموت فيذهب علمه، لأنه لم يورثه لغيره، قال: أو ينساه، والعلم بدون مذاكرة وبدون بذل وبدون تدريس يذهب، قال: أو يتبع السلطان، يعني: يكون همه الدنيا. ويدخل في معنى: (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ)، من يأمر أهل العلم والفضل بالكف عن التدريس أو يثبطهم أو يوهن عزائمهم عن نشره وعن طلبه.

وهذا الأثر فيه حث أهل العلم على بذل العلم ونشره بكل سبيل ممكنة شرعية وعدم البخل به.



المثنى:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ لَيْثٍ قَالَ: "كَانَ أَبُو الْعَالِيَةِ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةٌ قَامَ".

الشرح:

"كَانَ أَبُو الْعَالِيَةِ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ: يعني: للدراسة عليه، أَرْبَعَةٌ: من الطلاب قام من المجلس خوفاً من الشهرة وتبعاتها. والمذموم كما سبق بيانه: أن يبحث المرء عن الشهرة، أما وجودها دون بحث عنها فهي غير مذمومة، والعبرة ليست بكثرة الأتباع والطلاب، بل بالإخلاص قلّ الطلاب أو كثروا. والعلماء، من أشد الناس خوفاً على أنفسهم من الشهرة، ومن الشواهد عليه هذا الأثر.

وقد كان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ يَقُول: "أريد أن أكون في شعب بمكة؛ حتى لا أعرف، وقد بليت بالشهرة"، فعَدَّ الشهرة من البلاء. وتقدم ما يدل على أن بعض أهل العلم كان يطلب من الطلاب حضور دروسه، كما جاء في أثر عروة، وكل هذا خوفاً من إثم كتمان العلم، ومن الحرص على الطلاب ألا يُفْتَنُوا ولا يَتَلَقَّوْهُمْ أهل الأهواء والبدع وغير ذلك من المصالح التي سبق ذكرها.

وورد ما يدل على خوفهم من الشهرة، فمنهم من يمتنع عن التدريس في الجامعات الكبرى، ومنهم من إذا اجتمع عليه عدد بهذا القدر ترك التدريس.

والقول الوسط في هذه المسألة: أن الإنسان عليه ألا يكون هذا مانعاً وصاداً له عن التعليم، حتى لا يدخل في تبعات كتمان العلم، وعليه أن يجاهد نفسه على الإخلاص لله عزّ وجلّ. وإلا فإنه يُخشى أن يكون هذا من مداخل الشيطان عليه، يريد أن يصدّه عن أشرف وظيفة وهي وظيفة التعليم والتوجيه فيأتيه بمثل هذه الطرق، فالإنسان لا يطاوع الشيطان في هذا الأمر، وعليه أن يجاهد نفسه ولا يبحث عن الشهرة.

وقارنوا بين هذا الأثر أثر أبي العالية وخوفه على نفسه من الشهرة وهو تابعي جليل، وبين القُصاص الذين كانوا في زمانه، فإنّ بعضهم كان من أشد الناس بحثاً عن الشهرة وحرصاً عليها، بل كان يُحضر عند القُصاص ما لا يحضر عند العلماء قديماً وحديثاً، وهذا مشهود. فمجالس العلماء الكبار ربما لا يحضرها إلا أفراد قلائل، ومجالس القُصاص يحضرها الآلاف، ولكن العبرة ليست بالكثرة والقلة، بل بإخلاص، وقد قال ربنا سبحانه: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) [الرعد: ١٧].



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ مَكْحُولًا قَالَ: "كُنْتُ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الْعَاصِي أَوْ لِسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَوَهَبَنِي لِرَجُلٍ مِنْ هَذِيلٍ بِمِصْرَ، فَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِهَا، فَمَا خَرَجْتُ مِنْ مِصْرَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِهَا عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُهُ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَمَا خَرَجْتُ مِنْهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِهَا عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُهُ، ثُمَّ لَقِيتُ الشَّعْبِيَّ، فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ".

الشرح:

قال عبد الله بن العلاء: سَمِعْتُ مَكْحُولًا: ومكحول مولى من الموالى، وهو إمام من أئمة المسلمين.
قال مكحول: "كُنْتُ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ: يعني: كان مملوكًا عنده.
"كُنْتُ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الْعَاصِي أَوْ لِسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ: هذا شك، أَوْ لِسَعِيدٍ، وهو أبو عمرو، والشك من المصنف، وهذا شك غير مؤثر في القصة، قال: فَوَهَبَنِي: عمرو أو والده، لِرَجُلٍ مِنْ هَذِيلٍ بِمِصْرَ، فَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِهَا: أعتقه الله، وتسمى الحرية التي أُعطيها نعمة، لأن الرق فيه انشغال بخدمة سيده وصرف عن الانشغال بالعلم الشرعي، فعدها من النعم، قال: فَمَا خَرَجْتُ مِنْ مِصْرَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِهَا عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُهُ: يعني: غلب على ظنه، لأن الظن في اللغة يُطلق على الشك وعلى غلبة الظن.

قال: فَمَا خَرَجْتُ مِنْ مِصْرَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِهَا عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُهُ: والمقصود: أنه رحل في أرجاء مصر يطوف بلداتها، ويأخذ العلم عن فقهاءها، حتى غلب على ظنه أن بقاءه في مصر ليس فيه ازدياد من العلم، فقد انتهى من علمائها وأخذ ما عندهم، فرحل إلى غيرها.

قال: ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ: وفعله من الرحلة في طلب العلم.
قال: فَمَا خَرَجْتُ مِنْهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِهَا عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُهُ: والمدينة في ذلك الوقت كانت أرض العلم والعلماء، وكان فيها الفقهاء السبعة الذين جُمِعَتْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ:

فخذهم عُبيد الله عروة قاسمٌ سعيدٌ أبو بكرٍ سليمان خازجة
فأخذ العلم عن علماء المدينة، قال: ثُمَّ لَقِيتُ الشَّعْبِيَّ: والشعبي كان في العراق، قال: ثُمَّ لَقِيتُ الشَّعْبِيَّ، فَلَمْ أَرِ مِثْلَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: لم أرى مثله في غزارة علمه.

وهذا فيه ثناء عظيم من مكحول على الشعبي واعتراف له بالفضل، وفيه تنبيه إلى تفاضل العلماء فيما بينهم في العلم.
وفيه بذل الوسع في أخذ العلم عن الأشياخ في زمن طلب العلم وإن تباعدت ديارهم.

ومع تفاضل العلماء فعلى طالب العلم أن يدرس على أهل الضبط والإتقان للفن الواحد، فعلوم الآلة تؤخذ على أهلها، وكل من أتقن فناً ما فاحرص على التلقي عنه والاستفادة منه.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: حَدَّثَنِي تَمِيمُ بْنُ عَطِيَّةَ الْعَنْسِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ، مَكْحُولًا، يَقُولُ: "اِخْتَلَفَ إِلَيَّ شُرَيْحٌ أَشْهَرًا، فَلَمْ أَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ، أَكْتَفِيَ بِمَا أَسْمَعُهُ يَقْضِي بِهِ".

الشرح:

هذا الأثر فيه مقال، يقول مكحول: اختلفت، يعني: ترددت إلى شُرَيْح أي: القاضي، وهو مُحْضَرَم مشهور اشتغل بالقضاء لأكثر من ستين عامًا، وكان عالماً.

قال: "اِخْتَلَفَ إِلَيَّ شُرَيْحٌ أَشْهَرًا: في بعض الروايات أنها ستة أشهر. فَلَمْ أَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ، أَكْتَفِيَ بِمَا أَسْمَعُهُ يَقْضِي بِهِ": وهذا فيه وسيلة من وسائل تحصيل العلم وهي: الاستفادة من خبرة الأكابر في العلم، ومن طرائقهم في الفُتيا وفي التدريس وفي القضاء، فلن تعدم خيراً من مجالستهم، فتتظر كيف يجيبوا السائلين؟ وكيف يتعاملون معهم؟ وكيف يقضون؟ وكيف يتعاملون مع المخالف.

ومن فوائد مجالستهم: معرفة المرء وسماعه للأقضية وهذا يجعله يعرف قدر نفسه، ويعلم أن القضاء ليس بالأمر الهين، فيجعله يزهد فيه ويدعه لأهله ويؤثر طريق السلامة ما لم يُبتلى بذلك. فهذا هو المقصود من الاكتفاء بالسماع، وهو الاستفادة من خبرة الأكابر، سواء في تدريسهم وتوجيههم أو في قضائهم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا، سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: "تَوَاعَدَ النَّاسُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي إِلَى قُبَّةٍ مِنْ قِبَابِ مُعَاوِيَةَ فَاجْتَمَعُوا فِيهَا، فَقَامَ فِيهِمْ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَصْبَحَ".

الشرح:

يقول مكحول: "تَوَاعَدَ النَّاسُ: والمقصود بالناس هنا طلاب العلم. تواعدوا في لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي إِلَى قُبَّةٍ مِنْ قِبَابِ مُعَاوِيَةَ: في الشام، والقبة المراد بها: الخيمة المستديرة، وكان الناس في ذاك الوقت يجلسون فيها ويتذاكروا العلم.

قال: فَاجْتَمَعُوا فِيهَا: ليسمعوا فيها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي يرويه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: قَامَ فِيهِمْ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَصْبَحَ": وأبو هريرة كما تعلمون هو راوية الإسلام.

قال البخاري رحمه الله: "حمل العلم عنه أكثر من ثمانمائة رجل ما بين صحابي وتابعي".

وهذا الأثر فيه فضل أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه سعة علمه وحفظه.

والسبب الذي جعله راوية الإسلام: أنه كان متفرغاً لطلب العلم، مع أن إسلامه كان متأخراً، وما أدرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا

ثلاث سنوات وبضعة أشهر، ولكنه كان راوية الإسلام، كان يُكثر من مجالسة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتفرغ تفرغًا تامًا لطلب العلم. ومن فوائد هذا الأثر: فيه عدم البخل بالعلم، فإنه حدثهم الليلة كلها حتى أصبح.

وفيه إباحة السهر في طلب العلم ومذاكرته ما لم يُفضي إلى النوم عن صلاة الفجر، ثم مع هذا الجد والاجتهاد في تحديث الناس وفي رواية حديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن بعض أهل الأهواء من القدامى والمعاصرين طعنوا فيه واتهموه بالحفظ دون الفقه، فاتهموه بهذه التهمة الفاجرة.

وأبو هريرة رضي الله عنه جمع بين الحفظ والفقه.

قال أبو المظفر السمعاني في قواطع الأدلة: "وقولهم: إن أبا هريرة رضى الله عنه لم يكن فقيها قلنا: لا بل كان فقيها ولم يعد شيئا من آلات الاجتهاد وقد كان يفتى في زمان الصحابة رضى الله عنهم وما كان يفتى في ذلك الزمان إلا فقيه مجتهد".

وترجم الحافظ الذهبي رحمه الله لأبي هريرة رضي الله عنه في طبقات القراء وفي تذكرة الحفاظ وفي السير وقال عنه: (فهو رأس في القرآن، وفي السنة، وفي الفقه).

والطعن في الصحابة الكرام رضي الله عنهم هو مسلك الزنادقة وقد قال الإمام الحافظ أبو زرعة الرازي رحمه الله: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق، و القرآن حق،

وإنما أدى إلينا هذا القرآن و السنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و إنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب و السنة، و الجرح بهم أولى و هم زنادقة".



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ أَخْبَرَنَا، الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَخْبَرَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ، مَكْحُولٍ، قَالَ: "إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مُجَالَسَةِ النَّاسِ وَمُخَالَطَتِهِمْ خَيْرٌ، فَالْعُزْلَةُ أَسْلَمٌ".

الشرح:

قال: عَنْ، مَكْحُولٍ، قَالَ: "إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مُجَالَسَةِ النَّاسِ وَمُخَالَطَتِهِمْ خَيْرٌ، فَالْعُزْلَةُ أَسْلَمٌ": العزلة: هي الاعتزال والانفراد والابتعاد عن الناس.

وقد وردت نصوص تأمر بالاجتماع وتنهى عن التفرق، فيدخل فيها الحث على مخالطة الناس.

وجاءت نصوص في الحث على الصبر على أذى الناس.

وجاءت نصوص في الحث على العزلة.

والقول الوسط: أن يعتزل المسلم الفتن العامة التي لا يظهر فيها المحق من المبطل، وأن يعتزل ما يؤذيه في دينه كمجالس السوء، وله أن يعتزل فضول الصحبة، يعني: التوسع في اختيار الأصحاب، لأن الصحبة إذا كثرت أشغلت، أشغلت عن ما هو أنفع وأما ما شرعت له الجماعة فلا يُعتزل، كالصلاة مع الجماعة، وصلة الرحم، وغير ذلك.

فعلى المرء أن يعتدل في باب العزلة وأن لا يسلك مسالك أهل البدع، لأن بعض أهل البدع أصحاب عُزلة.

فبعضُ خوارج العصر يعتقدون أن الناس قد ارتدوا وعادوا إلى الجاهلية الأولى، فسلكوا مسلكين في التعامل مع المجتمعات الإسلامية التي يكفرونها:

المسلك الأول: العزلة الشعورية، ويعنون بها التعامل مع المجتمع على أنه مسلم في الظاهر مع اعتقاد كفره في الباطن.

المسلك الثاني: العزلة الكاملة، ويعنون بها التعامل مع المجتمع ظاهراً وباطناً على أنه كافر، ولذلك يلزمون أفراد جماعتهم بالهجرة ويحكمون على المقيم بالكفر.

وبعض العزلة تؤدي إلى البدع، مثل: عزلة الصوفية فبعضهم يقع في الصمت المحرم شرعاً، فتجدهم يسكنون في الخلاء بلا حاجة ويسكتون ولا يكلمون الناس السنوات الطويلة.

والعزلة قد تكون لمقصد شرعي وهو الهجر، فبعض المخالفين لمذهب السلف حقهم الهجر والتأديب، لكن الهجر له ضوابطه التي ينبغي أن تُعرف.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: أن الخلطة قد تكون واجبة أحياناً أو مستحبة في مواطن، والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارة وبالانفراد تارة.

ومن الكتب النافعة في بيان أهم أحكام العزلة كتاب العزلة لأبي سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللهُ، وهو نفيس في بابه.



المثنى:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، حَدَّثَنِي أَبُو كَبْشَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".

الشرح:

هذا الحديث حديث صحيح رواه أحمد وغيره. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَلِّغُوا عَنِّي: هذا أمر بنشر العلم وتبليغه وإيصاله إلى الناس، وفيه دليل على أن العلم الشرعي شرط في الدعوة إلى الله، لأنه قال: عَنِّي، فالبلاغ لا يكون إلا عن طريق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا هو العلم، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [يوسف: ١٠٨].

قال: وَلَوْ آيَةً: أي: بلغوا العلم ولو آية من القرآن، وهذا فيه الحث على تبليغ العلم وعدم كتمه، ولو كان ما عند المرء إلا الشيء اليسير منه، لكن لا يدعو إلا على علم وبصيرة.

ولا يفهم من هذا الحث على التصدر في المجالس والمساجد، والمجامع الكبيرة، حتى لا تعرّض نفسك للاستفتاء، فيجرّك إلى القول على الله بغير علم.

وبهذا يُعلم خطأ ما تقوم به جماعة التبليغ من الدعوة دون توافر العلم الصحيح، بل إنهم يجرّون الصغار على الخروج في الأماكن العامة وفي المساجد لإلقاء الكلمات، بحجة: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً".

وغاب عنهم أن البلاغ يشترط أن يكون على علم وعلى بصيرة، فعرضوا أنفسهم للقول على الله بغير علم، وعرضوا أنفسهم للفتن، وعرضوا أنفسهم لإضلال الناس.

قال: وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: وإسرائيل معناه بالعبرانية: عبد الله، وهو يعقوب عليه السّلام، يعني: حدثوا عن بني إسرائيل مما وقع لهم من الأمور العجيبة والغريبة الحسنة التي لا كذب فيها.

وقيل: حدثوا عنهم مثل ما ورد في القرآن والحديث في الصحيح. وَلَا حَرَجَ: يعني: لا ضيق عليكم بالتحديث عنهم إلا أن تعلموا كذب هذا المروي عنهم.

ثم قال: وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ: نسب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لم يقله، وقوله: مُتَعَمِّدًا: يخرج بذلك الذي يكذب ناسيًا.

قال: فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ: يعني: لينل منزلته من النار. والتعبير بصيغة الأمر هنا للإهانة، والمقصود: أنه مستحق للنار إلا أن يتوب.

وخلاصة هذا الأثر: أن فيه الحث على تبليغ دين الله عزّ وجلّ بعلم وبصيرة، وفيه خطورة القول على الله بغير علم.



المتن:

قال رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: "بِحَسَبِ الْمَرْءِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللهُ وَبِحَسَبِهِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ".

الشرح:

هذا الأثر تقدم معنا وهو مكرر.

قال: "بِحَسَبِ الْمَرْءِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللهُ: المراد: أَنَّ العلم الشرعي سبب في حصول خشية الله عَزَّ وَجَلَّ، فالخشية للعلماء بالله، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر: ٢٨]، فثمرة العلم أنه يبعث المرء على خشية الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال: وَبِحَسَبِهِ جَهْلًا: يعني: يكفيه أنه مستحق لوصف الجهل. أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ: يعني: يظن أنه وصل إلى مرحلة الكمال في علمه وفصاحته وبلاغته وأسلوبه، ويرى أنه هو الذي يستحق الإفتاء والتعليم والنقد العلمي وتوجيه الناس وإرشادهم دون غيره.

بل بعضهم يرى أنه هو الميزان، فلا أحد يتكلم إلا إذا رجع إليه، وهذا هو غاية العُجب، وبعضهم جعل نفسه بلسان الحال ميزاناً يُرجع إليه في تقويم الناس وجرحهم ونقدهم، فيرى أنه هو أفضل ما في البلد وليس فيها أحد أفضل منه، فيُفضي هذا إلى عدم شكر نعمة الله عَزَّ وَجَلَّ على نعمة العلم.

وكذلك من مساوئ العُجب: أنه يصيب المرء بالأنفة، فلا يرجع عن

الخطأ الذي وقع فيه، وربما صاحب عُجبه بنفسه ازدراء الآخرين، وهذا هو الكبر، والعُجب بوابة الكبر.

والعُجب بالنفس قد يجر إلى أمور خطيرة كالزندقة.

وقد قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه على الحموية: (وكثير من الأذكياء قد يتزندق بسبب ذكائه ويحتقر الناس ويرى أنهم ليسوا على شيء فيضل ويهلك -نعوذ بالله- لأنه يرى أن علمه فوق علمهم وفهمه فوق فهمهم وذكائه فوق ذكائهم، والعاقل عليه أن يعرف قدر نفسه وأن يميل إلى التواضع).

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: (إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله).



المتن:

**قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَمَانَ، ثنا الْأَعْمَشُ، عَنْ
إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: "كَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَطِيفًا فَطْنًا".**

الشرح:

إبراهيم النخعي من أعرف الناس بابن مسعود رضي الله عنه، فوصفه بوصفين مجتمعين فيه، قال: "كَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَطِيفًا فَطْنًا". لطيفًا في طبعه وخلقه وصاحب رفيق، لأن التلطف بالشيء هو الترفق به، وصاحب فطنة، والفطنة: هي حدة البصيرة والذكاء، فهي ضد الغباوة.

قال الذهبي رحمه الله في السير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كان معدودًا في أذكىاء العلماء".

واللطف في الأمور وجودة الفطنة دليل على المرأة التي تشمل الفضائل والسجايا والأخلاق الكريمة.

فهذا الأثر فيه حث طلبة العلم على التحلي بهاتين الصفتين: اللطف مع الذكاء، لأنه إذا كان لطيفًا في أخلاقه وعنده نقص في الذكاء قد يُستغل، فكم من صاحب علم من أسباب إقحامه في مواطن الفتن هو استغلال طبيته ولطافته، فيظفر بعض أهل المكر منه بكلمة يترتب عليها ما تحصل به الفتن والتشاحن والتدابير والتقاطع.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ: أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "لَوْ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَدْرَكَ أَسْنَانَنَا مَا عَاشَرَهُ مِنَّا أَحَدٌ". قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: "نِعْمَ تُرْجَمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ".

الشرح:

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَوْ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ: وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمره ثلاث عشرة سنة، كان صغيراً.

قال: "لَوْ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَدْرَكَ أَسْنَانَنَا: يعني: أعمارنا، وكان قريناً لنا، وأدرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ما أدركناه لفارقنا كثيراً.

فلم يعاشره منا أحد، يعني: لو كان في السن مثلنا ما بلغ أحد منا عشره في العلم، فهو مع صغره أدرك ما لم يُدركه الكبار.

قَالَ: والقائل الأعْمَش، وَكَانَ يَقُولُ: يعني: ابن مسعود، والأعْمَش

يريد أنه سمع الناس يتحدثون بذلك، "نِعْمَ: وهذه كلمة مدح، "نِعْمَ

تُرْجَمَانُ الْقُرْآنِ: يعني: المفسر للسان المبين لمعانيه، لأنه من أعلم

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في التأويل.

"نِعْمَ تُرْجَمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"، والمقصود من هذا

الأثر: بيان سعة علم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفهمه للعلم، وكل

ذلك ببركة دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، حيث قال: «اللَّهُمَّ

فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ، وَعَلَّمَهُ التَّأْوِيلَ»، رواه أحمد بهذا اللفظ، وأصل الحديث في الصحيحين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وهو أكثر الصحابة فُتياً. قيل للإمام أحمد: أي الصحابة أكثر فُتياً؟ قال: ابن عباس، وهو أعلم وأفقه طبقة في الصحابة.

ومن فوائد هذا الأثر: الاعتراف بأهل الفضل بفضلهم. فانظر إلى ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو أكبر من ابن عباس بكثير، ومع ذلك أقر له بالعلم.

وهكذا على طلبة العلم أن يعرفوا لأهل العلم قدرهم، وألا يمنعهم كبر السن من الثناء على من هو دونهم في السن إذا فاقهم في العلم أو كان ذا علم غزير، فهذا دليل على سلامة الصدر.

وهذا القول كان يصرّح به للناس وما قاله في مجلس خاص. وثناء طلاب العلم بعضهم على بعض فيه تكثير لمجالس العلم فإذا سمع الناس هذا الثناء حضروا لأهل العلم واستفادوا من علمهم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ".

الشرح:

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ".

قال: "إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ: لَأَنَّ الْعِلْمَ هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِهَذَا، فَالْعِلْمُ هُوَ الَّذِي أَمَرَكَ أَلَّا تَتَجَاوَزَ الْحُدُودَ وَلَا تَتَعَدَّاهَا، وَمِنْ ذَلِكَ الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَالْعِلْمُ هُوَ الَّذِي أَمَرَكَ أَنْ تَقُولَ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا تَعْلَمُهُ مِنْ مَسَائِلِ الْعِلْمِ إِذَا سُئِلْتَ عَنْهُ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ"، وَلَيْسَ هَذَا دَلِيلًا عَلَى الْجَهْلِ الْمَطْلُوقِ، بَلْ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى الْجَهْلِ بِمَا سُئِلْتَ عَنْهُ، فَقَوْلُكَ: لَا أَدْرِي، أَوْ اللَّهُ أَعْلَمُ، دَلِيلٌ عَلَى الْوَرَعِ وَخَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

بل من تمام الأدب أن تقول إذا سُئِلْتَ عن شيء تعلمه: الله أعلم. وقد ذكر بعض العلماء أَنَّ الْمُفْتِيَ أَوْ الْعَالِمَ أَوْ طَالِبَ الْعِلْمِ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ وَافْتِيَ فِيهَا عَنْ عِلْمٍ يَحْسُنُ أَنْ يَخْتِمَهَا بِقَوْلٍ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَكَيْفَ بِالَّذِي لَيْسَ عَنْده عِلْمٌ؟

وقد نقل النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمَجْمُوعِ فِي جُمْلَةِ آدَابِ الْفَتَاوَى قَوْلَ الصَّيْمَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَا يَدْعُ خَتَمَ جَوَابِهِ بِقَوْلِهِ: وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ، أَوْ اللَّهُ أَعْلَمُ، أَوْ وَاللَّهُ الْمَوْفُوقُ.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: "مَا نَسْأَلُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، إِلَّا أَنْ عِلْمَنَا يَقْصُرُ عَنْهُ".

الشرح:

قال مسروق رَحِمَهُ اللهُ: "مَا نَسْأَلُ: الذي يسأل هم التابعون. "مَا نَسْأَلُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ مِنْ شَيْءٍ: يعني: من مسائل العلم الشرعي، (عن شيء)، نكرة في سياق النفي فتعم جميع المسائل الشرعية.

مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ: لكن الناس يتفاوتون في فهمهم للقرآن حسب علمهم، وإلا فكل ما يُحتاج إليه فإنه في القرآن، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) [النحل: ٨٩]، أي: بياناً لكل ما فيه من آيات التوحيد والأحكام والأخبار، لكن السنة شارحة للقرآن لأنها وحي.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "من أراد العلم فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين".

وتثوير القرآن يكون بتدبره، والتدبر التام للقرآن لا يمكن أن يحصل إلا لمن اعتنى بضبط القواعد الكلية المتعلقة بالتفسير، فإذا ضُبِطت أعانت على أربعة أمور:

الأمر الأول: تعين على فهم القرآن وفهم حكمه وأسراره.

الأمر الثاني: تعين على معرفة تفسيره ومعانيه، فيعرف المرء تفسير ألفاظه المفردة وهو ما يسمى بتفسير المفردات، ويعرف معاني تراكيبه وسياقاته وهو ما يسمى بالتفسير الإجمالي.

الأمر الثالث: معرفة القواعد الكلية تعين على التمييز بين الحق وأنواع الأباطيل الواردة في كتب التفسير.

الأمر الرابع: معرفة القواعد الكلية تعين على معرفة ما في كتب التفسير من أخطاء متعلقة بفهم الأدلة النقلية والعقلية.

فالتدبر سبيل لفهم القرآن، والصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، فهم أهل علم أخذوه من النبي صلى الله عليه وسلم وأهل عمل، ولهذا قل النزاع بين الصحابة رضي الله عنهم في التفسير.

قال: **إِلَّا أَنْ عَلِمْنَا يَقْصُرُ عَنْهُ**: يعني: علم التابعين.

يَقْصُرُ عَنْهُ: وهذا فيه إشارة إلى فضل علم الصحابة رضي الله عنهم، وأن من بعدهم دونهم في العلم في الجملة.

وعلم التابعين في التفسير علم عظيم، لأنهم تلقوا التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم، وهم أيضاً من أصحاب القرون المفضلة الذين ورد الثناء عليهم، لكنهم دون الصحابة في الجملة في العلم.

ولهذا الخلاف في التفسير بينهم أكثر من اختلاف الصحابة في التفسير، بسبب كثرة الفتوحات في زمن التابعين واختلاط العرب بالعجم، وتغير الألسنة، وكثرة الفتن في زمانهم بين المسلمين.

فلما طال الزمان خفي على الناس ما كان ظاهرًا عند غيرهم، بسبب نقص العناية بالعلم، ففهمهم لتفسير فهم من جاء بعدهم بمراحل للتفسير، هذا يحتاج إلى دراسة العلوم المعينة على ذلك. ولهذا مما يميز فقه الصحابة عن أصحاب القرون الخالفة: أن الصحابة ما كانوا يحتاجون إلى دراسة علوم الآلة التي يحتاجها غيرهم لفهم كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالعربية سليقتهم، يتحدثون بها ولا يحتاجون إلى معرفة دلالات الألفاظ وأنواعها فهم أهل العربية، فهم يعرفون مراد المتكلم من كلامه، بخلاف من جاء بعدهم، فقد قال عنهم قال ابن القيم رحمه الله: (وأما المتأخرون فقواهم متفرقة، وهمهم متشعبة، فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة، وعلم الإسناد وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة، وفكرهم في كلام مصنفهم وشيوخهم على اختلافهم، وما أرادوا به قد أخذ منها شعبة، إلى غير ذلك من الأمور، فإذا وصلوا إلى النصوص النبوية إن كان لهم هم تسافر إليها وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلت من السير في غيرها).

وهذا يدلنا على فضل وشرف علم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فعلى الحريص على التفقه الصحيح أن يعتني بفقههم.



المُتَن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: "مُعَلِّمُ الْخَيْرِ وَالْمُتَعَلِّمُ فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ، وَلَيْسَ فِي سَائِرِ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدُ".

الشرح:

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مُعَلِّمُ الْخَيْرِ: الَّذِي يَعْلَمُ النَّاسَ عَمُومًا الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ، وَالْمُتَعَلِّمُ: لِلْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الَّذِي يَبْذُلُ أَسْبَابَ التَّعْلَمِ، فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ: يَعْنِي: فِي جِنْسِ الْأَجْرِ، فَكُلُّ مَأْجُورٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ أَجْرَ الْمُعَلِّمِ أَكْثَرُ، لَكِنَّهُمْ يَشْتَرِكُونَ فِي حَصُولِ الْأَجْرِ لَهُمْ، لِلنُّصُوصِ الْعَامَةِ الْوَارِدَةِ فِي ثُبُوتِ الْأَجْرِ لِمَنْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ تَعْلَمُ الْخَيْرِ وَتَعْلِيمُهُ، فَهُمَا مِنْ جُمْلَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [الإسراء: ٩]، فَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ سَوَاءٌ التَّعْلِيمِ أَوْ التَّعْلَمِ.

وَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: النُّصُوصُ الْخَاصَّةُ فِي ثُبُوتِ أَجْرِ التَّعْلَمِ وَالتَّعْلِيمِ، وَقَدْ سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ فُضَائِلِ طَلَبِ الْعِلْمِ. قال: وَلَيْسَ فِي سَائِرِ النَّاسِ: يَعْنِي: مِمَّنْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، بَعْدَ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ، خَيْرٌ بَعْدُ": والمراد: ليس هناك خير تام، هذا المقصود، وهذا الأثر فيه الحث على طلب العلم وعلى تعليمه للناس.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ ابْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: "ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، قَالَ: وَذَلِكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ، قَالَ: "تَكَلِّتُكَ أُمُّكَ ابْنُ أُمِّ لَبِيدٍ أَوْلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ لَا يَنْتَفِعُونَ مِنْهَا بِشَيْءٍ؟!" .

الشرح:

عن زياد بن لبيد قال: "ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا: يعني: أمرًا عظيمًا وهائلًا، والتنكير هنا للتحويل. قَالَ: وَذَلِكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ: يعني: هذا الشيء الماهول المسكوت عنه يحصل عند ذهاب العلم. قال بعضهم: هذا فيه إشارة إلى قرب وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأكثر أهل العلم على أَنَّ المقصود: أَنَّ هذا الشيء الماهول يحصل عند أوان ذهاب العلم، وذهاب العلم يكون بذهاب العلماء. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: استشكلوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، متى يكون أوانه؟ ومتى يذهب العلم؟ وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ، أي: كيف يذهب العلم مع أن الناس يقرءون القرآن ويقرئونه لغيرهم، وهكذا يحصل التسلسل في القراءة

والإقراء.

فالقرآن سيبقى في آخر الزمان، وهذا وجه الاستشكال عندهم، فكيف يذهب العلم مع وجود القرآن؟

فقال: "ثَكَلْتَكُ أُمُّكَ: يعني: فقدتك أمك، ابْنُ أُمِّ لَبِيدٍ: وهذا دعاء عليه بالموت، وهي كلمة تقولها العرب للإنكار ولا تريد بها حقيقتها. أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ، وَالتَّصَارِيُّ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ لَا يَنْتَفِعُونَ مِنْهَا بِشَيْءٍ؟!": والمقصود: أن الناس لا ينتفعون إذا جاء ذلك الوقت بالقرآن الذي بين أيديهم بسبب عدم عملهم به.

فكما أن أهل الكتاب لم ينتفعوا بكتابهم، فكذلك الناس في ذلك الوقت لا ينتفعون بالكتاب الذي بين أيديهم وهو القرآن.

والمعنى: أن العلماء هم من يُبَيِّنُوا معاني الكتاب والسنة، فإذا قُبِضُوا تناقص العلم حتى يذهب، وأخذ الناس دينهم من كتب لا يفهمونها، فازدادوا حيرة وضلالاً، لأن آلة فهم العلم ليست موجودة عندهم.

وإذا ذهب العلماء اتخذ الناس رؤوساً جُهِالاً يسألونهم فيفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون وصاروا عقلايين يأخذون ما وافق آرائهم وعقولهم وأقيستهم المحدثه والتفتوا إلى العلوم الفاسدة كعلم الفلسفة وعلم المنطق.

لكن ينبغي أن نعلم أن دين الله عَزَّ وَجَلَّ محفوظ وسيبقى حتى تقوم الساعة إلى آخر الزمان، حتى تأتي الرياح التي تقبض أرواح المؤمنين، فلا يبقى إلا شرار الخلق فعليهم تقوم الساعة.

فيكون المعنى: أنه يقل العلماء ويذهب أكثرهم إلى أن يقبض الله

أرواح المؤمنين كافة، وإذا قُبِضَ العلماء وقلَّ العلماء يُرفع القرآن من
المصاحف والصدور، فلا يبقى إلا شرار الخلق.
فينبغي لنا جميعاً شكر الله عَزَّ وَجَلَّ على نعمة وجود العلم وأهله بين
ظهرانينا وأن نستفيد منهم قبل تناقصهم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ قَابُوسَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "أَتَدْرُونَ مَا ذَهَابُ الْعِلْمِ مِنَ الْأَرْضِ؟" قَالَ: قُلْنَا: لَا. قَالَ: أَنْ يَذْهَبَ الْعُلَمَاءُ".

الشرح:

هذا بمعنى الأثر الذي قبله.

قال: "أَتَدْرُونَ مَا ذَهَابُ الْعِلْمِ مِنَ الْأَرْضِ؟" : هذا فيه طرح العلم بأسلوب السؤال، وهذا فيه مدعاة لضبط العلم.

قَالَ: قُلْنَا: لَا: وهذا من حسن أدبهم وهو قول المرء لما لا يعلم: لأعلم، أو يقول: لا أدري.

قَالَ: أَنْ يَذْهَبَ الْعُلَمَاءُ: وهذا فيه أن قبض العلم يكون بقبض أصحابه وهم العلماء.

فعلى طالب العلم أن يستغل فرصة وجود العلماء في زمانه ويستفيد من علمهم ودروسهم ومؤلفاتهم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ
إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِّتُمْ، وَكُلُّ
بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ".

الشرح:

هذه من وصايا ابن مسعود رضي الله عنه، قال: "اتَّبِعُوا: وهذا أمر
بالاتباع، اتبعوا الكتاب والسنة، ولا شك أن المقصود وفق فهم
الصحابة رضي الله عنهم.

"اتَّبِعُوا: لا تتجاوزوا الكتاب والسنة، فالاعتصام بهما من خصائص
أهل السنة في مصادر التلقي التي خالفوا فيها غيرهم.

فمن خصائص أهل السنة في مصادر التلقي: اتباع الكتاب والسنة.

ومن خصائصهم في باب التوحيد: اتباع الكتاب والسنة.

ثم إن الاتباع شرط لصحة كل عبادة، فمدار قبول العمل على
أمرين: الإخلاص والمتابعة.

قال: "اتَّبِعُوا: أي: الزموا الكتاب والسنة، وهذا فيما إذا كان المرء
يفهم معاني الكتاب والسنة، وإذا كان لا يفهم المعاني فهو إما عامي
أو شبه عامي، وهؤلاء يسألون أهل العلم عما أشكل عليهم، كما
قال الله عز وجل: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل:
٤٣]، وهذا لا يسمى اتباعاً، بل هو تقليد لأهل العلم.

"اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا: هذا تأكيد، فلو قال: اتبعوا، لعلمنا أن الاتباع

يذم وينهى عن الابتداع، لكن هذا للتأكيد، وفيه النهي عن إحداث أمر مخترع في الشريعة وإضافته إليها، وهو ثمرة من ثمرات ترك الاتباع، فمن دان دينًا لم يأمر الله عزّ وجلّ به ولا رسوله صلّى الله عليه وسلّم فهو مبتدع بذلك.

فيخرج بذلك الابتداع في العادات، كابتداع المخترعات الحديثة والاكتشافات العلمية بأنواعها المختلفة، فهذا في أصله مباح ما لم يكن وسيلة إلى أمر آخر فيأخذ حكم هذا الأمر، لأن الأصل في العادات الإباحة.

قال: فَقَدْ كُفَيْتُمْ: يعني: فحسبكم الاتباع فإن الدين كامل، كما قال الله عزّ وجلّ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة: ٣]. وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها في مسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ».

قال الأوزاعي رحمه الله: "اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم".

ثم قال: وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ: وهذا قد دلت عليه جملة من النصوص الشرعية منها: حديث العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه وفيه قال ﷺ: « وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة » رواه أبو داود.

وقوله: "وكل بدعة ضلالة"، (كل) من ألفاظ العموم، فكل البدع ضلالة، سواء كانت مكفرة، أو مفسقة، أو بدعة قولية، أو عملية،

أو اعتقادية، فكل بدعة ضلالة.

وهذا فيه رد على مُحسني البدع، ممن يقولون بتقسيم البدع إلى بدعة حسنة، وبدعة سيئة، ويحتجون بقول عمر رضي الله عنه في قيام رمضان: «نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون» رواه البخاري.

والمقصود بقول عمر رضي الله عنه بيّنه الشاطبي رحمه الله بقوله: "فإن قيل: فقد سماها عمر رضي الله عنه بدعة وحسّنها بقوله: نعمت البدعة هذه، وإذا ثبتت بدعة مستحسنة في الشرع ثبت مطلق الاستحسان في البدع. **فالجواب:** إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال، من حيث تركها رسول الله صلّى الله عليه وآله واتفق أن لم تقع في زمان أبي بكر رضي الله عنه، لا أنها بدعة في المعنى، فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي، وعند ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه؛ لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه".

وفي هذه الجملة الرد على من قال: إن البدعة تجري عليها الأحكام الخمسة، فهناك بدعة واجبة ومستحبة ومحرمة، ومكروهة، ومباحة، وأول من أحدث هذا التقسيم هو عبد السلام، ومن قال بهذا القول يُرد عليهم بهذا الحديث: "وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ".
فالحذر الحذر من البدع فإنها سبب لهدم السنة وتسلط أعداء الملة وحصول الذلة للمسلمين.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ قَابُوسٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: "كَيْفَ تَأْتِي عُلُقَمَةٌ وَتَدْعُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَسْأَلُونَهُ!".

الشرح:

عَنْ قَابُوسٍ: ابن أبي ظبيان، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يسأل والده عن أمر أشكل عليه، قال لوالده: "كَيْفَ تَأْتِي عُلُقَمَةٌ: وهو علقمة بن قيس النخعي، وتقدم أن هذه الأسرة اشتهرت بالعلم وهم من تلامذة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

"كَيْفَ تَأْتِي عُلُقَمَةٌ وَتَدْعُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يعني: كيف تذهب وتسال التابعي وتترك سؤال الصحابة؟ فالاستفهام هنا للتعجب، فهو يرى أن والده ترك سؤال الفاضل وسأل المفضول.

قَالَ: يَا بُنَيَّ: وهذا فيه لفظة تربوية، فالأبناء ينبغي أن يتلطف في إجاباتهم، فصنعه من التلطف بالأبناء في تعليمهم وتوجيههم، وبعض من انتسبوا إلى الدعوة إلى الله تجده لطيفاً مع كل أحد إلا مع أسرته وأولاده وأهل بيته، فليأخذوا من هذا الأثر فائدة فهذا منهج أسلافهم.

فقال: يَا بُنَيَّ إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: والمقصود

بهم: صغار الصحابة، لأن الكبار في وقته أكثرهم قد مات. **إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَسْأَلُونَهُ!** " : يسألون من علقمة، وربما سألوه لأنه من تلاميذ ابن مسعود، وابن مسعود يعتبر من كبار العلماء، فكانوا يسألونه لأنه أخذ العلم عن كثير من كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهذا الأثر فيه أخذ العلم عن من تظن انتفاعك بالجلوس إليه وسؤاله.

تقدم بيان تفاضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في العلم، والمتأخرون منهم لم يدركوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً، وربما فاقهم بعض التابعين في سعة العلم، أما الفضل فلا يدانيهم فيه أحد مهما بلغ من العلم، فيكفيهم شرف الصُحبة.

وطالب العلم عليه أن يحرص على مجالسة من ينتفع بعلمه ولو كان أقل منه علماً، إذا كان ضابطاً لفنّه الذي لم يضبطه السائل.

فأصحاب الفنون قد يكون عندهم ما ليس عندك فاستفد منهم ودع الكبر والعُجب، والزم التواضع ولو كنت كبيراً في السن، ولو كنت كبيراً في العلم، فمن فاقك في فن من الفنون فاستفد منه ولو كان أصغر منك، فهذا هو التواضع.

وقد قال وكيع بن الجراح رحمه الله: " لا ينبل الرجل من أصحاب الحديث حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه".

فخذ العلم على أهله حتى وإن كان دونك في المنزلة الاجتماعية وفي

الوظيفة، ولو كان دونك في النسب والحرية.
 وقد روي عن علي بن حسين وسيأتي هذا معنا، روي عن عليّ بن الحسين الملقب بزين العابدين وهو من أهل البيت أنه كان يجلس أسلم مولى عمر، فقال له رجل من قریش: تدع قریشاً وتجالس عبد بني عدي؟ فقال عليّ: "إنما يجلس الرجل حيث ينتفع" رواه ابن سعد في الطبقات وغيره.

العلم ليس حكراً على أحد، لا من جهة النسب ولا من جهة البلد.
 وجاء في فتح المغيـث أنّ حكيم بن حزام كان يقرأ على معاذ بن جبل، فقليل له: تقرأ على الخزرجي؟ فقال: "إنما أهلكنا التكبر".



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، قَالَ: قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ: "حَدَّثَنِي عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، فَإِنِّي سَأَلْتُهُ عَنْ حَدِيثٍ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْهُ بَعْدَ سَنَتَيْنِ فَمَا أَخْرَمَ مِنْهُ حَرْفًا".

الشرح:

قال: عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ: وهو من تلاميذ إبراهيم النخعي.

قَالَ: قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ: أي: النخعي.

"حَدَّثَنِي عَنْ أَبِي زُرْعَةَ: وأبو زُرْعَةَ هو ابن عمرو، وجده جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: "حَدَّثَنِي عَنْ أَبِي زُرْعَةَ: يعني: حدثني عنه، يقول: أنا أعرفه تمام المعرفة، مثل ما تقول: أسألني عن فلان، فأنا بصير به أعرفه تمام المعرفة، فهو خبير به من جهة حفظه للحديث وتلقيه عن الحفاظ الضابطين لحديثهم، فهو حريص على التلقي عنه لهذا السبب، لأنه يعرف عنايته بالعلم وبالحديث والحفظ والضبط التام.

"حَدَّثَنِي عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، فَإِنِّي سَأَلْتُهُ عَنْ حَدِيثٍ: ليتأكد هل أتقن هذا الحديث وضبطه أم لا؟

قال: ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْهُ بَعْدَ سَنَتَيْنِ فَمَا أَخْرَمَ مِنْهُ حَرْفًا: لم يُنْقِصْ ولم يترك، بل أتى بالحديث الذي سمعه منه قبل سنتين كما هو.

ومن فوائد الأثر: أنَّ من طرق امتحان الراوي للتأكد من ضبطه أن يُسأل عن أحاديث معينة كان قد حدّث بها قبل فترة أو زمن، فإذا

أتى بها كما حدّث بها أول مرة علّم أنه ضابط في حديثه، وإلا علّم أنه ليس بضابط، فأبو زرعة صاحب حفظ وضبط وإتقان لمروياته. ومن فوائد الأثر: أن إبراهيم النخعي صاحب ضبط وإتقان في حفظه، لأنه لم ينسَ الحديث الذي سمعه من أبي زرعة قبل سنتين.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَيُلْهِمُهُ رُشْدَهُ فِيهِ".

الشرح:

الجملة الأولى سبق شرحها.

وخلاصة معناها: أَنَّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا كَثِيرًا، فَقَهَّه فِي الدِّينِ، وَجَعَلَهُ عَالِمًا بِالشَّرِيعَةِ.

قال: وَيُلْهِمُهُ رُشْدَهُ فِيهِ: يعني: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْعَبْدِ خَيْرًا أَهْمَهُ رُشْدَهُ فِيهِ، وَالْإِلْهَامُ هُنَا مَعْنَاهُ: أَنْ يُلْقِيَ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ أَمْرًا يَبْعَثُهُ عَلَى الْعَمَلِ بِعِلْمِهِ، فَيُلْهِمُهُ رُشْدَهُ، وَيَجْعَلُهُ مُوَفَّقًا إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ وَهُوَ الْإِهْتِدَاءُ لِلصَّلَاحِ، فَالرَّشْدُ ضِدُّ الْغِيِّ وَهُوَ الصَّلَاحُ، وَالْغِيُّ: الْمَعَاصِي وَالْفُسَادُ. وَالْإِنْسَانُ إِذَا وُفِّقَ إِلَى الرِّشْدِ فَإِنَّهُ مُوَفَّقٌ، وَهُوَ غَايَةُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) [الحجرات: ٧]، فهذا هو الرُّشْدُ.

والمعنى الإجمالي لهذا الأثر: أَنَّ مَنْ يَرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَيَرْزُقْهُ الْإِهْتِدَاءَ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ وَوَضْعِ الْأُمُورِ فِي نَصَابِهَا الصَّحِيحِ، فَيَشْتَدُّ حِينَ الْحَاجَةِ لِلشَّدَةِ، وَيَلِينُ حِينَ الْحَاجَةِ لِلدِّينِ، وَيَضَعُ الرِّخْصَةَ فِي مَوَاضِعِهَا وَالْعَزِيمَةَ فِي مَوَاضِعِهَا.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، حَدَّثَنِي شَيْخٌ، مِنْ عَبْسٍ قَالَ: "صَحِبْتُ سَلْمَانَ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعِينَهُ وَأَتَعَلَّمَ مِنْهُ وَأَنْ أَخْدُمَهُ، قَالَ: فَجَعَلْتُ لَا أَعْمَلُ شَيْئًا إِلَّا عَمِلَ مِثْلُهُ، قَالَ فَاَنْتَهَيْنَا إِلَى دِجْلَةٍ وَقَدْ مَدَّتْ وَهِيَ تَطْفَحُ فَقُلْنَا: لَوْ سَقَيْنَا دَوَابَّنَا. قَالَ: فَسَقَيْنَاهَا ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنْ أَشْرَبَ فَشَرِبْتُ فَلَمَّا رَفَعْتُ رَأْسِي قَالَ: يَا أَخَا بَنِي عَبْسٍ عُدْ فَاشْرَبْ. قَالَ فَعُدْتُ فَشَرِبْتُ وَمَا أُرِيدُهُ إِلَّا كَرَاهِيَةً أَنْ أَغْصِيَهُ ثُمَّ قَالَ لِي: كَمْ تَرَاكَ نَقَصَتْهَا؟ قَالَ: قُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَمَا عَسَى أَنْ يُنْقِصَهَا شُرْبِي؟ قَالَ: وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ تَأْخُذُهُ وَلَا تُنْقِصُهُ شَيْئًا فَعَلَيْكَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا يَنْفَعُكَ".

الشرح:

قَالَ شَيْخٌ مِنْ عَبْسٍ: "صَحِبْتُ سَلْمَانَ: الْفَارِسِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي سَفَرٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُعِينَهُ: وَكَانَ مَقْصُودُهُ مِنَ السَّفَرِ أَمْرَانِ: قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أُعِينَهُ: يَعْنِي: عَلَى قِضَاءِ شَأْنِهِ احْتِرَامًا لَهُ وَإِجْلَالًا لَهُ، وَأَتَعَلَّمَ مِنْهُ: الْعِلْمَ الشَّرْعِي، وَأَنْ أَخْدُمَهُ: مُقَابِلَ التَّعْلِيمِ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْهُ وَالِانْشِغَالِ بِالْخِدْمَةِ مَعَهُ طَوَالَ مَلَاذِمَتِهِ، فَيَسْتَفِيدُ أَيْضًا فِي خِدْمَتِهِ تَحْصِيلَ الْعِلْمِ، وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْ خَبْرَتِهِ وَحَسَنِ تَعَامُلِهِ وَأَخْلَاقِهِ، هَذَا هُوَ مَقْصِدُهُ وَهُوَ مَقْصِدُ حَسَنِ. قَالَ: فَجَعَلْتُ لَا أَعْمَلُ شَيْئًا إِلَّا عَمِلَ مِثْلُهُ: فَيُقَابِلُ إِحْسَانَهُ

بالإحسان، وهذه سمة عظيمة من سمات أهل العلم وهي: عدم إذلال الطلاب لهم.

فبعض المعلمين يتعامل مع تلامذته بالأمر والنهي ويغضب إذا لم يطعه، فعلى كلِّ محسن عمومًا في تعليم الناس وفي غير التعليم ألا يطلب الجزاء ممن أحسن إليه، وهذا العمل من تمام الاستغناء بالله عزَّ وجلَّ عن خلقه، وطالب العلم عليه ألا يتكسب بعلمه.

قال: قَالَ: فَجَعَلْتُ لَا أَعْمَلُ شَيْئًا إِلَّا عَمِلَ مِثْلُهُ، قَالَ فَاَنْتَهَيْنَا إِلَى دِجْلَةٍ: وهو النهر المعروف في بغداد، وَقَدْ مُدَّتْ: يعني: زاد مأوها، وَهِيَ تَطْفُحُ: يعني: امتلأت وارتفعت حتى فاضت.

فَقُلْنَا: لَوْ سَقَيْنَا دَوَابَّنَا: يعني: أتينا لها بالماء.

قَالَ: فَسَقَيْنَاهَا ثُمَّ بَدَأَ لِي، أَي: ظهر لي بعد سقي الدواب، أَنْ أَشْرَبَ فَشَرِبْتُ فَلَمَّا رَفَعْتُ رَأْسِي: يعني: من الماء.

قَالَ: لِي سَلْمَانٌ، وَكَانَ قَدْ رَأَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ، يَا أَخَا بَنِي عَبْسٍ عُدَّ فَاشْرَبَ: يعني: لماذا قال له عُدَّ فاشرب وهو قد شرب؟ لعله يريد أن يعلمه أمرًا وفائدة حتى لا ينسى هذه الفائدة، وهذا أسلوب من أساليب التنبيه.

عُدَّ: فإذا قيلت له الفائدة بعد هذا التوجيه فإنه لن ينساها.

قَالَ فَعُدْتُ فَشَرِبْتُ وَمَا أُرِيدُهُ: أَي: ما أريد العودة للشرب.

إِلَّا كَرَاهِيَةً أَنْ أَعْصِيَهُ: يعني: احترامًا لشيخه.

ثُمَّ قَالَ لِي: كَمْ تَرَاكَ نَقَصْتَهَا؟: يعني: ماء دجلة كم أنقصت منها

لما شربت؟

قَالَ: قُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَمَا عَسَى أَنْ يُنْقِصَهَا شُرْبِي؟: شربي لا ينقص شيئاً من دجلة.

قَالَ: وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ تَأْخُذُهُ وَلَا تُنْقِصُهُ شَيْئًا: مهما طلبت لو تطلب العلم من الصغر إلى أن تلقى الله، فلن تُنقص منه شيئاً لكثرة العلم.

قال: فَعَلَيْكَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا يَنْفَعُكَ: فمادام أن العلم كثير جداً فخذ منه ما ينفعك.

وهذا كقول ابن مسعود رضي الله عنه: "وخير العلم ما نفع"، رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق وغيرهما. فالعلم كما قيل: أودية مهما أخذت منه لن تُنقصه.

قال الزُّهري ليونس بن زيد: " لا تُكابر العلم فإن العلم أودية فأيتها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام العلم جملة ذهب عنه جملة".

فعلى طالب العلم أن يسلك المنهجية العلمية في طلب العلم، ومن ذلك دراسة المختصرات العلمية والبدء بها في كل فن، ثم بعد ذلك لك أن تتخصص في الفن الذي ترى أنك تنتفع به، أو نفسك تميل إليه.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو ثنا زَائِدَةُ عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: "جَالَسْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانُوا كَالْإِخَادِ يَرْوِي الرَّكِيبُ وَالْإِخَادُ يَرْوِي الرَّكِيبِينَ وَالْإِخَادُ يَرْوِي الْعَشْرَةَ، وَالْإِخَادُ لَوْ نَزَلَ بِهِ أَهْلُ الْأَرْضِ لَأُصْدِرَهُمْ، وَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ مِنْ تِلْكَ الْإِخَادِ".

الشرح:

قال مسروق: "جَالَسْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانُوا كَالْإِخَادِ: الإخاد: جمع الماء، يشبه الغدير، لأن الإنسان يأخذه لنفسه.

ومعنى هذه الجملة بيّنها ابن الأثير رحمه الله بأنّ المراد أنّ فيهم الصغير والكبير والعالم والأعلم.

قال: فَكَانُوا كَالْإِخَادِ يَرْوِي الرَّكِيبُ: الإخاد: جمع الماء، وجماع الماء فيها المجامع الصغيرة وفيها المجامع الكبيرة، هذا المقصود.

فَكَانُوا كَالْإِخَادِ يَرْوِي الرَّكِيبُ وَالْإِخَادُ يَرْوِي الرَّكِيبِينَ وَالْإِخَادُ يَرْوِي الْعَشْرَةَ، وَالْإِخَادُ لَوْ نَزَلَ بِهِ أَهْلُ الْأَرْضِ لَأُصْدِرَهُمْ: يعني: يجعلهم يصدرون عنه وقد ارتووا جميعاً.

وَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ: يعني: ابن مسعود، مِنْ تِلْكَ الْإِخَادِ: هذا فيه إخباره بتفاوت الصحابة رضي الله عنهم في العلم، وهذا القول الذي قاله مبني على كثرة مجالسة، لأنه قال: "جَالَسْتُ، فهذا مبني على كثرة

مجالسة وقرب منهم، حتى علم أنّ ابن مسعود رضي الله عنه من أغزر الصحابة علمًا.

ومما يدل على ذلك قوله: " شامت أصحاب محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يعني: جالستهم ودنوت منهم- فوجدت علمهم ينتهي إلى ستة: إلى علي وعبد الله -يعني: ابن مسعود- وعمر وزيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي بن كعب، ثم شامت الستة فوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبد الله". وهذا الأثر أورده ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في جملة آثار ساقها في بيان أعظم الصحابة رضي الله عنهم علمًا في كتابه إعلام الموقعين.

وهذا الأثر فيه فضل الصحابة رضي الله عنهم وأنهم جميعًا أهل علم، لكنهم يتفاضلون في العلم.

ولابن القيم رَحِمَهُ اللهُ كلام نفيس في بيان فقه الصحابة رضي الله عنهم من المناسب ذكره فيه تحفيز لشدة العناية بفقهمهم.

قال في إعلام الموقعين: " أما المدارك التي شاركناهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة فلا ريب أنهم كانوا أبرّ قلوبًا، وأعمق علمًا وأقل تكلفًا وأقرب إلى أن يوفّقوا فيها لما لم نوفق له نحن، لما خصّهم الله تعالى به من توقّد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن القصد، وتقوى الرب تعالى، فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرتهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل، ولا إلى النظر

في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل قد غنوا عن ذلك كله،
فليس في حقهم إلا أمران:

أحدهما: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا.

والثاني: معناه كذا وكذا، وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى
الأمّة بهما فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما، وأما المتأخرون فقواهم
متفرقة، وهمهم متشعبة، فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى
أذهانهم شعبة، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة، وعلم
الإسناد وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة، وفكرهم في كلام
مصنّفيهم وشيوخهم على اختلافهم وما أرادوا به قد أخذ منها
شعبة، إلى غير ذلك من الأمور، فإذا وصلوا إلى النصوص النبوية إن
كان لهم همٌّ تسافر إليها وصلوا إليها بقلوبٍ وأذهانٍ قد كلّت من
السير في غيرها، وأوهن قواها مواصلة السرى في سواها، فأدركوا من
النصوص ومعانيها بحسب تلك القوة، وهذا أمر يحس به الناظر في
مسألة إذا استعمل قوى ذهنه في غيرها، ثم صار إليها وأفاها بذهن
كالِ وقوة ضعيفة.

وهذا شأن من استعمل قواه في الأعمال غير المشروعة تضعف قوته
عند العمل المشروع، كمن استفرغ قوّته في السماع الشيطاني فإذا
جاء قيام الليل قام إلى ورده بقوة كائلة، وعزيمة باردة، وكذلك من
صرف قوى حبه وإرادته إلى الصور أو المال أو الجاه، فإذا طالب قلبه
بمحبة الله فإن انجذب معه انجذب بقوة ضعيفة قد استفرغها في محبة
غيره، فمن استفرغ قوى فكره في كلام الناس، فإذا جاء إلى كلام الله

وكلام رسوله جاء بفكرة كالألة فأعطى بحسب ذلك.
والمقصود أن الصحابة أغناهم الله تعالى عن ذلك كله، فاجتمعت
قواهم على تينك المقدمتين فقط، هذا إلى ما خصوا به من قوى
الأذهان وصفائها، وصحتها وسرعة إدراكها، وكماله، وكثرة المعاون،
وقلة المعاق، وقرب العهد بنور النبوة، والتلقي من تلك المشكاة
النبوية" فهذا كلام عظيم، يعني: يدعوا إلى شدة العناية بفقه
الصحابة رضي الله عنهم.

فإذا علمنا هذا فعلياً أن نعني بأخذ العلم من طريق الصحابة ومن
سار على طريقتهم من التابعين وتابعيهم، ويكون ذلك بالنظر في
كتب التفسير بالمأثور مثل: تفسير ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم،
وابن كثير، والبغوي، فإذا راجعتها وجدت فيها تفاسير الصحابة
رضي الله عنهم للآيات.

وعليك بمراجعة المصنفات في آثار الصحابة رضي الله عنهم كمصنف
عبد الرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة، وسنن الدارقطني، والسنن
الكبرى للبيهقي، والاستذكار لابن عبد البر.

فالذي يضبط هذه الكتب ويقرأ فيها كثيراً سيقف على فقه الصحابة
رضي الله عنهم وأرضاهم.



المتن:

قال رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: "لَوْ أَنَّ عِلْمَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَُضِعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، وَوُضِعَ عِلْمُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَ عِلْمُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ".

الشرح:

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بيان سعة علم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "لَوْ أَنَّ عِلْمَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَُضِعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ: الكفة: هي أحد أجزاء الميزان، فالموازين لها كفتان، وكفة الميزان يُجعل عليها الموزون.

فلو أَنَّ عِلْمَ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَُضِعَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَ عِلْمُ أَهْلِ الْأَرْضِ كَافَةً فِي كِفَّةٍ أُخْرَى، لَرَجَحَ: يعني: مال، عِلْمُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ".

وهذا الأثر فيه فضل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وسعة علمه ومنزلته في العلم والعمل.

ومما يدل على ذلك: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدَيَّ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ، قَالُوا: مَاذَا أَوَّلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الدِّينَ » رواه البخاري ومسلم

واللفظ لمسلم.

والمراد بالدين، يعني: العمل بهذا الدين، فالعمل فرع عن العلم،
والدين لباس كما قال الله عزَّ وجلَّ: (وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ)
[الأعراف: ٢٦]، والعمل فرع عن العلم.

وفي الأثر إثبات تفاضل الصحابة رضي الله عنهم في العلم، وسبق
الكلام عن هذه المسألة.

وفيه أنَّ الصحابة رضي الله عنهم أفهم الناس لمعاني النصوص وهم
أغزر الناس علمًا، فعلى طالب العلم أن يعتني بفقهم غاية العناية.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ
قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "إِنِّي لَأَحْسَبُ عُمَرَ قَدْ ذَهَبَ بِتِسْعَةِ أَعْشَارِ
الْعِلْمِ".

الشرح:

قال إبراهيم النخعي قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إِنِّي
لَأَحْسَبُ عُمَرَ: يعني: لأظنه، قَدْ ذَهَبَ بِتِسْعَةِ أَعْشَارِ الْعِلْمِ".
وهذا الأثر فيه سعة علم عمر رضي الله عنه.

وقال بعض العلماء: المفاضلة ترجع إلى القلب والعمل، فهو أقوى
من غيره في هذا الباب.

وقال بعضهم: المفاضلة ترجع إلى العلم بالله.

وقال بعضهم: لأنه كان يجمع العلماء في المستجدات والنوازل ويقدم
قولهم على غيره فصارت فتاواه متبعة في الأمصار.

وقيل أيضاً: لقوة استنباطه واستخراجه الدلالات من النصوص.

وقيل: لفراسته وصواب رأيه وموافقة القرآن له.

وقيل: لقبول الأمة له واستقرارها في زمانه وخروج الفتن بعده.

فمواقفه من هذه الأمور تدل على سعة علمه.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء: ٥٩]، قَالَ: "أُولِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ".

الشرح:

هذه الآية فيها الأمر بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ وطاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا يكون بفعل الأوامر بنوعيتها الواجب والمستحب، وترك النواهي بنوعيتها المحرم والمكروه.

قال: (وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ): يعني: وأطيعوا أولي الأمر منكم.

ففسَّر مجاهد أولي الأمر: بأنهم أولوا العلم والفقهاء.

والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ ظاهر كلامه: الميل إلى أحد الأقوال في المراد بولاية الأمر في الآية وهم العلماء، وهذا قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وجابر وعبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهو قول مجاهد وعطاء والحسن.

والأقرب والله أعلم: أن ولاية الأمر في هذه الآية تشمل الأمراء والعلماء، الأمراء في الدنيا، فطاعتهم فيها قيام مصالح الدنيا، والعلماء فهم ولاية أمرنا في دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

والقول: بأن الآية تشمل الأمراء والعلماء هو اختيار الحافظ ابن كثير في تفسيره وابن العربي.

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: أن الآية تتناولهما جميعًا.

لكن طاعتهم مشروطة بما لم يأمر بمعصية؛ لحديث: "لا طاعة

لمخلوق في معصية الخالق" رواه أحمد وغيره.

وفي هذه الآية قال: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)، ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم، بل قال: (وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)، فحُذِفَ الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول، فَإِنَّ الرِّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَمَنْ يَطْعُهُ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ.

وَأَمَّا أَوْلُوا الْأَمْرِ فَمَشْرُطُ الْأَمْرِ بِطَاعَتِهِمْ أَلَّا يَكُونَ مَعْصِيَةً، فَمَنْ تَابَعَهُمْ فِي الْمَعْصِيَةِ مَعَ عِلْمِهِ بِتَبْدِيلِ الشَّرِيعَةِ وَاسْتِحْلَالِهَا فَهَذَا كُفْرٌ.

وطاعتهم مع علم الشخص بأن قولهم فيه تحليل لما حرم الله أو تحريم لما أحل الله مع علمه هذا علم اليقين فهذا كفر، بخلاف من تابعهم لهوى في نفسه مع اعتقاده تحريم ما أمروا به من حرام فهذا فسق.

وإن تابعهم جهلاً فهذا لا يُحْكَمُ عَلَيْهِ، بَلْ يُعَلَّمُ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ طَاعَتُهُمْ، وَأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي أَتَوْا بِهِ قَوْلٌ بَاطِلٌ، إِلَّا إِذَا كَانَ مَفْرُطًا فَإِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ.

فالعلماء طاعتهم مشروطة بموافقة الحق، لمن كان مدرِّكاً ومتصوراً للحق، وأما العامي فإنه لا يسأل إلا من يوثق بعلمه ودينه، وبهذا تبرأ ذمته.

وأهل السنة والجماعة في باب تعظيم العلماء أهل وسطية واعتدال، فإنهم يُنْزَلُونَ الْعُلَمَاءَ الْمُنْزَلَةَ الشَّرْعِيَّةَ، فَيُؤَالُوهُمْ وَيُحِبُّوهُمْ فِي اللَّهِ وَيُثْنُونَ عَلَيْهِمْ وَيَذْكُرُونَ مُحَاسِنَهُمْ وَيَدْعُونَ لَهُمْ وَلَا يَدْعُونَ عَصَمَتَهُمْ وَلَا يَفْضَلُونَهُمْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَلَا يَغْلُونَ فِيهِمْ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، فَلَا يَبْنُونَ عَلَى قُبُورِهِمُ الْقُبَابَ وَالْأَضْرَحَةَ، وَلَا يَتَخَذُونَ قُبُورَهُمْ

مساجد، هذا موقف أهل الحق من أهل العلم.
بخلاف أهل الغلو في تعظيمهم، فإن منهم من يدّعي عصمة العلماء
ويتبعهم مع وضوح خطأهم عنده، ومنهم من يتخذ قبورهم مساجد،
ومنهم من يطيعهم طاعة عمياء.
وأهل السنة لا يقعون في الجفاء والتقصير، فأهل الجفاء والتقصير
لا يعرفون لأهل العلم قدرهم، ويُنكرون فضلهم ويجعلون من ليس بعالم
عالمًا، ويجعلون العلماء في عداد العوام فلا يحترمونها، ولا يجلوّنها،
وربما حصل منهم السب والشتم لهؤلاء، فأهل السنة وسط في باب
تعظيم العلماء بين أهل الغلو وأهل الجفاء.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: "كُنْتُ أَسْمَعُ الْحَدِيثَ فَأَذْكُرُهُ لِإِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّمَا أَنْ يُحَدِّثَنِي بِهِ، أَوْ يَزِيدَنِي فِيهِ".

الشرح:

قال الأعمش رحمه الله: "كُنْتُ أَسْمَعُ الْحَدِيثَ: يعني: في أول طلبه للعلم كان يسمع الحديث، قال: فَأَذْكُرُهُ لِإِبْرَاهِيمَ: يعني: إبراهيم النخعي وهو شيخ الأعمش، قال: فَإِنَّمَا أَنْ يُحَدِّثَنِي بِهِ: بهذا الحديث من غير طريقه بل من طريق آخر، أَوْ يَزِيدَنِي فِيهِ: يعني: في هذا الحديث يزيدني فائدة لم يحدثه بها من قبل.

وهذا فيه سعة علم النخعي رَحِمَهُ اللهُ.

وفيه تحديث الشيخ بعد تقدُّمه في العلم والسن بما كان يحصل له في بداية طلبه للعلم.

وفيه الإخبار عن من استفاد منهم وكيفية تعاملهم معه، عسى أن يسمعه الطلاب أو غيرهم فينشطون لطلب العلم.

وهذا الأثر فيه عناية المشايخ بطلابهم واختصاصهم بمزيد من العلم، لأن النخعي كان يُحدثه بهذا الحديث من طريق آخر، أو كان في بعض الأحيان يزيده في الحديث يعطيه أشياء يخصه بها لم يعطها لغيره.

فبعض المشايخ إذا رأى من طلابه الحرص على طلب الفائدة زاده في

التعليم عن غيره، بخلاف الذي يراه دونه في الحرص، كما فعل
النخعي مع الأعمش.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مَسْعُودِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: "تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: أَشْيَاءُ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهَا، إِنَّ النَّاسَ يَأْبُونَنَا بِمَا لَيْسَ عِنْدَنَا".

الشرح:

قال مسعود بن مالك: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: وهو عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، الملقب بزين العابدين، من أهل البيت، وأهل البيت لهم المكانة الشرعية، فقد أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم خيراً.

فكان عليّ بن الحسين يقول لمسعود بن مالك: "تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؟: ومسعود بن مالك مولى سعيد بن جبیر، فهو قريب منه، ولهذا طلب عليّ بن الحسين هذه الشفاعة منه، وسعيد بن جبیر كانت له مجالس كبيرة يحضرها الجمع الكبير لسعة علمه، فلكثرة انشغاله بتعليم الناس لا يكاد أن يجد وقتاً يخصصه للمجالس الخاصة معه، ولا يكاد أحد أن ينفرد به في مجالس خاصة، ولهذا طلب عليّ بن الحسين من مسعود بن مالك أن يجمع بينه وبين سعيد بن جبیر.

قال مسعود بن مالك: قُلْتُ: وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ؟: وهذا فيه تنبيه إلى أنه لا مانع من السؤال حتى ينشط في تحقيق طلبه.

قَالَ: أَشْيَاءُ: ما هي هذه الأشياء؟ مسائل علمية فهو لا يريد في أمر دينوي.

قَالَ: أَشْيَاءُ أُريدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهَا: وهذا من تواضعه فهو معدود في جملة العلماء العاملين، ومكانته ومنزلته وسابقته في العلم والزهد والعبادة معلومه، ومع ذلك جاء يسأل من هو دونه في هذا الباب وهو سعيد بن جبير.

قال علي بن الحسين: إِنَّ النَّاسَ يَأْبُونَنَا: يعني: يثنون علينا خيراً لأننا من أهل البيت.

بِمَا لَيْسَ عِنْدَنَا": وهذا من تواضعه، وإلا فأهل البيت لهم مزيد إجلال عملاً بوصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «أَذْكُرُّكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»، فأهل البيت لهم مزيد التقدير والإجلال والاحترام، لكن بشرط: ثبوت النسب وحسن الاستقامة، فلا بد من هذين الأمرين.

ويُستفاد من الأثر: الحرص على مجالسة من ينتفع المرء بمجالسته، أو من ينتفع بعلمه ولو كان أقل منه في النسب أو المنزلة أو الوظيفة، فالذي تنتفع به جالسه لو كان أصغر منك، فالذي يلزم هذا المسلك سيحصل خيراً عظيماً، والذي تصيبه الأنفة في هذا الأمر سيُحرم خيراً عظيماً.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: "أَنَّ عُمَرَ نَهَى عَنِ الْمُكَايَلَةِ يَعْنِي الْمُقَايَسَةَ".

الشرح:

قال: عَنْ مُجَاهِدٍ: "أَنَّ عُمَرَ نَهَى عَنِ الْمُكَايَلَةِ يَعْنِي الْمُقَايَسَةَ":
المكايلة لها معنيان:

الأول: أن يكيل المرء لغيره من السوء مثل ما يكيل لك.
فيكون معنى الأثر: النهي عن هذه الخصلة السيئة، فإذا أخطأ عليك شخص فلا تجتهد في رد الخطأ بالخطأ عليه، بل اصبر واحتمل واصفح وتحمل الأذى، وهذا المعنى رجحه أبو عُبَيْد القاسم بن سلام في غريب الحديث.

المعنى الثاني: وهو الذي من أجله أورد المؤلف هذا الأثر:
أَنَّ المراد بالمكايلة: المقايسة في الدين، كما جاء هذا التفسير عن أبي قُتَيْبَةَ واختاره المؤلف هنا.

والمقصود: الحث على التزام النص الشرعي، والبعد عن الأقيسة والآراء التي لا حاجة لها.

ومن القواعد الأصولية: لا قياس في مقابل النص، فإذا لم يوجد نص فلا مانع من القياس.

فالقياس الصحيح: إلحاق مسكوتٍ بمنصوص لا إلحاق منصوص بمنصوص، هذا هو القياس الصحيح، وليس في الشريعة ما يخالف

قياسًا صحيحًا، لكن فيها ما يخالف القياس الفاسد.
فالنهي في هذا الأثر عن المقايسة لأجل عدم التوسع المفضي إلى ترك
النصوص لا المنع من العمل بالقياس مطلقًا، أو القياس الصحيح
الذي توافرت أركانه التي لا ينعقد إلا بها وهي الأصل والفرع والعلة
وحكم الأصل.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ الْحَسَنِ
قَالَ: "إِنَّ لَنَا كُتُبًا نَتَعَاهَدُهَا".

الشرح:

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: "إِنَّ لَنَا كُتُبًا: يعني: من كتب العلم.
نَتَعَاهَدُهَا": والتعاهد هو الاحتفاظ بالشيء والملازمة له.
والمراد به هنا: تعاهد المكتوب.

وتعاهد المكتوب يكون بحفظه وتصحيحه، فقد تكتب مع الشيخ
أشياء وتتركها فترة طويلة، فإذا تعاهدت هذا المكتوب ستجد أخطاء
إملائية، وأخطاء نحوية، وأخطاء علمية، ونحو ذلك.
فتعاهد العلم لتحفظه وتصحيحه، ولتثبت مما فيه من معلومات
ولتذكره مع نفسك ومع غيرك، ولتزيد عليه وتحشيه بمعلومات
ماكانت عندك.

ومن فوائد التعاهد: التوسع في العلم، والأمن من نسيان العلم.
وبعض الطلاب حريص على تقييد العلم، لكنه لا يراجع ما درسه،
وهذا فيه مظنة للنسيان.

ومن فوائد الأثر: الحث على كتابة العلم، ولو لم يُكتب العلم لذهب،
ثم بعد الكتابة يأتي التعاهد.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ جُلُوسًا وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا نَرَاهُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ يَزْعُمُ أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَجِيءُ فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَجَلَسَ وَهُوَ غَضَبَانُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ، وَمَنْ لَا يَعْلَمُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) [ص: ٨٦].

الشرح:

قال مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ: "كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ: يعني: ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جُلُوسًا: والجلوس نقيض القيام، قال: وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا نَرَاهُ: يعني: قد وضع جنبه بالأرض، فهم عنده ليسوا ببيعيدين عنه، بل يرونه ولا يخفى عليهم حاله.

وهذا الفعل من ابن مسعود فيه فائدة وهي: أن الشيخ له أن يتبسط مع طلابه، ومنه: أخذ الهيئة المناسبة له الجالبة للراحة، ولكن هذا في غير مجلس العلم، فكان مضطجعاً لأن المجلس ليس مجلس علم. قال: فَأَتَاهُ رَجُلٌ: أُبْهِمَ تعيين هذا الرجل، لعدم الحاجة إلى ذلك.

فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وهذا فيه مناداة الأشياخ بألقابهم، وأنه لا مانع من ذلك.

فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَاصًّا: أيضًا أبهم، إما لعدم إشهارة، أو لعدم الحاجة إلى ذكر اسم القاص.

والقاصُّ: هو الذي يتفرغ لسرد القصص ويروي أخبار الماضين ويزيد فيها وينقص منها، ويأتي بما يصح وما لا يصح، فهؤلاء هم القُصَّاص الذين كان السلف يذمونهم.

قال بعضهم في وصف القصاص المذمومين: هؤلاء يأخذون الحديث من أهله شبرًا ويجعلونه ذراعًا.

فيأخذون الحديث الصحيح ويزيدون فيه ألفاظًا ويزيدون فيه معانٍ ما أنزل الله بها من سلطان، فهؤلاء هم القُصَّاص الذين حذر السلف منهم، وكان عمر رضي الله عنه يتتبعهم بالدرة، وقال فيهم الإمام أحمد: أكذب الناس صنفان: السُّؤال والقُصَّاص.

وجاء عن خباب بن الأرت: أنه رأى ابنه عند قاص في المسجد، فلما رجع أخذ السوط وضربه، وقال: "مع العمالقة تجلس"، يعني: مع القُصَّاص، رواه ابن أبي شيبة.

أما القاص الذي يقص على الناس بالضوابط الشرعية فيذكر قصص القرآن ويفسرهما تفسيرًا صحيحًا ويذكر قصص السنة ويبين معانيها بيانًا صحيحًا، فهذا القاص قصص محمود، والله جلّ وعلا قال: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [يوسف: ١١١].

قال: إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ: وهي في الكوفة.

يقص وَيَزْعُمُ: الزعم هنا القول من غير صحة ولا يقين، يزعم أن آية الدخان وهي قول الله عَزَّ وَجَلَّ: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) [الدخان: ١٠].

وهل وقع الدخان الذي جاء في هذه الآية أم لا؟ اختلف أهل التفسير في ذلك إلى قولين:

القول الأول: أنَّ الدخان من علامات الساعة المنتظرة الكبرى التي لم تظهر بعد، وهذا نعم هو القول الذي ساقه الراوي هنا هذا القول، وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وحذيفة رضي الله عنهم.

القول الثاني: أن الدخان آية مضت في زمن الدعوة في مكة مع قريش، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه.

وابن مسعود - كما سيأتي في هذا الأثر - يميل إلى أن الدخان قد ظهر فهذه العلامة ظهرت ونسب البغوي رحمه الله هذا القول لأكثر العلماء.

والقول الأقرب والله أعلم: حصول الأمرين، وقد وقع هذا وسيقع مرة أخرى وهو من العلامات الكبرى، ولا مانع من تعدد الوقوع، وهذا القول فيه جمع بين القولين، ورجحه ابن جرير الطبري رحمه الله.

قال: **يَزْعُمُ:** يعني: هذا القاص، **أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَحِيءُ:** يعني: في آخر الزمان، يعني: أنها من أشراط الساعة، **فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ:** يعني: فيموتون.

وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ: يعني: أنه لا يضرهم، وهذا ثابت، ولا إشكال في ثبوته.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَجَلَسَ وَهُوَ غَضَبَانُ: وهذا فيه مشروعية الغضب لله عَزَّ وَجَلَّ، ولعل سبب غضبه وجود من يفسر القرآن برأيه، فكأنه بلغه أنَّ هذا القاص يفسر القرآن برأيه، مع أن القول الذي قاله هذا القاص قول معتبر عند العلماء.

فوجه الإنكار ليس هو لأجل هذا التفسير فقط، بل لأن هذا القاص معروف أنه ليس من أهل التفسير، حتى ولو كان تفسيره صحيحًا، وكان القُصَّاص قد كثروا في زمنه، وإلا فهذه المسألة مسألة خلافية.

وَجَلَسَ وَهُوَ غَضَبَانُ: غضب لأن القصاص لهم تأثير في نفوس العامة؛ ولأنَّ هذا القول الذي قال به القاص بلغه عن طريق تلميذ من تلاميذه، فخشي على هؤلاء التلاميذ من تأثرهم بما يسمعون من القُصَّاص ولهذا غضب، لأنه لا يريد من تلامذته الاقتراب من هؤلاء.

وبعض الطلاب المبتدئين قد يجالسون القُصَّاص فيسمعوا منهم قولًا يشوش على القول الذي سمعوه من شيخهم مع عدم وجود الفرقان عندهم فيحصل التأثير عندهم بهؤلاء القُصَّاص، فقد تكون هذه الأسباب بمجموعها هي التي سببت له هذا الغضب.

قال: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَجَلَسَ وَهُوَ غَضَبَانُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ: إلا إذا كان عدم نشر العلم فيه مصلحة، فإذا كان عدم النشر فيه مصلحة فإنه لا ينشره،

ولكن الأصل عدم كتمان العلم.
 قال: وَمَنْ لَا يَعْلَمُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ
 لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ: وهذا دليل على فقهه؛ لأن الشرع أمر بعدم
 القول على الله بغير علم، وهذا الذي يقول: الله أعلم قد امتثل
 النصوص التي فيها المنع من القول على الله بغير علم.
 قال: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ أَجْرٍ): يعني: قل لهؤلاء المشركين: أنا لا أطلب منكم أجره على
 تبليغ الرسالة لكم، (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ): يعني: ما أزيد على ما
 أرسلني الله به، بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه،
 وإنما أبتغي بذلك وجه الله عَزَّ وَجَلَّ والدار الآخرة.
 والقائل على الله بغير علم متكلف ومتصنع ما ليس عنده.
 وهذا الأثر فيه التحذير من القُصَّاص حتى لو وجدتم عندهم خيراً،
 فالخير الذي عندهم موجود عند غيرهم فلا حاجة إلى الارتباط
 بشخص هذا حاله وهذا موقفهم من العلم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ الرَّازِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ، يَذْكُرُ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنْسٍ، قَالَ: "مَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ابْنُ آدَمَ عَلِمَ مَجَانًّا كَمَا عُلِّمَتْ مَجَانًّا".

الشرح:

إسناد هذا الأثر فيه ضعف.

قال: "مَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ: يحتمل أنه في كتب بني إسرائيل، ويحتمل أنه في اللوح المحفوظ، والله أعلم.

قال: " ابْنِ آدَمَ عَلِمَ مَجَانًّا: يعني: بدون مقابل.

كَمَا عُلِّمَتْ مَجَانًّا": وهذا فيه الحث على نشر العلم بدون مقابل.

وعدم أخذ الأجرة على تعليم العلم أفضل كما بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: " أما تعليم القرآن والعلم بغير أجرة فهو أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ليس هذا مما يخفى على أحد ممن نشأ بديار الإسلام. والصحابة والتابعون وتابعو التابعين وغيرهم من العلماء المشهورين عند الأمة بالقرآن والحديث والفقه إنما كانوا يعلمون بغير أجرة. ولم يكن فيهم من يعلم بأجرة أصلاً ... وتعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك بغير أجرة لم يتنازع العلماء في أنه عمل صالح فضلاً عن أن يكون جائزاً؛ بل هو من فروض الكفاية".

وأما حكم أخذ الأجرة على تعليم العلم ومنه القرآن الكريم:

فالأقرب والله أعلم جوازه لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما:
عن النبي ﷺ قال: «أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله» رواه
البخاري.

فدلّ الحديث على جواز أخذ الأجرة على كتاب الله عزّ وجل، وهو
نوع قرينة، فيقاس عليه أخذ المال مقابل تعليم العلم الشرعي؛ لأنّه من
القرب، فيجوز أخذ الأجرة عليه.

وما يأخذه من بيت المال خيرٌ وأفضل؛ لأنّ ما يؤخذ من بيت المال
ليس بعوض إنّما هو إحسان ومعروف وإعانة على الطّاعة.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: "ذَهَبَ الْعُلَمَاءُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُتَكَلِّمُونَ وَمَا الْمُجْتَهِدُ فِيكُمْ إِلَّا كَاللَّاعِبِ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ".

الشرح:

قال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ: "ذَهَبَ الْعُلَمَاءُ: يعني: مات كثير من العلماء في زمانه، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُتَكَلِّمُونَ: وهم أهل الكلام، المتشدقون: الذين يتوسعون في الكلام ويلوون ألسنتهم به، لأن الشدق هو جانب الفم، والمتفيهقون الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم، وكل هذا من التنطع في الكلام، لإمالة قلوب الناس وأسماعهم إليه، قال: وَمَا الْمُجْتَهِدُ فِيكُمْ: يعني: الباذل وسعه في طلب العلم إذا قورن بمن سبقه في الاجتهاد في تحصيل العلم الشرعي، قال: إِلَّا كَاللَّاعِبِ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ: اللاعب يعني: الهازل وصاحب اللهو، فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"، فالمتقدمون قبلهم من طلبة العلم أشد اجتهادًا في التحصيل ممن جاء بعدهم.

والمتقدمون أشد عناية في تحصيل العلم الشرعي وفي الرحلة في طلب العلم والصبر عليه وبذل الوسع في تحصيله، هذا كلامه في التابعين، فكيف لو رأى أصحاب هذا الزمان من أدعياء العلم ماذا عساه أن يقول؟ فهذا الأثر فيه التنبيه إلى فضل علم السلف على علم الخلف.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ، يَقُولُ: "عَالِمُكُمْ جَاهِلٌ، وَزَاهِدُكُمْ رَاغِبٌ، عَابِدُكُمْ مُقَصِّرٌ".

الشرح:

قال الأوزاعي رحمه الله: سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ، يَقُولُ: "عَالِمُكُمْ جَاهِلٌ": يعني: بالنسبة لعلم من قبله فهو دونهم في العلم.

وَزَاهِدُكُمْ رَاغِبٌ: الزاهد: هو قليل الرغبة في الدنيا، فالزاهد منكم راغب في الدنيا بالنسبة للعلماء الزهاد الذين قبله.

عَابِدُكُمْ مُقَصِّرٌ: المشهور بالعبادة والتنسك في زمانكم حتى اشتهر بهذا اللقب، فصار يُلقب بأنه زاهد وعابد، هو مقصر بالنسبة لمن قبله من العباد والزهاد، والزهد المشروع المراد به: ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهو: فضول المباح التي لا يُستعان بها على طاعة الله، كما عرفه بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

وهذا الأثر فيه فضل الصحابة رضي الله عنهم من جهة علمهم وزهدهم وعبادتهم، وكل ما ابتعد الناس عن عصر النبوة وعصر الصحابة كثر فيهم النقص، في علمهم وفي تعبدهم وفي زهدهم إلا من رحم الله.

وفيه الحرص على أخذ العلم ممن بذلوا الجد والاجتهاد في تحصيل العلم، وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم.



المثنى:

قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو يَحْيَى حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: "تَذَاكُرُوا الْحَدِيثَ فَإِنَّ حَيَاتَهُ ذِكْرُهُ".

الشرح:

قال علقمة رحمه الله: "تَذَاكُرُوا الْحَدِيثَ: هذا أمرٌ وحثٌ على مذاكرة الحديث، ومذاكرته تكون بحفظه، وبفقه معناه وبتدارسه مع غيرك، فكل هذه داخلة في قوله: "تَذَاكُرُوا الْحَدِيثَ".

قال: فَإِنَّ حَيَاتَهُ ذِكْرُهُ": فإحياء العلم وبقاؤه يكون بمذاكرته حتى لا يُنسى.

قال عبد الله بن المعتز: "من أكثر مذاكرة العلماء لم ينسى ما علم، واستفاد ما لم يعلم".

وقال النخعي رحمه الله: "من سرّه أن يحفظ الحديث فليُحدِّث به، ولو أن يُحدِّث به من لا يشتهيهِ".

فتذاكر العلم وإن كنت في مجالس العوام ومن لا يرغب في العلم لتستفيد مذاكرة علمك، وربما كان فعلك سبباً في ترغيب الناس في العلم الشرعي، وطرحهم لمسائل يجهلونها.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: "إِحْيَاءُ الْحَدِيثِ مُذَاكِرَتُهُ، فَذَاكِرُوهُ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ: "يَرْحَمُكَ اللَّهُ كَمْ مِنْ حَدِيثٍ أَحْيَيْتُهُ فِي صَدْرِي قَدْ كَانَ مَاتَ".

الشرح:

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: "إِحْيَاءُ الْحَدِيثِ مُذَاكِرَتُهُ: وسبق بيان هذه الجملة وكيف تكون المذاكرة.

وإحياء الحديث، في نفس صاحبه هذا يكون بمذاكرته بالأوجه التي تقدّمت.

قال: فَذَاكِرُوهُ: وفي بعض النسخ: فتذاكروه: يعني: تذاكروه مع غيركم ومع أنفسكم.

قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ: وهذا شيخ ليزيد بن أبي زياد. قاله لما حدثه يزيد بقول ابن أبي ليلى، قال: "يَرْحَمُكَ اللَّهُ: دعا له بالرحمة، يعني: غفر الله لك ما مضى من ذنوبك وحفظك فيما بقي. كَمْ مِنْ حَدِيثٍ أَحْيَيْتُهُ: قد أحْيَيْتُهُ، فِي صَدْرِي قَدْ كَانَ مَاتَ": وهذا في نسبة الفضل لأهله.

فكأنه يقول: قد ذكرتني بهذا الكلام وشجعتني على مذاكرة بعض الكتب التي ربما غفلتُ عن مراجعتها حتى نسي بعض ما فيها، وهذا فيه فضل الجليس الصالح، فإنه يذكرك إذا نسيت، ويتواصى مع

إخوانه على الحق.

فاحرص على مجالسة الصالحين، واصبر نفسك على ذلك، فقد قال
الله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [الكهف:
٢٨].



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ،
عَنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ، قَالَ: "كُنَّا نَجْمَعُ الصَّبِيَّانَ فَنُحَدِّثُهُمْ".

الشرح:

هذا الأثر بمعنى الأثرين السابقين.
قال: "كُنَّا نَجْمَعُ الصَّبِيَّانَ فَنُحَدِّثُهُمْ": وهذا يشمل تحفيظهم العلم حتى ولو لم يعقلوه، تحفيظهم القرآن وتعليمهم على قدر عقولهم.
قال: فَنُحَدِّثُهُمْ: أي: على قدر عقولهم.
وهذا فيه الحث على مذاكرة العلم حتى مع الصبيان مع عدم عنايتهم بالعلم، وكل هذا من شدة الحرص على المذاكرة.
وهذه الطريقة: مناسبة لغير المتمكن في الحفظ والضبط، فإنه قد يستفيد منها مع الصغار.
وفي الأثر عدم الأنفة في تحديث الصغار، فالصغار فيهم من يعقل العلم إذا حُدِّثَ على قدر عقله.
فمحمود بن الربيع رضي الله عنه عقل من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجة مجها في وجهه وهو ابن خمس سنين من دلو، كما في البخاري، وهذا فيه صحة سماع الصبي إذا كان عاقلًا لما يسمع، أما التحديث فيكون بعد البلوغ.
فالصغار لا يُتَقَرَّونَ، لكن يُطَرَّحَ عليهم العلم على قدر عقولهم.
ومن فوائد تلقينهم: تثبيت العلم في ذهن المعلم.



المُتَن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: "إِنَّ أَصْحَابِي تَعَلَّمُوا الْخَيْرَ، وَأَنَا أَتَعَلَّمُ الشَّرَّ، قِيلَ: وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: "إِنَّهُ مَنْ تَعَلَّمَ مَكَانَ الشَّرِّ يَتَّقِهِ".

الشرح:

قال حذيفة رضي الله عنه وهو صاحب سر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إِنَّ أَصْحَابِي: يتعلمون، يعني: من النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخير، يعني: يسألون النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن طرق الخير التي تقربهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَنَا أَتَعَلَّمُ الشَّرَّ: يعني: يسأل عن الشر وهو ما يكون في الدنيا من الفتن والشُرور ومن عقوبات ذلك في الآخرة.

وليس المراد: أنه لا يسأل إلا عن الشر فقط، بل يجمع بين السؤال عن الخير والسؤال عن الشر، بدليل قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما جاء عند الإمام أحمد، قال: "وعرفت أن الخير لن يسبقني"، يعني: لن يفوتني، فكان يجمع بين الأمرين.

قِيلَ: وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا؟: سألوه لأنهم استغربوا من صنيعه الذي خالف فيه عادة الناس في الغالب.

قَالَ: "إِنَّهُ مَنْ تَعَلَّمَ مَكَانَ الشَّرِّ يَتَّقِهِ": وهذا الأثر ورد في الصحيحين.

قال حذيفة رضي الله عنه: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني".
 قال: "إِنَّهُ مَنْ تَعَلَّمَ مَكَانَ الشَّرِّ يَتَّقِهِ": فالذي يعرف الشرور ومورد البدع وتفاصيل ما عند المخالف من شبهات يكون ذلك من أسباب تجنبها والسلامة منها، كما قال أبو فراس الحمداني:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

وهذا مشاهد في الواقع، فالذي يدرس مذهب السلف على سبيل التفصيل في مسائل الاعتقاد، ثم يقرأ بعد ذلك يتوسع في العلم ويقرأ كتب المقالات والفرق والملل والنحل فإنه سيكون على بينة من أمره ويسلم بإذن الله عز وجل من الوقوع في لوثاة أهل المخالفات بأنواعهم.

لكن القراءة فيما لا فائدة من النظر فيه قد تكون فتنة لطالب العلم، كالقراءة في كتب الفلسفة والمنطق، وكالاستعجال والقراءة في كتب الملل والطوائف والنحل مع عدم وجود التأصيل المسبق، فهذا فيه مظنة أيضاً لعدم فهمها ومظنة للتأثر بما لم يفهم من هذه المقالات.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا: مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ، أَبِيهِ، قَالَ: "كَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ إِذَا سَأَلَهُ رَجُلٌ، عَنْ شَيْءٍ، قَالَ: آلهَ لَكَانَ هَذَا؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ. تَكَلَّمَ فِيهِ، وَإِلَّا لَمْ يَتَكَلَّمْ".

الشرح:

قال: "كَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ إِذَا سَأَلَهُ رَجُلٌ، عَنْ شَيْءٍ: يعني: عن مسألة شرعية من مسائل العلم، قَالَ: آلهَ لَكَانَ هَذَا؟: يستحلفه هل وقعت هذه المسألة أم أنها فرضية؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ: يعني: وقعت هذه المسألة، تَكَلَّمَ فِيهِ: تكلم فيما سُئِلَ عنه ولم يكتم العلم، وَإِلَّا لَمْ يَتَكَلَّمْ".

فإذا كانت هذه المسألة افتراضية غير واقعة لم يتكلم خشية القول على الله بغير علم، ولئلا يلجأ إلى الرأي والقياس في مسألة لم تقع، ولئلا يتكلف المرء الكلام فيما لم يقع.

وقد قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما في البخاري: "نهينا عن التكلف"، ومن التكلف أن يتكلف الإنسان ما لا علم له به ويحاول أن يظهر بمظهر العالم وليس كذلك، أو يشدد على نفسه أو على غيره في أي أمر جعل الله فيه سعة.

والأسئلة على قسمين:

الأول: السؤال عما أشكل، فهذا مشروع؛ لقول الله عَزَّ وَجَلَّ:

(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٣]، فيجيبه العالم إذا رأى مصلحة في ذلك.

والثاني: أسئلة غير مشروعة، ومنها السؤال عما لم يقع، ومنها السؤال عما لم يُسأل عنه، ومن ذلك السؤال عن كيفية الاستواء. وقد كان السلف يشددون على من يسأل مثل هذه الأسئلة التي لم يسأل عنها من هم أحرص الناس على تعظيم الله جَلَّ وَعَلَا. والإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ لما سأله سائل عن الاستواء في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه: ٥]، قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه)، وهذا من فوائده: أنَّ السؤال عن كيفية صفات الباري بدعة محدثة؛ لأنَّه سؤال عما لا سبيل إلى علمه، ولا يجوز الكلام فيه، ولم يسبق ذلك في زمن رسول الله ﷺ ولا من بعده من أصحابه رضي الله عنهم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبَجَرَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: "سَأَلْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: أَكَانَ بَعْدُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: "فَأَجْمَنَّا حَتَّى يَكُونَ، فَإِذَا كَانَ؛ اجْتَهِدْنَا لَكَ رَأْيَنَا".

الشرح:

قال مسروق رَحِمَهُ اللهُ: "سَأَلْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ عَنْ شَيْءٍ: يعني: عن مسألة علمية، فَقَالَ: أَكَانَ بَعْدُ؟: هذا الذي سألت عنه هل وقع؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: "فَأَجْمَنَّا: يعني: فأرحنا واطرقنا حتى يكون. فَإِذَا كَانَ: يعني: وقع هذا الذي سألت عنه. اجْتَهِدْنَا لَكَ رَأْيَنَا": يعني: فكرنا، فالكلام فيما لم يقع يحتاج إلى إعمال ذهن وإلى قياس معتبر، وما وقع من مستجدات فإنها تُلحق بالمسائل التي تقدمت، فيحتاج المرء إلى إعمال القياس المعتبر.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، ثنا مَالِكٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: "كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا".

الشرح:

قال سهل بن سعد رضي الله عنه: "كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسَائِلَ: والمقصود بالمسائل هنا: المسائل التي لم تقع، أو فيها تعنت، أو كان المقصد منها إفحام السائل. وقد يسأل السائل عن أشياء لم تقع، فيجيب المسؤول بحثاً عن الشهرة أو لغرض غير معتبر لا يحل له شرعاً. قال: وَعَابَهَا": يعني: جعل السؤال عن هذه المسائل التي لم تقع جعلها من العيب والنقص والخطأ والخلل. ثم إنه في زمن الوحي جاء النهي عن السؤال عما لم يقع خشية أن يُحرم من أجل تلك المسألة، كما قال الله عزَّ وجلَّ: (يَأْثُرُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ) [المائدة: ١٠١]، فهذا من أسباب كراهة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسائل التي لم تقع.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، ثنا سُفْيَانُ، عَنْ زَيْدٍ، قَالَ: "مَا سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا رَأَيْتُ فِيهِ الْكَرَاهِيَةَ".

الشرح:

قال زبيد: "مَا سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ: يعني: النخعي، عَنْ شَيْءٍ: يعني: من مسائل العلم، قَطُّ إِلَّا رَأَيْتُ فِيهِ الْكَرَاهِيَةَ": يعني: الأمانة التي تدل على كراهيته للجواب. وكان يكره أن يُسأل خشية الوقوع في الخطأ والزلل في الفتوى، وخشية القول على الله عَزَّ وَجَلَّ بغير علم. فهذا الأثر فيه: خوف السلف من الفتيا، ومن تورعهم أن بعض السلف كانوا يسألون الله السلامة والنجاة قبل أن يُفتوا. ومن ذلك ما روي عن سعيد بن المسيب وهو إمام تابعي ثقة لا يكاد يُفتي إلا قال: "اللهم سلّمني وسلّم مني".



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، ثنا حَجَّاجٌ، عَنْ عَطَاءٍ،
وَأَبْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: "كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ فَيُحَدِّثُنَا فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ تَذَاكُرْنَا حَدِيثَهُ فَكَانَ أَبُو الزُّبَيْرِ
مِنْ أَحْفَظِنَا لِلْحَدِيثِ".

الشرح:

عَنْ عَطَاءٍ: يعني: ابن أبي رباح، قال: "كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ فَيُحَدِّثُنَا: من الأحاديث التي أخذها عن النبي صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو ممن أخذها عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
قال: عِنْدِهِ تَذَاكُرْنَا حَدِيثَهُ فَكَانَ أَبُو الزُّبَيْرِ: وهو محمد بن مسلم،
مِنْ أَحْفَظِنَا لِلْحَدِيثِ"، وقيل: لأنه كان ألزمهم لجابر رضي الله عنه.
وفي الأثر مذاكرة الزملاء والأقران طلبة العلم للعلم حتى لا يُنسى.
والإقرار لأبي الزبير محمد بن مسلم بأنه من أحفظهم للحديث، فيه
دلالة على سلامة قلوبهم من التنافس المذموم ونسبة الفضل لأهله.
وفيه الحرص على اختيار الرفقة الصالحة فإنهم يعينونك على مذاكرة
العلم.

وفيه أيضاً ثمرة طول الملازمة، فكان أبو الزبير من أحفظهم للحديث
بسبب كثرة ملازمته لجابر رضي الله عنه.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ قَابُوسَ بْنِ أَبِي ظَبْيَانَ، قَالَ: "صَلَّيْنَا يَوْمًا خَلْفَ أَبِي ظَبْيَانَ صَلَاةَ الْأُولَى وَنَحْنُ شَبَابٌ كُلُّنَا مِنَ الْحَيِّ إِلَّا الْمُؤَذِّنَ فَإِنَّهُ شَيْخٌ، فَلَمَّا سَلَّمَ، انْتَفَتَ إِلَيْنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ الشَّبَابَ: مَنْ أَنْتَ؟ مَنْ أَنْتَ؟ فَلَمَّا سَأَلَهُمْ قَالَ: "إِنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا وَهُوَ شَابٌّ، وَلَمْ يَوْتَ الْعِلْمَ خَيْرٌ مِنْهُ وَهُوَ شَابٌّ".

الشرح:

قال قابوس بن أبي ظبيان: "صَلَّيْنَا يَوْمًا خَلْفَ أَبِي ظَبْيَانَ: يعني: خلف والده وهو حُصَيْن بن جُنْدَب، صَلَاةَ الْأُولَى: وهي صلاة الظهر، وقوله: صَلَاةَ الْأُولَى: هذه قرينة تدل على إتقانه وحفظه لهذه الرواية، وهي كونه يحكي شيئاً فعله هو وأصحابه، فهو لا يروي عن غيره بـ(عن) أو (أن)، ولكن يحكي قصة فراويته مقبولة. قال: "صَلَّيْنَا يَوْمًا خَلْفَ أَبِي ظَبْيَانَ صَلَاةَ الْأُولَى وَنَحْنُ شَبَابٌ: والشباب زمن حداثة السن على خلاف في تحديد بدايته ونهايته، لكن من خرج شعر وجهه فهو شاب.

قال: كُلُّنَا مِنَ الْحَيِّ: يعني: كلنا من قبيلة واحدة. إِلَّا الْمُؤَذِّنَ فَإِنَّهُ شَيْخٌ: يعني: إلا المؤذن فإنه شيخ كبير السن وليس من قبيلتهم.

فَلَمَّا سَلَّمَ: من صلاة الظهر وهو حُصَيْن بن جُنْدَب. انْتَفَتَ إِلَيْنَا: هذه هي السنة أن الإمام يلتفت إلى

الناس بعد الصلاة

قال: ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ الشَّبَابَ: مَنْ أَنْتَ؟ مَنْ أَنْتَ؟ وهذا من تَلَطُّفِ الكَبِيرِ بالصَّغِيرِ أَنْ يَأْتِيَ بِمَقْدَمَةٍ قَبْلَ الْبَدْءِ بِنَصَحِهِ وَوَعْظِهِ، فَهَذِهِ مَقْدَمَةٌ لِنَصِيحَتِهِمْ أَرَادَ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَبْدَأُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ بِمُبَاشَرَةٍ وَالنَّصِيحَةِ، بَلْ يَأْتِيَ بِمَقْدَمَةٍ تَكُونُ مَدْخَلًا لِنَصِيحَتِهِ.

قال: فَلَمَّا سَأَلَهُمْ: يَعْنِي: وَأَجَابُوهُ، أَعْجَبَهُ أَنَّهُمْ مِنْ قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَحَبَّ أَنْ يَعْظَهُمْ وَيَذَكِّرَهُمْ بِفَضْلِ طَلَبِ الْعِلْمِ.

قال واعظاً لهم: "إِنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ نَبِيٌّ إِلَّا وَهُوَ شَابٌّ: وَلَمَّا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ، وَهَذَا مِنْ حَسَنِ أَدْبِهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ لَكَبِيرِ السَّنِ.

وقد جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنْ مِنْ أَجْلالِ اللَّهِ إِكْرَامِ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ» يَعْنِي: تَعْظِيمَهُ وَتَوْقِيرَهُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

فَلَمَّا سَأَلَهُمْ قَالَ: "إِنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ نَبِيٌّ إِلَّا وَهُوَ شَابٌّ: وَهَذَا أَسْلُوبُ حَسَنِ سُلُوكِهِ فِي وَعْظِهِمْ وَتَرْغِيْبِهِمْ بِالطَّاعَةِ، وَهُوَ تَذَكِيرُهُمْ أَنَّ زَمَانَ الشَّبَابِ هُوَ زَمَانُ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ وَالْعَمَلِ.

فَالْأَنْبِيَاءُ غَالِبُهُمْ بُعِثَ فِي سِنِ الْقُوَّةِ وَالنَّشَاطِ وَهِيَ سِنُ الْأَرْبَعِينَ، وَنَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ فِي الْأَرْبَعِينَ.

قال: وَلَمْ يَوُتِ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنْهُ وَهُوَ شَابٌّ: يَعْنِي: لَمْ يُطْلَبِ الْعِلْمُ خَيْرَ لَهُ مِنْ طَلَبِهِ وَهُوَ فِي زَمَنِ الشَّبَابِ، لِأَنَّهُ وَقْتُ النَّشَاطِ الْمَعِينِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَعَلَى حُضُورِهِ الدَّرُوسِ وَعَلَى الْحِفْظِ وَعَلَى

المذاكرة وعلى البحث والتنقيب في كتب أهل العلم وعلى بث العلم. قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ: " التفقه في زمن الشبيبة وإقبال العمر والتمكن منه بقلّة الأشغال وكمال الذهن وراحة القريحة يرسخ في القلب ويثبّت ويتمكن ويستحكم، فيحصل الانتفاع به والبركة إذا صحبه من الله حسن التوفيق، وإذا أُهمل إلى حالة الكبر المغيرة للأخلاق الناقصة للآلات كان كما قال الشاعر:

إذا أنت أعياك التعلم ناشئاً فمطلبه شيخاً عليك شديدٌ
فالعلم يؤتى من حيث الأصل ولا يُذهب إليه إلا لمصلحة، وكبير السن في الغالب تكون عنده مشاغل، وأمراض، وأنفة من الحضور إلى مجالس من هو دونه في السن، مع أن هذا ليس بعذر عند العقلاء الذين يقدرّون العلم ويعرفون شأنه وشأن أهله. قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: "وتعلّم أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كِبَرِ سِنِّهِمْ".

فهذا الأثر فيه الحث على استغلال أوقات الشباب في العناية بأعظم مطلوب وهو العلم الذي يُعرّف بالله جَلَّ وَعَلا وبمراده منا. وفيه الحث على طلب العلم متى سنحت للداعية إلى الله عزَّ وجلَّ فرصة النصيحة وتذكير الناس بشأن العلم وقدره فعليه أن يبادر بتوجيه الناس إلى طلب العلم الذي جاءت النصوص والآثار العظيمة في فضله.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: "مَا أُوتِيَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَزَيْنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ".

الشرح:

قال عطاء بن يسار رحمه الله: "مَا أُوتِيَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ: يعني: ما ضم شيء إلى شيء، أو ما اجتمع شيان، أَزَيْنُ: يعني: أفضّل. مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ": يعني: من جمع المرء بين الخصلتين: بين صفة الحلم وصفة العلم.

والحلم: هو ترك العجلة ولزوم الأناة والعقل والتثبت في الأمور والصفح وعدم المؤاخذة.

قال رجاء بن حيوة رحمه الله: " ما أحسن الإسلام ويزينه الإيمان، وما أحسن الإيمان ويزينه التقوى، وما أحسن التقوى ويزينها العلم، وما أحسن العلم ويزينه الحلم، وما أحسن الحلم ويزينه الرفق". وقال بعض الأدباء:

العلم والحلم حُلَّة كرم	للمرء إذا هما اجتمعا
كم من وضع سما به العلم	والحلم فنال السمو وارتفعا
صنوان لا يستقيم حُسْنهما	إلا بجمع لذا وذاك معا

وهذا الأثر فيه الحث على تأدب طالب العلم بآداب الطلب، ومن تلكم الآداب الاتصاف بصفة الحلم، لأن الطريق ليس طريقاً مفروشاً

لطالب العلم بالورود، فهذا الطريق لا بد أن يعرض فيه للمرء
الابتلاء، من الأذى، والكلام السيء، من السب والشتم،
والانتقاص، والازدراء، والاحتقار، وغير ذلك من صنوف الأذى.
فإذا لم يتصف طالب العلم بالحلم ربما قابل هذا الأذى بالعجلة
وأفسد أكثر مما يصلح، وخطأ طالب العلم ليس كخطأ غيره، فبعض
الجهلة إذا أخطأ طالب علم نسب الخطأ إلى جميع طلبة العلم، فالله
الله أن يؤتى الإسلام من قبلك، فاصبر واحتسب وتأنى في أمرك.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ يَقُولُ: "ادْنُوا يَا بَنِي فَرُوحَ فَلَوْ كَانَ الْعِلْمُ مُعَلَّقًا بِالثَّرِيَّا لَكَانَ فِيكُمْ مَنْ يَتَنَاوَلُهُ".

الشرح:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: "ادْنُوا: يعني: اقتربوا إلى العلم ومجالسه. قال: يا بَنِي فَرُوحَ: وبنو فروخ هم الفُرس من عجم العراق، وفروخ هذه كُنية لهم، ومعناه: السعيد طالعه، وهذا من تألفه وحرصه على أن يتعلم العجم العلم الشرعي لقلته بينهم في ذلك الزمان. وفيه حرص العالم على ربط جميع طبقات المجتمع بالعلم الشرعي دون الالتفات إلى جنسهم أو لونهم أو شكلهم، يُدعى إلى العلم ويُدعى إلى الله العجمي والعربي والأسود والأبيض والصغير والكبير والذكر والأنثى، وإلا صارت حزبية مقبنة إذا كان يُدعى ويُقتصر على تعليم فئة معينة بلا حاجة تستدعي ذلك، أو على أهل بلدة معينة أو على قبيلة معينة، فالذي يفعل هذا الأمر في الحقيقة يدعوا إلى نفسه، وإلا الداعي إلى الله دعوته يجب أن تكون دعوته عالمية، كما دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: "ادْنُوا يَا بَنِي فَرُوحَ فَلَوْ كَانَ الْعِلْمُ مُعَلَّقًا بِالثَّرِيَّا: وهو النجم المعروف، يعني: لو كان العلم بعيدًا جدًّا، لَكَانَ فِيكُمْ مَنْ يَتَنَاوَلُهُ": يعني: يحصل العلم ولو كان بعيدًا، لكن بشرط: أن يبذل وسعه في

تحصيل العلم.

وقد وجد بحمد الله من العجم من اجتهد في تحصيل العلم فحصله،
بل صار إمامًا من أئمة الإسلام، كالبخاري ومسلم، فهما من فارس
وغيرهما كثير، وسيبويه إمام العربية ليس بعربي، وهذا فيه أن العلم
يُنال ببذل الوسع في طلبه، وأن نسب الرجل وحده لا صلة له
بتحصيل العلم الشرعي.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ، قَالَ: "كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا نَظَرَ إِلَى أَبِي صَالِحٍ قَالَ: "مَا كَانَ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ".

الشرح:

قال: "كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا نَظَرَ إِلَى أَبِي صَالِحٍ: وهو ذكوان السمان، المتوفى سنة: (١٠١هـ)، وأبو صالح كان مولى لجويرية بنت الأحمس الغطفاني، وكان ملازماً لأبي هريرة رضي الله عنه.

قَالَ: "مَا كَانَ عَلَى هَذَا: يعني: على أبي صالح، أَنْ يَكُونَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ": أي: ما يضره أنه ليس من قريش، وهذا فيه فضل ذكوان السمان والذي رفعه ليس النسب بل العلم، وما ضره أن يكون صاحب شرف كبني عبد مناف، ففوات النسب لا أثر له في العلم ولا بالتقوى، وقد قيل:

لقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ وقد وضع الشرك الشقي أبا لهب



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَمَانَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: "مَا كُنْتُ أَتَمِّى مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا ثَوْبَيْنِ أَبْيَضَيْنِ أَجَالِسُ فِيهِمَا أَبَا هُرَيْرَةَ".

الشرح:

هذا الأثر جاء عن أبي صالح وهو ذكوان السمان الذي تقدم قبل قليل أنه كان مولاً لجويرية بنت الأحمس الغطفاني.

قَالَ: "مَا كُنْتُ": يعني: في بداية طلب العلم.

أَتَمِّى مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا ثَوْبَيْنِ أَبْيَضَيْنِ: والتمني هو طلب حصول الشيء سواء كان ممكناً أو ممتنعاً، فما كان يتمنى تحصيله من هذه الدنيا إلا ثوبين أبيضين إزار ورداء، وبَيَّن سبب هذه الأمنية فقال: أَجَالِسُ فِيهِمَا أَبَا هُرَيْرَةَ": يعني: أترين فيهما لحضور مجلس الحديث، فكانت أمنيته الزهد في الدنيا والاقتصار على التفرغ في تحصيل العلم على أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فكان يتمنى أن يكون له ثوبان إزار ورداء يتزين فيهما لحضور مجلس العلم، وهذا فيه إشارة إلى ما كان يعانيه من الفقر وقلة ذات اليد، وفيه زهده في الدنيا وحرصه على طلب العلم.

وفيه أن تحصيل العلم يحتاج إلى تفرغ، كما قيل: أعط العلم كلك يعطيك بعضه، وأعطه بعضك يعطيك بقدر ما أعطيته.

ثم إنه نص هنا على مجالسة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون غيره،

فيحتمل هذا أنه ما كان يجالس في ذلك الوقت أحدًا سواه، وهذا ليس عيبًا، ولهذا قال بعضهم: من بورك له في شيء فليلزمه، فالتكثّر من الأشياخ ليس بلازم، بل هو منوط بالحاجة، وإلا إذا وجدت شيخًا واحدًا قد حصّل خيرًا عظيمًا من العلم ولزمته ووجدت أن قلبك عنده فهذا لا مانع من ملازمته.

وإذا رأيت من هو أجود من شيخك في بعض علوم الشريعة فلا تتحزب لشيخك ولا تقتصر عليه، بل خذ من غيره.

قال أيوب السّخّتياني رحمه الله: «إذا أردت أن تعرف خطأ معلمك فجالس غيره» أخرجه الدارمي في سننه.

فالتحزب لشيخ واحد وحصر الحق فيه من الحزبية المذمومة.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، قَالَ: قَالَ قَابُوسُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: "(كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ) إِلَى قَوْلِهِ: (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) [النساء: ١٢٨] قَالَ: الرَّجُلَانِ يَقْعُدَانِ عِنْدَ الْقَاضِي فَيَكُونُ لِي الْقَاضِي وَإِعْرَاضُهُ إِلَى أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ عَلَى الْآخَرِ".

الشرح:

قال عن ابن عباس رضي الله عنهما: فِي قَوْلِهِ: يعني: في تفسير هذه الآية: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ): يعني: أن إيمانكم الخالص يلزمكم أن تكونوا قائمين دائماً بالعدل قولاً وفعلاً، ولا تأخذكم بالجهر به بين الناس لومة لائم.

قال: (شُهَدَاءَ لِلَّهِ): يعني: تشهدون بالعدل لوجه الله عزَّ وجلَّ. (وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ): حتى على أقرب الأقارب كن صاحب عدل وإنصاف.

إلى قوله: (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا): يعني: إن كانت شهادتكم حقاً أو باطلاً الله يعلم بذلك، وسوف يجازيكم بما تستحقون.

قال: يعني: أن هذه الآية تنطبق على من ذكره هنا.

قَالَ: الرَّجُلَانِ: وهذا من التفسير بالمثال، ويدخل في معنى الآية قَالَ: الرَّجُلَانِ يَقْعُدَانِ عِنْدَ الْقَاضِي فَيَكُونُ لِي الْقَاضِي: اللي: هو تشدد القاضي وصلابته وميله وإعراضه إلى أحد الرجلين على

الآخر، وهذا فيه تحذير القضاة من الميل إلى أحد الخصوم بسبب مكانته، وهو خلاف العدل، والواجب على القضاة أن يلزموا العدل.

ولعل مناسبة هذا الأثر لموضوع الكتاب: أنّ العدل بين الخصوم من جملة العمل بالعلم الذي تعلمه طالب العلم، ومن ذلك إذا كان في مجلس القضاء فعليه أن يعمل بالعلم الذي يحثه على الإنصاف. ويحتمل أنه قد يعرض للقاضي خصومات بين طلبة العلم، فيجب عليه أن يحكم بالعدل دون الالتفات إلى أحد الخصوم من طلاب العلم، يحتمل هذا ويحتمل هذا والمعنيان لا مانع من اجتماعهما.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ قَابُوسَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "قَالَ مُوسَى حِينَ كَلَّمَ رَبَّهُ: رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِي ذِكْرًا، قَالَ رَبِّ: أَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ؟ قَالَ: الَّذِي يَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ كَمَا يَقْضِي عَلَى النَّاسِ، قَالَ رَبِّ: أَيُّ عِبَادِكَ أَغْنَى؟ قَالَ: الرَّاضِي بِمَا أُعْطِيَتْهُ".

الشرح:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "قَالَ مُوسَى حِينَ كَلَّمَ رَبَّهُ: موسى كليم الله، وقد دلّ على ذلك قول الله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) [الأعراف: ١٤٣].

"قَالَ مُوسَى حِينَ كَلَّمَ رَبَّهُ: رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟: فموسى سأل ربه عن صفة الفائزين بهذه الفضيلة، وهي نيل محبة الله عزّ وجلّ لمن قام بهذه الفضيلة وعمل بها.

قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِي ذِكْرًا: فأحب الخلق إلى الله أعظمهم ذكراً لله جلّ وعلا، وهذا فيه فضل الذكر بأنواعه، من ذكر الله باللسان وبالقلب وبهما معاً، فيدخل في ذكر الله عزّ وجلّ التسبيح والتهليل والتحميد والاستغفار والدعاء وتلاوة القرآن ومجالس العلم والتأمل في آيات الله الكونية.

ولأهميته أمر الله جلّ وعلا بذكره على كل الأحوال، فقال سبحانه: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ) [آل عمران:

[١٩١]، الآية.

وللذكر فوائد عظيمة ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة كتابه الوابل الصيب أكثر من سبعين فائدة للذكر.

قال في الفائدة التاسعة: " فمن أراد أن ينال محبة الله عَزَّ وَجَلَّ فليلهج بذكره".

قَالَ رَبِّ: أَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ؟: فالسؤال كان عن القضاء والحكم بين الناس؟ وأي الناس تأدبًا بآداب القضاء وعدلاً مع الخصوم؟
قَالَ: الَّذِي يَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ كَمَا يَقْضِي عَلَى النَّاسِ: يعني: أنه يقضي بالحق فيُنصف نفسه وأقاربه قبل إنصاف خصومه، فيقضي بالحق ولا يتبع الهوى.

قَالَ رَبِّ: أَيُّ عِبَادِكَ أَغْنَى؟: يعني: أشدهم رضا بما قُسمَ له؟ قَالَ: الرَّاضِي بِمَا أُعْطِيَتْهُ".

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الفوائد تعريف الرضا فقال: "هو سكون القلب تحت مجاري الأحكام"، وهذا من أخصر التعاريف للرضا، فما قدَّره الله لك عليك أن ترضى به لتحصل لك الطمأنينة.

قال: قَالَ: الرَّاضِي بِمَا أُعْطِيَتْهُ": الراضي يعني: بما قسم الله له.
وفي الحديث: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»، رواه مسلم.

يعني: رزقه الله القناعة بما عنده من الكفاف فلم تطمح نفسه لطلب

ما زاد على ذلك، وهذا فيه فضل القناعة وأنها من أسباب الفلاح. ولعل مناسبة هذا الأثر لموضوع الكتاب: هو توجيه أهل العلم إلى ملازمة مجالس العلم، لأنها داخلة في الذكر الذي يوجب محبة الله عزَّ وجلَّ للعبد.

وفيه تنبيهٌ لطالب العلم وأنه إذا وصل إلى مرتبة القضاء عليه أن يكون من أهل الإنصاف مع الخصوم، لأن هذا من العمل بالعلم الذي تعلمه.

وفيه حث طلبة العلم على لزوم القناعة بما قُسم لهم من رزق، فالتوسع في طلب الدنيا قد يكون من الصوارف عن طلب العلم وتعليمه.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ طَاوُسٍ، قَالَ: "كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُسْأَلُ عَنِ الشَّيْءِ، فَيَقُولُ: "إِنَّ هَذَا لَفِي الزُّبْرِ الْأُولَى".

الشرح:

عَنْ طَاوُسٍ: وهو تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما.
 قَالَ: "كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُسْأَلُ عَنِ الشَّيْءِ: أي عن المسألة العلمية.
 فَيَقُولُ: "إِنَّ هَذَا: يعني: الذي سئلت عنه، لَفِي الزُّبْرِ الْأُولَى":
 أي: في الكتب الأولى، والمراد بالزبر الأولى يحتمل احتمالين:
 الأول: أن هذا الذي سئل عنه موجود في كتبه التي كان يدون فيها العلم في بداية طلبه للعلم، فيحتاج إلى مراجعة ونظر فيها، وهذا فيه تنبيه إلى أهمية تدوين العلم لأن المحفوظ قد يُنسى، فإذا كان مدوناً عندك فترجع إليه متى ما احتجت إلى ذلك، فهذا فيه تنبيه إلى أهمية مراجعة المكتوبات التي دُوِّنَ فيها العلم، وأن فيها خيراً عظيماً.
 الثاني: أن المسئول عنه في كتب الأنبياء القديمة المنزلة، فكأنه يقول: هذا الذي تسأل عنه هو موجود في كتب بني إسرائيل.
 والموقف من كتب بني إسرائيل أن ما وجد منها في شرعنا وقد أُقر في شريعتنا فنعمل به، وما جاء في شرعنا بخلافه فإننا نتركه، وما سُكت عنه فإنه يُحَدَّثُ به ولا حرج، كما في الحديث: «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ» رواه البخاري.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: "إِنَّكَ تُحَدِّثُنَا بِالْحَدِيثِ فَرُبَّمَا حَدَّثْتَنَاهُ كَذَلِكَ وَرُبَّمَا نَقَصْتَ، قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِالسَّمَاعِ الْأَوَّلِ".

الشرح:

قال عاصم الأحول: قال: عَنْ أَبِي عُثْمَانَ: يعني: النهدي. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: "إِنَّكَ تُحَدِّثُنَا بِالْحَدِيثِ فَرُبَّمَا حَدَّثْتَنَاهُ كَذَلِكَ: يعني: أَنَّ الحديث الذي حدثتنا به أُتيت به بنصه. وَرُبَّمَا نَقَصْتَ: فأحياناً تأتينا بالأحاديث الذي سمعناه منك بنصها، وأحياناً تختصر. قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِالسَّمَاعِ الْأَوَّلِ": ومعنى السماع الأول: الذي أخذته قديماً التام اللفظ.

وهذا المعنى بيّنه الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ بقوله: "إذا كان المحدث قد روى خبراً فحُفِظَ عنه، ثم أعاد روايته على النقصان [أي: بعد فترة روى نفس الحديث لكنه أنقص منه] ثم أعاد روايته على النقصان من الرواية المتقدمة وحذف بعض متنه فإن الاعتماد على روايته الأولى والعمل بما تقتضيه ألزم وأولى؛ لأن الأولى هي الأصل. وقد يقول قائل: لماذا يُنقص لما حَدَّث مرة أخرى من هذه الرواية؟

ذكر أهل العلم أسباباً لإنقاص العلماء لمروياتهم عند التحديث منها:

مراعاة حال السائل، فإذا جاءه طالب علم يأتي له بالحديث كما هو، وإذا جاءه عامي يكتفي بذكر الشاهد له. ومن الأسباب: كبر السن، فهي مظنة لذكر المرويات باختصار، لزوال سن النشاط، فتجده في فترة نشاطه يأتي بالمرويات كما هي ويُفصّل في الإجابة، فإذا كبر سنه و دبّ فيه الضعف أجاب إجابات مختصرة.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ الصُّنَّاجِيِّ، عَنْ مُعَاذٍ، قَالَ: "لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عُمْرِهِ فِيْمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيْمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ فِيهِ".

الشرح:

هذا الأثر جاء في حديث مرفوع صحيح عند الترمذي وغيره. قال: "لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ: وهذا يدخل فيه المسلم والكافر. "لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يعني: من موقفه للحساب إلى حين دخوله الجنة أو النار، إلا إذا كان ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب فهم مستثنون، فإنهم لا يُسألون، فهذا عموم مخصوص. قال: "لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: وليس المراد الحصر، ليس المراد أنه لن يُسأل إلا عن الأربع فقط، فالحساب على كل شيء، وهو على مثاقيل الذر يوم القيامة. والمراد: أعظم ما يُسأل عنه هذه الأربع، فإذا علمها العبد حاسب نفسه الآن حتى يكون الحساب عليه يسيراً يوم القيامة. قال: عن عُمْرِهِ فِيْمَا أَفْنَاهُ: عن عمره كله من حين التكليف إلى الموت، ماذا عمل منذ أن صار مكلفاً؟ هل قام بالواجبات وكف عن المحرمات؟

وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ: هل أبلاه في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، أو في معصيته؟ فمن استحضر موقف الحساب حصلت له مراقبة الله عَزَّ وَجَلَّ وخشيته، فتذكر دائماً قبل أن تعصي الله أنك ستُسأل عن جسدك فيما أبلتيه؟ فهذا يردعك عن الإقدام على هذه المعصية.

وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ: هل اكتسبه من طريق مشروعة أو ممنوعة؟ وفيما أنفقه؟ هل أنفقه في حلال أم حرام؟

وَعَنْ عِلْمِهِ: أي: العلم الشرعي، وُحُصَّ العلم لأنه أشرف الطاعات.

وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ فِيهِ: هل عمل به؟ وهل طلبه لله أو لغير الله عَزَّ وَجَلَّ؟

فهذا الأثر الذي جاء مضمونه في الحديث فيه الحث على اغتنام العمر بما ينفع.

وفيه: تذكير طلاب العلم بالخطر من الآفات التي قد تعرض لهم في الطريق، وهم قدوات فعليهم أن يحذروا من الوقوع في تضييع العمر أو من الانشغال بالدنيا أو تضييع أوقاتهم في غير العلم الذي ينفع الناس.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: "لَأَنْ يَعِيشَ الرَّجُلُ جَاهِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُفْتِيَ بِمَا لَا يَعْلَمُ".

الشرح:

هذا الأثر فيه خطورة القول على الله بغير علم، فالجاهل لأن يعيش جاهلاً خيراً له من أن يقول على الله بغير علم.
فالجاهل قد يسلم من سؤال الناس له في المسائل الشرعية فينجوا من المحاسبة يوم القيامة، بخلاف المنتسبين للعلم القائلين على الله بغير علم.
وهذا الأثر فيه فضل العلم ودم الجهل، فليس في الجهل فضل عدا السلامة من التعرض للإفتاء، فالجهل أسلم من القول على الله بغير علم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "كَانَ يُقَالُ: "أَزْهَدُ النَّاسِ فِي عَالَمِ أَهْلُهُ".

الشرح:

قال عروة رحمه الله: "كَانَ يُقَالُ: يعني: من التابعين، وروي هذا عن عكرمة وعن عون بن عبد الله وعن الحسن البصري وغيرهم. "كَانَ يُقَالُ: "أَزْهَدُ النَّاسِ فِي عَالَمِ أَهْلُهُ": الزهد المراد به خلاف الرغبة، فأزهد الناس في أهل العلم والعلماء هم أهلهم، والمعنى: أرغب الناس عن الاستفادة من العالم هم أهله وأقاربه. وسبب عدم استفادتهم منه: كثرة خلطتهم له واطلاعهم على خواص أموره وعلى عيوبه مع تبسطه معهم، فتقل هيئته عندهم فيزهدون في الاستفادة من علمه، فتجد أولاد العالم وطالب العلم في البيت لا يسألونه وربما يسألون غيره، لأنه يلعب معهم ويضاحكهم ويمازحهم.

وكذلك أقاربه يحضر مناسباتهم ويجالسهم كثيراً ويحصل منه التبسط لهم فتضعف الهيبة.

وبعضهم لا يدري أنّ والده أو قريبه طالب علم، ولهذا تجدهم يسألون من هو دونه في العلم، بل ربما طلبوا منه أن يسأل لهم أهل العلم عما أشكل عليهم.

ومن لطائف ما يُذكر في هذا الباب: ما أورده الخطيب البغدادي

رَحِمَهُ اللهُ في تاريخ بغداد: أَنَّ الحسن بن زياد قال: حلفتُ أمُّ أبي حنيفة بيمين، فحنثت، فاستفتت أبا حنيفة فأفتاها، فقالت له: لا أرضى إلا بما يقوله زُرعة القاص، فجاء بها أبو حنيفة إلى زُرعة، فقال زُرعة مخاطبًا أم أبي حنيفة: أفتيك ومعك فقيه الكوفة؟! فقال أبو حنيفة: أفتها بكذا وكذا، فأفتاها فرضيت.

وكثرة المخالطة للناس عمومًا والتوسع في مجالستهم حتى لو لم يكونوا من أقاربك فيها مظنة للتوسع في المباحات التي تُقلِّلُ هيبة وقدّر طالب العلم عند هؤلاء فيزهدون في علمه، وبخاصة إذا توسع معهم في المزاح وغيره من فضول المباحات.

ولهذا على طالب العلم أن يقلل من الخروج والنزهات وكثرة الذهاب مع الناس وإن كانوا منتسبين إلى لعلم الشرعي، لأنه كلما توسع المرء في الخروج حصل التوسع في المباحات وربما وقع في تلك المجالس ما هو أعظم من التوسع في المباحات، كالوقوع في الغيبة والنميمة وغيرهما.

وقد يكون من أسباب عدم انتفاع الأقارب بالعالم القريب منهم: الحسد، فهذا قد يوجد بين الأقارب، وزهد الأقارب في العلماء حكم أغلبي وليس كليًا، فقد ينتفع الأقارب من علم قريبهم فالإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ من أشهر وأخص تلاميذه أولاده عبد الله بن الإمام أحمد صاحب كتاب السنة، وكذلك ابنه الفضل، فهذه ليست قاعدة مطّردة.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ،
قَالَ: قَالَ لِي مُجَاهِدٌ: "لَوْ كُنْتُ أُطِيقُ الْمَشْيَ لَجِئْتُكَ".

الشرح:

قال الأعمش: قَالَ لِي مُجَاهِدٌ: مجاهد شيخ الأعمش، وقد روى عنه كثيرًا، وهو أكبر من الأعمش سنًا، وهذا القول الذي قاله من تواضعه وحسن خلقه مع طلابه.

"لَوْ كُنْتُ أُطِيقُ الْمَشْيَ لَجِئْتُكَ": يعني: لجئتُك زائرًا، لكن ما منعه من الزيارة إلا كبر السن وعدم إطاقة المشي، فهذا الأثر فيه الحث على إدامة الصلة بين المشايخ وتلامذتهم.

وفيه الزيارة في الله والترغيب فيها، وقد جاء في ذلك الفضل العظيم، فينبغي الحرص عليها مع التأدب بآدابها، «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طَبْتُ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّاتٍ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا» رواه الترمذي وابن ماجه.

وفي هذا الحديث: وعد الله تعالى للزائر فيه بأن يطهره من ذنوبه، ويعظم أجره ويدخله الجنة.

وهذا الأثر فيه تربية للطلاب وتشجيع لهم على إدامة الصلة فيما بينهم مع التأدب بآداب الزيارة، وفيه دليل على سلامة صدور بعضهم لبعض.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ: "أَنَّ مُحَمَّدًا كَرِهَ كِتَابَ الْأَحَادِيثِ فِي الْأَرْضَيْنِ".

الشرح:

ذكر ابنُ عون: "أَنَّ مُحَمَّدًا: يعني: ابن سيرين، كَرِهَ كِتَابَ الْأَحَادِيثِ فِي الْأَرْضَيْنِ": الأرضين جمع أرض، وهي الأرض المعروفة، وسبب كراهة الكتابة على الأرض والرمل حتى لا يُمتَهن العلم، قد تكتب العلم وتنسى محوه، فيأتي بعدك من يمشي بالأقدام على المكتوب، وفيه كلام محترم، أو يتعرض للامتهان بأي صورة من الصور.

فدل هذا الأثر على الحث على تعظيم العلم، ومن ذلك كتابته في الأشياء التي لا يعتريها الامتهان.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: "كَانَ يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ سِتَّةٍ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ عُمَرُ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَزَيْدٌ يُشْبِهُ عِلْمَهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَكَانَ يَقْتَبِسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَكَانَ عَلِيٌّ وَأَبِيٌّ وَالْأَشْعَرِيُّ يُشْبِهُ عِلْمَهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَكَانَ يَقْتَبِسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: وَكَانَ الْأَشْعَرِيُّ إِلَى هَؤُلَاءِ؟ قَالَ كَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ".

الشرح:

قال الشعبي رحمه الله: "كَانَ يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ سِتَّةٍ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تقدم أنَّ العلم يؤخذ عن الصحابة عموماً، وأنهم جميعاً أهل علم وفضل، لكن المراد: أنَّ هؤلاء الستة من أكثر الصحابة تفرغاً للعلم، وكان لهم تلاميذ ينشرون علمهم. قال: فَكَانَ عُمَرُ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَزَيْدٌ يُشْبِهُ عِلْمَهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا: فهم متقاربون في العلم، لأنهم كانوا يتداولون العلم فيما بينهم ويتذاكرونه ويتدارسونه ويستفيد بعضهم من بعض ويشاور بعضهم بعضاً، ولهذا تشابحت أقوالهم وفتاويهم. وَكَانَ يَقْتَبِسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ: يستفيد بعضهم من بعض، ولهذا حصل التشابه بينهم.

وَكَانَ عَلِيٌّ وَأَبِيٌّ وَالْأَشْعَرِيُّ يُشْبِهُ عِلْمَهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَكَانَ

يَقْتَبِسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ: لأنهم كانوا يذاكرون العلم سوياً فكان علمهم متقارباً.

قَالَ: الراوي، فَقُلْتُ لَهُ: يعني: للشعبي.

وَكَانَ الْأَشْعَرِيُّ إِلَى هَؤُلَاءِ؟: الأشعري كانت صحبته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ مِنْ هَؤُلَاءِ فَسَأَلَ عَنْهُ، ومراده: هل بلغ منزلة في العلم حتى يُقَرَّنَ بِهِؤُلَاءِ؟

وَكَانَ الْأَشْعَرِيُّ لَهُؤُلَاءِ، يعني: مثلهم في العلم متقارب معهم في العلم مع قلة صحبته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ: يعني: الأشعري، أَحَدَ الْفُقَهَاءِ": فأجابه بأنه فقيه من الفقهاء، وقد قضى لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرسله لتعليم الناس وإقراءهم القرآن، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يرسل إلا من يرى فيه الكفاءة.

وهذا الأثر فيه الثناء على من عُرف بالفقه في الدين، فإذا سمع المرء أحداً ينتقص من طالب علم وهو يعرف قدره في العلم فعليه أن يدافع عنه وأن يُبين قدره وشأنه ومنزلته في العلم.

وقد قيل: لا يعرف الفضل لأهله إلا ذووه، فلا يعرف قدر الرجال إلا الرجال، وأحياناً التقليل ليس المراد به التحقير، بل يكون سببه عدم المعرفة بحال الشخص، وينبغي أن يُبين منزلة أهل العلم إذا فهم من كلام السائل التقليل سواء كان غرضه حسناً أو سيئاً.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْجَرِيرِيِّ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: "قُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ: إِنَّكَ تُحَدِّثُنَا أَحَادِيثَ مُعْجَبَةً، وَإِنَّا نَخَافُ أَنْ نَزِيدَ أَوْ تَنْقُصَ فَلَوْ اكْتَتَبْنَاهُ، قَالَ: "لَنْ نَكْتُبُكُمْ، وَلَنْ نَجْعَلَهُ قُرْآنًا وَلَكِنْ احْفَظُوا عَنَّا كَمَا حَفِظْنَا".

الشرح:

قال أبو نضرة: "قُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ: أَبِي سعيد الخدري رضي الله عنه. إِنَّكَ تُحَدِّثُنَا أَحَادِيثَ مُعْجَبَةً: يعني: مثيرة للإعجاب، يعني: أنها حسنة جدًا، فهم معجبون بهذه الأحاديث. قال: وَإِنَّا نَخَافُ أَنْ نَزِيدَ: يزيد الطلاب من الروايات التي يروونها لهم. أَوْ تَنْقُصَ: تنقص هذه المرويات بسبب نسياننا لا عمدًا. فَلَوْ اكْتَتَبْنَاهُ: يعني: لو تُملي علينا هذه المرويات حتى نكتبها. فقال: "لَنْ نَكْتُبُكُمْ: يعني: لن أمليه عليكم لتكتبوه. وَلَنْ نَجْعَلَهُ قُرْآنًا: وكان أبو سعيد ممن يرى المنع من كتابة الحديث. قال: وَلَكِنْ احْفَظُوا عَنَّا كَمَا حَفِظْنَا": كما تلقينا الحديث بالحفظ. وتقدم الكلام عن مضمون هذا الأثر، وأن كراهة كتابه الحديث كانت في أول الأمر خشية اختلاط السنة بالقرآن، ثم استقر الإجماع على جواز كتابة الحديث والعلم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ،
عَنِ الْأَعْرَجِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: "إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا
هُرَيْرَةَ، يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ
الْمُوعِدُ، كُنْتُ رَجُلًا مِسْكِينًا أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلَى مِلءِ بَطْنِي وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يُشْغِلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ
وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يُشْغِلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ
مِنِّي فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ ثُمَّ ضَمَمْتُهَا إِلَيَّ فَمَا نَسِيتُ
شَيْئًا سَمِعْتُهُ بَعْدُ".

الشرح:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: "إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ: يعني: تقولون قولاً غير
صحيح من غير تثبت.

أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
يعني: مع تأخر إسلامه، وَاللَّهُ الْمُوعِدُ: يقول: الموعد عند الله يوم
القيامة للجزاء والحساب إذا أنا كذبت عليكم وادّعيت حفظ ما لم
أحفظ، كُنْتُ رَجُلًا مِسْكِينًا: يعني: صاحب حاجة وعوز.

أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلءِ بَطْنِي: والمراد: أنه
يخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدون مقابل، وما كان يجمع مالاً إلا
ما يكفي لقوته دون انشغال بالتجارة حتى لا تفوته مجالسة النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فسبب إكثاره من الرواية: التفرغ لطلب العلم، وقد بورك له فحفظ ما لم يحفظ غيره بسبب دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له.

قال: وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يُشْغِلُهُمُ الصَّفْقُ: يعني: التبائع، بِالْأَسْوَاقِ. وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يُشْغِلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ: كان الأنصار أهل زراعة، وكانوا يغيبون عن مجالس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويظفر بها أبو هريرة لتفرغه، وهذا ليس تنقصاً للأنصار، فإن التكسب والاستغناء عن الناس مطلوب، ثم هم لم يتركوا مجالس العلم بالكلية، فإنهم كانوا يحضرون أحياناً وإذا غابوا يسألون عند غيابهم من كان حاضراً لمجالس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لكنه أراد أن يبين أن تفرغه للعلم وعدم توسعه في التكسب هو سبب إكثاره من الرواية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ: وهو الدعاء له بالحفظ، ثُمَّ ضَمَمْتُهَا إِلَيَّ: ضم ثوبه إليه.

فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ بَعْدُ": يعني: ببركة دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من جملة الشواهد على قوة حفظه وضبطه لما يرويه.

وهذا فيه الرد على من نسبه لقلّة الفقه والحفظ.

وفيه الحث على ملازمة مجالس العلم لمن أراد التوسع في العلم.

وفيه الحث على إثارة الآخرة على التوسع في الدنيا.

وفيه أنّ التكسب ليس مذمة للمرء، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع

تكسبهم إلا أنهم لم يتركوا مجالس العلم بالكلية.
وفيه أيضاً دفاع المرء عن نفسه إذا فهم عنه ما ليس فيه من صفة
ذم.



المتن:

قال رحمه الله: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: "قَالَ رَجُلٌ لِمُطَرِّفٍ أَفْضَلُ مِنَ الْقُرْآنِ تُرِيدُونَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ نُرِيدُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ مِنَّا".

الشرح:

قال أيوب رحمه الله: "قَالَ رَجُلٌ لِمُطَرِّفٍ: يعني: ابن عبد الله بن الشخير رحمه الله.

أَفْضَلُ مِنَ الْقُرْآنِ تُرِيدُونَ؟: كأنَّ هذا الرجل يقول: لماذا تشتغلون بالحديث وتعليم السنة ولا تعتنون بالقرآن؟

فقال له مطرف: لَا: يعني: لا نبحث عن ما هو أفضل من القرآن، وهذا فيه التلطف بالمدعو، فقد يكون جاهلاً، ولهذا السائل الذي لا يكون عنده جدل لو سأل أسئلة غريبة فينبغي لك أن تتلطف في الجواب معه، إلا إذا اقتضت المصلحة خلاف ذلك

قَالَ: لَا، وَلَكِنْ نُرِيدُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ مِنَّا": نحن نبحث عن من يعلمنا معاني كلام الله جَلَّ وَعَلا وهو الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته.

فهذا القائل رأى انشغال مطرف بتدريس العلم الشرعي وأراد أن يوجهه إلى العناية بالقرآن، فسأله: هل تريدون أفضل من الارتباط بكتاب الله جَلَّ وَعَلا؟ فأفاده مطرف أن القرآن لا أفضل منه، ولكن تدريس كتب العلم مما يستعان به على فهم القرآن.

فهذا دليل على فقهه وعلى لزومه الطريقة النبوية، فإن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يجمع في تعليمه بين بيان ألفاظ القرآن الكريم وبين معانيه، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) [النحل: ٤٤].

فالحذر الحذر من طريقة ينتهجها بعض أهل الأهواء وهي إشغال الصغار بالحفظ وحده دون العناية بتعليمهم العلم العيني. فتجد بعض الحركيين يُشغل الشاب بالحفظ سنين طويلة ويقول له: ابدأ بحفظ القرآن، فيعتكف سنين في ذلك، وفي هذه الفترة ينشغل بتربيته التربية الحزبية، فلا ينتهي من حفظ كلام الله جَلَّ وَعَلَا إلا وهو خارجي قد لُقن أفكار الخوارج فصار مثلهم يقرأ القرآن لا يجاوز حنجرتهم.

وقريب من هذا أناس يُزهدون في اقتناء كتب أهل العلم وفي شرائها، وفي التحذير من دروس حضور حلق العلم بحجة أنها تُشغل عن القرآن الكريم. فالموقف المعتدل أن يعتني المرء بكتاب الله جَلَّ وَعَلَا حفظاً وفقهاً، ولا يكتفي بالحفظ وحده.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا أَبُو خَلْدَةَ،
 قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيَّةَ، يَقُولُ: "حَدَّثَ الْقَوْمُ مَا حَمَلُوا، قَالَ: قُلْتُ
 مَا حَمَلُوا؟ قَالَ: مَا نَشِطُوا".

الشرح:

قال أبو العالية رَحِمَهُ اللهُ: "حَدَّثَ الْقَوْمُ مَا حَمَلُوا: يعني: حدثوا
 الناس بالمواعظ وبالعلم الشرعي وعلموهم.

مَا حَمَلُوا: يعني: ما نشطوا وما تحملوا سماع العلم أو الوعظ.
 قَالَ: هذا الطالب: قُلْتُ مَا حَمَلُوا؟: يعني: أراد من أبي العالية أن
 يوضح المراد بقوله: مَا حَمَلُوا؟ قَالَ: مَا نَشِطُوا": يعني: حدثوهم في
 وقت نشاطهم.

وهذا فيه حث للمربين والموجهين والوعاظ والدعاة والمنتسبين للعلم
 أن يختاروا الأوقات المناسبة للتدريس والوعظ، لأن المقصود من
 التعليم والوعظ: أن ينتفع المدعو بما يسمع، فاختيار الأوقات المناسبة
 مهم في تحقيق هذا المقصد.

فإذا رأيت عدم مناسبة التعليم في وقت من الأوقات فأجّل الدرس
 إلى وقت أنسب لهم.

والعلوم تتفاوت فاختر أجود الأوقات وأفضلها لتدريسهم ما يسمى
 بعقد العلم، فكتب العُقد ليست ككتب المِلح، فالعلم قسمان: عُقد
 ومِلح.

العُقد: هي العلوم التي تحتاج إلى إعمال ذهن حتى تُفهم.
والمُلمح: هي الكتب اليسيرة السهلة التي وإن لم يجمع الطالب ذهنه
وقت قراءتها فإنه سيفهم شيئاً كثيراً منها.
فهذا الأثر فيه الحث على مراعاة حال الطلاب وحال المدعوين،
فيُحدثون في وقت نشاطهم ويتركون في الأوقات التي لا تناسب
التعليم والوعظ.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْأَخْوَصِ يَقُولُ: "كَانَ عَبْدُ اللَّهِ، يَقُولُ: "لَا تُمَلُّوا النَّاسَ".

الشرح:

كان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: "لَا تُمَلُّوا النَّاسَ": وهذا فيه حث للدعاة إلى الله جَلَّ وَعَلَا ألا يكونوا سبباً في صدِّ الناس وتنفيرهم عن العلم الشرعي ومجالسه. فمجالس العلم يُنظر فيها إلى حال المتلقي، فإذا كان المتلقي طالب علم جاد فإنه يصبر وإن طال زمن الدرس. وبعض المجالس يحضرها المبتدئون من الصغار، فمثل هؤلاء لا تناسبهم إطالة الوقت لأنه يُحدث الملل لهم، فلا ينبغي الإطالة التي تُنفّر عن حضور مجالس الخير، ولا ينبغي مخاطبة العامة بما لا يحسنونه فيكون ذلك سبباً في صدهم عن العلم، فهذا من إلحاق الملل بهم.

وينبغي التفريق بين باب التعليم، وباب الوعظ.

فباب الوعظ كان من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يتخوّل الصحابة بالموعظة في الأيام مخافة السأمة عليهم، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحرص الناس على الخير، فكان يخصص لهم في جانب الوعظ يوماً واحداً في الأسبوع فقط، وأما التعليم فإن الناس يُعلمون في أي وقت ولو كل يوم بما يناسب حالهم.

فعن أبي وائل قال: كان عبدُ الله يذكّرُ الناسَ في كلّ خميسٍ، فقال له رجلٌ: يا أبا عبدِ الرحمن! لو ددْتُ أنكَ ذكّرْتنا كلّ يومٍ. قال: (أما إنّه يمنعي من ذلك أنّي أكره أن أملككم، وإنّي أتخولكم بالموعظة كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - (وفي رواية عنه قال: كنّا ننتظرُ عبدَ الله، إذ جاءَ يزيدُ بنُ معاويةَ، فقلنا: ألا تجلسُ؟ قال: لا، ولكن أدخُلْ فأُخرجْ إليكم صاحبكم، وإلا جئتُ أنا فجلستُ، فخرجَ عبدُ الله وهو آخذ بيده، فقامَ علينا، فقال: أما إني أُخبرُ بمكانكم، ولكنه يمنعي من الخروجِ إليكم أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - كان يتخولُّنا بها في الأيامِ مخافةً (في رواية: كراهيةً السّامةِ علينا) رواه البخاري ومسلم



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنْ سِمَاكِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: "كُنَّا إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي".

الشرح:

هذا الأثر فيه بيان أدب من آداب المجالسة.
قال: "كُنَّا إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي": يعني: يجلس حيث ينتهي المجلس إليه ولا يتخطى الرقاب، ولا يقيم أحدًا من مجلسه بل يجلس مكانه.
وبعض الطلاب تجدهم يتأخرون عن التبكير لحضور مجالس العلم المشهودة، التي فيها الجمع الكبير، فيتخطى الرقاب حتى يكون قريبًا من المعلم، وهذا ليس من حسن الأدب، فالذين بكرّوا في الحضور أحق بالجلوس منك.
وفي تخطي الرقاب أثناء الدروس تشويش على الحاضرين، وربما تفوت أحدهم الكتابة أو الفائدة، وبعض المعلومات تحتاج إلى انتباه شديد، فإذا صار هذا يتخطى الرقاب وذاك يتخطى الرقاب، كان ذلك سببًا في فوات فائدة أو قطع فهم فائدة علمية عليهم.
والمجالس عمومًا لها آدابها، فلا ينبغي أن يُجلس فيها على هيئة تُشعر بقلّة الأدب، ولا يجلس المرء وسط الحلقة، ولا يفرق بين اثنين متجالسين دون إذهما، ولا يقيم غيره من مجلسه ويجلس مكانه.



المُتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ أَنْ يُوطَأَ عَقِبُهُ، وَلَكِنْ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ".

الشرح:

هذا الحديث إسناده صحيح متصل.
 "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ أَنْ يُوطَأَ عَقِبُهُ: يعني: كان يكره أن يمشي الناس خلفه، قال: وَلَكِنْ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ: يعني: كان لا يكره أن يكون الناس عن يمينه وشماله إذا مشى.
 وسبقت الإشارة إلى معنى هذا الأثر، والمعنى: أنه كان يكره أن يمشي أمام الناس فيكونون خلفه ويطؤون عقبه، وهذا من تواضعه، كان يمشي متواضعاً في وسط الجمع فيكون الناس عن يمينه وعن شماله.
 ومن فوائد هذا الأمر: البعد عن الشهرة التي لها ضريرتها السيئة، فالذي يحرص على أن يكون الناس خلفه، هذا فيه نوع تمييز لنفسه على غيره، وفيه فتح لباب الشهرة على المرء، ثم وطء العقب والمشي خلف أهل العلم كما قيل: فيه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع.
 فالذي يمشي خلف الناس هذا نوع ذلة، والذي يرضى أن يمشي الناس خلفه هذا فيه فتنة عليه.

فينبغي أن يترك طالب العلم على سبيل الخصوص كل حُلُق يُفْضِي إلى منافاة الأدب، ومن ذلك الوقوع فيما يجلب الشهرة.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: "كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَكْرَهُ أَنْ يُسْأَلَ، وَهُوَ يَمْشِي".

الشرح:

قال عطاء بن السائب رحمه الله: "كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وهو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

يَكْرَهُ: يكره يعني: كراهة تنزيه لا تحريم.

يَكْرَهُ أَنْ يُسْأَلَ، وَهُوَ يَمْشِي": وهذا فيه الإخبار عن أهل الفضل بكنيتهم.

قال: "كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَكْرَهُ أَنْ يُسْأَلَ، وَهُوَ يَمْشِي": وهذا من تعظيم السلف للعلم الشرعي، فمن توقير العلم أن يتهيا العالم للجواب على الفتوى، فالفتوى تحتاج إلى تفكير وجلوس وحسن استعداد، والمشي في الغالب يكون فيه المرء غير متهيئ للجواب.

وأحياناً قد يكون السؤال والفتيا بعد انتهاء الدرس فيكون العالم قد كلَّ أو تعب من الدرس، فيكون في وقت غير نشاطه، فإذا سُئِلَ وهو واقف قد يُقَصِّر في الجواب أو يجيب إجابة لا تكفي أو لا يُفَصِّل فيما يحتاج إلى تفصيل، فتذهب المصلحة من الفتيا.

لكن لو احتاج الناس للفتيا حال مشي المفتي فلا بأس بذلك.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ رِيَّاحِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنِ ابْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: "إِنَّ لِلْعِلْمِ طُغْيَانًا كَطُغْيَانِ الْمَالِ".

الشرح:

قال عطاء بن السائب رحمه الله: "كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وهو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

هذا الأثر ضعيف من جهة سنده، لكنه صحيح من جهة المعنى.

قال ابن منبه وهو وهب: "إِنَّ لِلْعِلْمِ طُغْيَانًا: مجاوزة الحد.

كَطُغْيَانِ الْمَالِ": يعني: كما أن صاحب المال الكافر يتكبر على ربه ويطغى إذا كثر ماله، كما قال الله عزَّ وجلَّ: (كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَى - أُنْ رَأَهُ اسْتَغَى) [العلق: ٦-٧].

فكذلك طالب العلم قد يُصاب بالطغيان في العلم.

وطغيان العلم يكون بفعل طالب العلم بثلاثة أمور:

الأمر الأول: استعمال العلم في إيجاد المخارج والرخص، والتحايل في سبيل الحصول على مصالح دنيوية ونحوها، وهذا من طلب الدنيا بعمل الآخرة، فيعمل بقول فقهي مثلاً مع علمه أن الراجح بخلافه، ليصل إلى مطلوبه الدنيوي.

فإذا جاء تقرير المسائل قرَّر الحق بدليله، وإذا وقعت مسألة له بدأ يبحث عن الأقوال التي يجد فيها مخرجاً لنفسه ويهون من الأمر بحجة

أن هذه المسألة من مسائل الاجتهاد.
الأمر الثاني: من طغيان العلم الترفع والإعجاب بالنفس والكبر، واحتقار غيره من طلبة العلم والتهوين من شأنهم، وحب التعظيم وازدراء عوام المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في الرد على الشاذلي: " كثير من المنتسبين إلى العلم يُبتلى بالكبر كما يُبتلى كثير من أهل العبادة [يعني: أهل التعبد بدون علم]، كما يُبتلى كثير من أهل العبادة بالشرك [يعني: بالرياء] ولهذا فإن آفة العلم الكبر وآفة العبادة الرياء، وهؤلاء يُجرمون حقيقة العلم".

الأمر الثالث: ترك العمل ببعض مسائل العلم، وقد يدخل هذا الثالث في الأمرين السابقين.

ومن ابتلي بواحد من هذه الثلاثة كان سبباً في زهد الناس من الاستفادة من علمه، فإذا رأى الناس منه العلو وعدم النزول إليهم فإنهم يزهّدون في سؤاله.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ وَائِلَةَ، قَالَ: "إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ بِالْحَدِيثِ، عَلَى مَعْنَاهُ فَحَسْبُكُمْ".

الشرح:

قال وائلة بن الأسقع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ بِالْحَدِيثِ: يعني: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. عَلَى مَعْنَاهُ: يعني: بالمعنى وليس بالنص. فَحَسْبُكُمْ": فيكفيكم.

وهذا فيه صحة قبول الرواية بالمعنى، وهذه المسألة محل خلاف، فالجمهور على جوازها للمنشغل بالعلم الناقد لوجوه تصرف الألفاظ العالم بمعانيها ومقاصدها الجامع لمعرفة ذلك كما ذكره القاضي عياض في الإلماع، فليس كل أحد يروي الحديث بالمعنى، لكن من توفرت فيه هذه الشروط فله أن يروي الحديث بالمعنى. وإذا كانت رواية الحديث بالمعنى بشروطها لا مانع منها، فلا مانع من رواية كلام أهل العلم بالمعنى، بشرط أن يكون فهمك لكلامه صحيحًا.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مَعْنُ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: "كَانَ إِذَا حَدَّثَ بِالْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِلَّا هَكَذَا أَوْ كَشَكْلِهِ".

الشرح:

أبو الدرداء رضي الله عنه: "كَانَ إِذَا حَدَّثَ بِالْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يعني: من احتياطه يقول: اللَّهُمَّ إِلَّا هَكَذَا، يعني: الذي سمعته مني هو قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنص، هَكَذَا: يعني: بالنص، أَوْ كَشَكْلِهِ": يعني: قريب جداً منه، أي: بمعناه.

وهذا فيه رواية الصحابة للحديث بالمعنى مع تورعهم في هذا الباب، وفيه التورع عند الرواية فيقول: هي بالنص أو قريباً من النص إن كان عنده شك في النص.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مَعْنٌ، حَدَّثَنَا أَبُو أُوَيْسٍ بْنُ عَمِّ مَالِكٍ بْنُ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، يَقُولُ: "إِذَا أَصَبْتَ الْمَعْنَى فَلَا بَأْسَ".

الشرح:

قال الزُّهْرِي رحمه الله في المرويات التي تُروى: "إِذَا أَصَبْتَ الْمَعْنَى: معنى الحديث، فَلَا بَأْسَ": يعني: لا بأس أن ترويه بالمعنى، لكن هذا في حق من عُرف بالتزام النص أو الرواية بما لا يُحيل المعنى وليس لأي أحد.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا حَبَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُ يَقُولُ: "لَوْلَا آيَةُ أَنْزَلَتْ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَمَّا أَخْبَرْتُ بِشَيْءٍ، فَلَوْلَا أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) [البقرة: ١٥٩]".

الشرح:

هذا الأثر تقدم مضمونه مراراً في هذا الكتاب.
قال أبو هريرة رضي الله عنه لما سُئِلَ: "لَوْلَا آيَةُ: (لولا) حرف يدل على امتناع الشيء لوجود غيره، "لَوْلَا آيَةُ أَنْزَلَتْ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَمَّا أَخْبَرْتُ بِشَيْءٍ: وهذا جواب (لولا)، يعني: لولا ورود التهيب من كتمان العلم في آية البقرة لما أخبرت بالعلم كله، لكن خشيت على نفسي من تبعة كتمان العلم وهو استحقاق الكاتم للعلم للعنة الله عَزَّ وَجَلَّ ولعنة اللاعنين من الملائكة والجن والإنس والدواب. وتزداد تبعة كتمان العلم إذا تعين الجواب على هذا العالم، أما من كُفِيَ بالفتيا فلا يلزمه البيان في بعض المسائل، أو إذا كان في كتمان العلم مصلحة معتبرة، لأنه ليس كل ما يُعلم يُقال.
قال: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ): يعني: على الناس.
(مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى): هذه الآية في أهل الكتاب، فإنهم

كتموا ما في التوراة من آية الرجم ونعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنها تشمل غيرهم.

قال: (يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَهُدًى): يعني: كآية الرجم ونعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ): وهو التوراة، فهذه الآية في أهل الكتاب.

قال: (أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ): يطردهم من رحمته.

قال: (وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ): من الملائكة والجن والإنس ودواب الأرض.

فهذا الأثر واضح الدلالة في تحريم كتمان العلم إلا لمصلحة.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "كُنَّا نَجْلِسُ أَنَا وَابْنُ شُبْرَمَةَ، وَالْحَارِثُ الْعُكْلِيُّ، وَالْمُغِيرَةُ وَالْقَعْقَاعُ بْنُ يَزِيدَ بِاللَّيْلِ نَتَذَكَّرُ الْفِقْهَ، فَرُبَّمَا لَمْ نَقُمْ حَتَّى نَسْمَعَ النِّدَاءَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ".

الشرح:

قال فضيل بن غزوان الراوي: "كُنَّا نَجْلِسُ أَنَا: وهو فضيل، وَاِبْنُ شُبْرَمَةَ: وهو القاضي المعروف عبد الله بن شبرمة، وَالْحَارِثُ: ابن يزيد، وَالْمُغِيرَةُ: ابن مقسم الطبي، وهؤلاء كلهم فقهاء.

وَالْقَعْقَاعُ بْنُ يَزِيدَ: وهو ابن شبرمة الطبي وهو ثقة وله رواية في الكتب الستة، وكانوا يجلسون بالليل بعد صلاة العشاء.

قال: نَتَذَكَّرُ الْفِقْهَ، فَرُبَّمَا لَمْ نَقُمْ حَتَّى نَسْمَعَ النِّدَاءَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ": وهذا الأثر فيه الترخيص بالسهر في الليل لمصلحة، ومن المصلحة مدارس العلم لكن بشرط، أن لا يكون هذا السهر سبباً في التخلف عن صلاة الفجر جماعة.

وهذا الأثر فيه تنبيه إلى أن نافلة العلم خير من نافلة العبادة القاصرة، فكانوا يسهرون الليل كاملاً في المذاكرة، ولم يذكر أنهم كانوا يقومون الليل، لأن قيام الليل نفعه قاصر، ومذاكرة العلم نفعها متعدد، والعمل المتعدي أفضل من العمل القاصر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وَالرُّسُلُ بُعِثُوا بِتَحْصِيلِ

الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا وَتَقْدِيمِ خَيْرِ الْخَيْرَيْنِ عَلَى أَدْنَاهُمَا حَسَبَ الْإِمْكَانِ وَدَفْعِ شَرِّ الشَّرَّيْنِ بِخَيْرِهِمَا).

وقال أيضاً: (فإن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد، وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشر الشرين، حتى يقدم عند التزاحم خير الخيرين ويدفع شر الشرين).

فمعرفة خير الخيرين دليل على فقه الرجل يعرف خير الخيرين، فإذا لم يستطع المرء الجمع بين الخيرين في وقت واحد فإنه يقدم خير الخيرين، ومن ذلك تقديم العمل المتعدي على العمل القاصر.

والذي يريد أن يسهر في العلم عليه أن يستعد له بأخذ قسط من النوم في النهار، فهذا مما يعين على النشاط في الليل؛ لأن المذاكرة تحتاج إلى نشاط ذهني، والنشاط الذهني يحتاج إلى استعداد ومنه أخذ الكفاية من النوم.

وإذا حصل الاستعداد الذهني حصل الانتفاع بالسهر على العلم، وقد قال الله جلّ وعلا: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيَلًا) [المزمل: ٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وناشئة الليل في أصحّ القولين: إنما تكون بعد النوم، يقال نشأ إذا قام بعد النوم؛ فإذا قام بعد النوم كانت مواطأة قلبه للسانته أشد لعدم ما يشغل القلب، وزوال أثر حركة النهار بالنوم، وكان قوله أقوم).



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ يَعْنِي الصَّهْبَانِيَّ عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ عُلَمَاؤُهُ، قَلِيلٌ خُطَبَاؤُهُ، وَإِنَّ بَعْدَكُمْ زَمَانًا كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ وَالْعُلَمَاءُ فِيهِ قَلِيلٌ".

الشرح:

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يتكلم عن حال الناس في زمن التابعين وبعض الصحابة: "إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ عُلَمَاؤُهُ: لأَنَّهُمْ قَرِيبُونَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففيه الصحابة الذين تلقوا العلم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشافهة، أو تلقوه عن مَن تلقاه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: كَثِيرٌ عُلَمَاؤُهُ، قَلِيلٌ خُطَبَاؤُهُ: قلَّ فيهم الخطباء لقلة الحاجة إليهم، فيكفيهم في التعليم والتوجيه كلمات يسيرة وينتفعون بها، فالخطابة فيها كلام كثير، وما كان الناس يحتاجون إلى كثرة كلام لإيصال الحق إليهم.

فالعلم في ذاك الوقت كما قيل: "نقطة كثَّرها الجاهلون" أي: بعد عصر القرون المفضَّلة.

فعلم الصحابة والتابعين ما فيه إلا قال الله، قال رسوله، وكان أهل ذلك الزمان عربًا أقحاحًا يفهمون دلالات الألفاظ، فلما بُعد الناس عن نور النبوة وابتعدوا عن العربية وعلوم الشريعة احتاجوا إلى علوم

الآلة التي تساعدهم على ضبط علوم المقصد، فكثرت الاحتياج إلى ما يعين على ضبط العلم.

واحتاجوا إلى كتب الردود التي ما كانت في زمن الصحابة الكرام، فتشعبت العلوم وزادت كما ذكر ابن القيم رحمه الله: "مقدّرات الأذهان وأغلوّطات المسائل والفروع والأصول التي ما أنزل الله بها من سلطان التي كل ما لها في نمو وزيادة وتوليد".

ثم قال: **وَإِنَّ بَعْدَكُمْ زَمَانًا كَثِيرٌ خُطْبَاؤُهُ**: أي: سيأتي زمان بعد فيه الناس عن العلم.

وآلة الخطابة كما يقال: الكلام والنقل والحكايات والقصص والوعظ والتذكير، وكل هذه تحتاج إلى الرجوع إلى المصادر والتثبت منها، وهذه ما كانت موجودة عند الصحابة والتابعين وما كانوا بحاجة لها. وكثرة الكتب لا تُغني عن المرء شيئاً إذا لم تُدرس على أهل العلم ولم تُفقه وتُفهم وفق فهم السلف.

قال: **وَالْعُلَمَاءُ فِيهِ قَلِيلٌ**: يعني: سيأتي هذا الزمان الذي يقل فيه العلماء، وهذا فيه تنبيه إلى العناية بفقه السلف.

وفيه التنبيه على فضل علم السلف على الخلف، فعلمهم مأخوذ من الشرع من الكتاب والسنة، وعلم الخلف فيه وفيه، ففيهم من هو قريب من المشكاة التي أخذ منها أصحاب القرون المفضلة، وفيهم من وقع في البدع والمحدثات.

وفي هذا الأثر الحث على التلقي عن العلماء، فهم موجودون بعد انقطاع عصر السلف، لأنه قال: **وَالْعُلَمَاءُ فِيهِ قَلِيلٌ**، فهم

موجودون، لكنهم قلة، فلا بد من معرفة أوصافهم.
وفي زماننا حصل خلط عند من لا علم عنده فصار لا يُفرق بين
العلماء وبين من تشبه بهم وليس منهم، كالخطباء والقُصّاص والوعاظ
الذين ليسوا من أهل العلم.
فينبغي معرفة أوصاف العلماء حتى نأخذ ديننا من طريقهم، أو
نأخذه ممن عُرف بسلوك مسلكهم.
والعلماء بحمد الله يُعرفون بتزكية العلماء لهم وبلزومهم لمذهب السلف
وعدم الخروج عن مذهب السلف، ويُعرفون بالعمل بالعلم وبخشية
الله عزّ وجلّ فيما يظهر، ويُعرفون بالسلامة من الفتن بخلاف غيرهم،
فإن الفتن تفضحهم، فلا تأتي فتنة إلا وتظهر العلماء ومن تشبه
بالعلماء وليس منهم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: "لَا بَأْسَ بِالسَّمْرِ فِي الْفَقْهِ".

الشرح:

هذا الأثر الأولي أن يكون بعد أثر ابن شُبرمة الوارد قبل الأثر السابق.

وفيه إباحة السمر لمصلحة، وقد فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض الأحيان لكنه مشروط بعدم تفويت فريضة الفجر.

وقد جاءت آثار كثيرة عن السلف في سهرهم في طلب العلم

منها:

قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها".

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل: "قوله: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها"، أي: علم أراد؟ قال: هو العلم الذي ينتفع به الناس في أمر دينهم.

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لأن أجلس ساعة أفقه ديني أحب إليّ من إحياء ليلة إلى الصباح".

وجاء عن المعافى بن عمران قال: "حديث تكتبه أحب إليّ من قيامك الليل كله".

وقال الشافعي: "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة".

وجاء عن سفيان الثوري أنه قال: "ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية".

فإذا صحت النية وسهرت لهذا المقصد الحسن فهذا عمل جليل.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو، وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، قَالَ: "مَنْ طَلَبَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ يَبْتَغِي بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مَا يَكْفِيهِ".

الشرح:

قال: "مَنْ طَلَبَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ: يعني: من اجتهد في تحصيل شيء من العلم الشرعي وبذل الوسع في ذلك، مثل حضور مجالس العلم، ومذاكرة العلم، وشراء الكتب التي تعين على العلم، والسهر في العلم، وسؤال أهل العلم عما أشكل، والرحلة في طلب العلم، وسماع الدروس والمحاضرات ونحو ذلك فهذا كله داخل في ابتغاء العلم. قال: يَبْتَغِي بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يعني: يطلب وجه الله جَلَّ وَعَلا بطلبه للعلم، فيريد رفع الجهل عن نفسه وعن غيره. قال: آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مَا يَكْفِيهِ: أي: يرزقه الله من العلم ما يحتاج إليه.

وعلى رواية: "به"، يعني: أن الله يكفي طالب العلم ما يحتاج إليه في أمور دنياه بسبب انشغاله بالعلم وإخلاصه لله عَزَّ وَجَلَّ في طلبه، فييسر الله له أسباب المعيشة ويبارك له فيما رزقه.

وليس المراد: أن يترك طالب العلم التكسب لأجل العلم، بل عليه أن يقنع بما يأتيه، الشيء الذي فيه كفاية الحمد لله، فيقنع بما يأتيه من رزق بعد تكسبه لكنه لا يتوسع توسعاً يصرفه عن ما هو خير

وهو العلم وطلب العلم.

فالتقوى من أسباب تيسير الرزق، قال الله جَلَّ وَعَلَا: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا - وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) [الطلاق: ٢-٣]، والتقوى لا يمكن أن تحصل إلا بالعلم، فكيف تتقي وتفعل الأوامر وتجتنب النواهي وأنت لا تعرف مراد الشريعة منك؟ فإذا اتجهت إلى العلم وعملت به فأبشر بفتح أبواب الأرزاق لك، كما دلت عليه هذه الآية.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْمُرَادِيِّ، قَالَ: "لَمَّا حَضَرَ عَبْدَةَ الْمَوْتُ دَعَا بِكُتُبِهِ فَمَحَاهَا".

الشرح:

عبيدة السلماني رَحِمَهُ اللهُ كان ينهى عن الكتابة.
وقد جاء عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَةَ قِطْعَةَ جِلْدٍ أَكْتُبُ فِيهِ، فَقَالَ يَا إِبْرَاهِيمُ «لَا تُخَلِّدَنَّ عَنِّي كِتَابًا» رواه الدارمي في السنن.
فلما حضرته الوفاة وظهرت قرائن تدل على قرب أجله، وهذه القرائن إما مرض لا يُرجى بُرؤُه أو كبر سن ونحو ذلك.
قال: دَعَا بِكُتُبِهِ فَمَحَاهَا: والكتب قد تكون من مؤلفاته، فمحاها لأنها لا زالت مسودة لم تُحرر، فخشى أن يقرأها الناس بعده فيحصل لهم إشكال في بعض المكتوب الذي يرى عدم صلاحيته للنشر ويُحتمل أنه كان ينهى عن الكتابة، خشية الاعتماد على الكتابة وإهمال الحفظ، وهذا من تورعه، وإلا فقد تقدم أن الإجماع استقر على جواز كتابة العلم، وورد الحث عليه في حديث: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ».



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "رَحِمَ اللَّهُ مَنْ سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَرَوَاهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَإِنَّهُ رَبُّ مُحَدِّثٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ".

الشرح:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "رَحِمَ اللَّهُ: هذا دعاء بالرحمة. والرحمة المقصود بها: مغفرة ما مضى من الذنوب والحفظ فيما يُستقبل.

قال: "رَحِمَ اللَّهُ مَنْ سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَرَوَاهُ كَمَا سَمِعَهُ: هذا فيه الحث على تبليغ السنة كما وردت قدر الاستطاعة بألفاظها، أو روايتها بالمعنى بشرط صحته وعدم إحالة معناه مع صحة فهمه للحديث، وهكذا العلم ينبغي أن يُبلغ كما سُمع بقدر الاستطاعة.

قال: فَإِنَّهُ رَبُّ مُحَدِّثٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ: (رَبُّ) للتقليل. رَبُّ مُحَدِّثٍ: شخص سمع الحديث، أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ: أفهم وأضبط لما أقول من سامع مني، فأحياناً تسمع الحديث فتنقله إلى غيرك، فيكون هذا الذي نقلت له الحديث أفهم منك أيها الناقل لهذا الحديث.

وفي الأثر جواز أخذ العلم والحديث عن من أداه كما سمعه، حتى وإن لم يكن فقيهاً بما ينقل مادام أنه ضابط للمنقول.

وفيه: أن المحدث بالعلم قد يفهم ما لم يفهمه المحدث والناقل

للعلم، فالناقل قد يكون عاميًا لا يفهم العلم، بخلاف المحدث فإنه
قد يكون طالب علم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: "الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْحَيْرَ يُعْطَهُ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ".

الشرح:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ: العلم نقيض الجهل، والعلم الشرعي يُحَصَّل بالتعلم، والزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، فالعلم لا ينال براحة الأجساد، وإنما يُنال ببذل الوسع في طلبه، من الدراسة على المشايخ، ومذاكرة العلم، والرحلة في طلبه، والسهر في مذاكرته، وبذل المال في شراء الكتب، وغير ذلك. والعلماء الكبار ما وصلوا إلى هذه المراتب العليا في العلم بالنوم والكسل بل أفنوا أعمارهم في تحصيل العلم وحصلوا العلم، فَالْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ.

والأخلاق تحصل بفعالها لا بسماعها فقط، فلا يكفي أن تسمع فضل الصبر والكرم والشجاعة وغيرها من مكارم الأخلاق ولا تعمل بها.

قال: وَالْحِلْمُ: وهو: ترك العجلة ولزوم الأناة والتثبت في الأمور والصفح وعدم المؤاخذة.

قال: بِالتَّحَلُّمِ: وهو العمل بالحلم وإظهار هذه الصفة، وإن لم تكن فيك فأسعى في اكتسابها.

واكتساب الأخلاق من طريقين:

الطريق الأول: معرفة النصوص الشرعية الواردة في الحث على الخُلُق، وهذا يحتاج منك إلى طلب علم وقراءة لكتب الشمائل، مثل: الشمائل للترمذي، ففيها ذكر شيء من أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأدلة الدالة عليها، وغير ذلك من الكتب.

والثاني: مجالسة أصحاب الأخلاق الحميدة لتكتسب من أخلاقهم. فإذا سلكت هذين الطريقين عرفت أن هذا خُلُق حسن وما عليك إلا العمل.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: " إذا لم تكن حليماً فتعلم، [أي: جاهد نفسك على هذا الخُلُق]، وإذا لم تكن عالماً فتعلم، فقلَّ ما تشبه رجلٌ بقومٍ إلا كان منهم).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: " فَإِنَّ النَّاسَ كَأَسْرَابِ الْقَطَا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض".

فالناس يتأثر بعضهم ببعض، سواء في الأخلاق الحسنة أو السيئة. وأحوج ما يكون إلى التحلي بالحلم طالب العلم؛ لأن طريق العلم والدعوة إلى الله طريق فيه المصاعب فيأتيك من يتعرض لك بالسخرية والاستهزاء والسب والشتم والتحقير وغير ذلك، فتحتاج إلى ضبط نفسك، فإذا انفلت أو تجاوزت حُسبت عليك تصرفاتك، وربما كان عدم تحملك سبباً في صد الناس عن المستقيمين كافة، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبلك.

والحلم يحتاج إليه عند كبر السن، فكبر السن مظنة للأمراض والعجز

فيحصل من المرء سرعة الغضب وعدم تحمل أقرب الأقربين منه، فإذا منَّ الله عليه بالعلم فجاهد نفسه على التحلي بالأخلاق الحسنة. قال: **وَمَنْ يَتَحَرَّرَ الْخَيْرَ يُعْطَهُ**: يعني: من يجتهد في طلب الخير بأنواعه - أي خير مُرغِب في فعله - فإنه يُعطاه ويناله إن شاء الله. **وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ**: من يجتهد في حماية نفسه من الوقوع في الشرور بأنواعها ومن كل مؤذٍ وضار في أمور دينه ودنياه فإنَّ الله سيعينه على عدم الوقوع في هذا الشر. وهذا فيه تنبيه إلى أن المرء سواء كان طالب علم أو غير طالب علم عليه أن يبذل وسعه في تجنب أسباب الفتن والشرور، سواء في أمور دينه أو دنياه.

ومن الأمثلة التي تُبين ذلك: أن بعض الناس يعلم من نفسه الضعف والميل إلى الوقوع في ذنوب الخلوات ويشعر بحرقه ذنبه، وربما يدعو الله كثيراً أن يسلمه الله من الوقوع في الحرام، لكنه لا يبذل السبب في ترك أبواب الشر، فتجده يدعو في سجوده أن يعصمه الله من ذنوب الخلوات، ولا يجاهد نفسه على إغلاق باب الفتن على نفسه، فهذا ضعف في التوكل على الله تعالى.

قال: **وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ**: توقي الشر يكون بعدم الدخول والولوج في أبواب الشرور، فأغلق كل باب بينك وبين الشرِّ ولا تدخل معه ولن تحصل لك الشرور إن شاء الله.

وأعظم المنافذ التي ينبغي أن تعتني بها في جسدك منفذ البصر، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

كل الذنوب مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
 كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر
 فاحفظ بصرك ليُغلق عليك باب الشرور الأخرى، واحفظ كل
 جارحة من جوارحك وأبشر بالسلامة من الفتن.

فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: وأيم الله لقد سمعت رسول
 الله ﷺ يقول: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ
 الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ وَلَمَنْ ابْتَلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهَا» رواه أبو
 داود.

فكرّر النبي ﷺ قول: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ» ثلاث مرات
 تأكيداً على هذا الأمر

فالذي لا يفعل الأسباب سيلج الفتن، وهذه اللفظة عامة فيها الحث
 على التوقي والحذر من كل باب يُدخل منه إلى الشر، باب
 الشهوات وباب الشبهات.

فلا تجالس أهل البدع حتى لا تتأثر بهم، ولا تدخل مواقع الشبهات
 والشهوات حتى لا تتأثر، ولا تجالس رفقاء السوء حتى لا يؤثر
 عليك، ولا تدخل أي باب تعرف أنه يؤدي إلى ضرر عليك في
 دينك ودنياك وأبشر بالسلامة إن شاء الله.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "إِنَّ أَحَدًا لَا يُوَلَّدُ عَالِمًا، وَالْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ".

الشرح:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إِنَّ أَحَدًا لَا يُوَلَّدُ عَالِمًا: وقد دلّ على ذلك قول الله عزّ وجلّ: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) [النحل: ٧٨]، أي: لا تعلمون شيئاً مما أنتم بحاجة إلى معرفته إطلاقاً، (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ)، يعني: آلة السمع وآلة البصر، (وَالْأَفْئِدَةَ)، وهي العقول، والعقل مركزه في القلب على الصحيح، فجعل لكم كل هذه الحواس لتحصيلوا العلم الذي كان مسلوباً منكم عند ولادتكم، (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، يعني: نعم الله عزّ وجلّ التي علمتموها، فتعملوا بموجب ذلك العلم من الشكر للمنعم المتفضل والقيام بحقوقه، وتصرفون كل آلة فيما خلقت له، لا أن تستعملوها في معصية الرب عزّ وجلّ الذي أحسن إليكم، فلا يليق بالإحسان إلا الشكر عليه بإخلاص الطاعات وحسن الاتباع، "إِنَّ أَحَدًا لَا يُوَلَّدُ عَالِمًا".

وكيف يُحصّل العلم؟ قال: وَالْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ: فالعلم يُحصّل ببذل الوسع في تحصيله، فلا سبيل لنيل العلم الشرعي إلا بذلك، فالعلم لا يُنال براحة الأجساد.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ، عَنْ سَهْلٍ الْفَزَارِيِّ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا، وَلَا تَكُونَنَّ الرَّابِعَ فَتَهْلِكَ."

الشرح:

من وصايا ابن مسعود رضي الله عنه، قوله: "اغْدُ عَالِمًا: أي: اذهب في طلب العلم واسع في تحصيله حتى تكون عالماً وتنال الفضل الوارد في العلماء.

أَوْ مُتَعَلِّمًا: يعني: إذا لم تكن عالماً فاحرص أن تكون في عداد المتعلمين الساعين في تحصيل العلم.

أَوْ مُسْتَمِعًا: إذا لم تكن مع المتعلمين ولا تريد حضور مجالس العلم فاحرص على الاستماع للعلم، في المساجد، وغيرها من الآلات الموجودة في زمانك.

قال: وَلَا تَكُونَنَّ الرَّابِعَ: يعني: لست من العلماء ولا من المتعلمين ولا من المستمعين للعلم، فالرابع هو المعرض عن العلم.

فلا تكونَنَّ من هذا الصنف فتهلك، فالإعراض عن العلم سبب للهلكة.

ومن أعظم أسباب تسلط دعاة الفتن على الناس: بعدهم عن العلم وأهله وعن استماع العلم من طرقه المعتبرة، فتسلط دعاة البدع على الجهال المعرضين فنشروا شبهاتهم فصادفوا قلباً خاوياً فتمكنت

هذه الشبهات من قلوب الناس، لأنّ كثيراً من الناس لا يريدون العلم ولا يريدون الفائدة ولا يريدون الاستماع، ولهذا سهل إضلال أهل الأهواء لهم.

وإعراض المرء عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، ناقض من نواقض الإسلام كما قال الله جلّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

أما الإعراض الجزئي مع العمل بأحكام الشريعة على سبيل العموم فهذا نوع ترك لا يخرج من الملة، لكنه سبب في ضعف إيمان العبد، وقد ينال العبد بسبب ذلك نوع عقوبة، ومن ذلك الضيق الذي يجده العبد في قلبه بسبب التقصير في العمل بأحكام الشريعة.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ غِيَاثٍ، عَنْ أَبِي السَّلِيلِ قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ النَّاسَ فَيَكْثُرُ عَلَيْهِ فَيَصْعَدُ فَوْقَ بَيْتٍ فَيُحَدِّثُهُمْ".

الشرح:

قال أبو السَّلِيلِ: "كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ النَّاسَ: يعني: بحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَيَكْثُرُ عَلَيْهِ: يعني: يَكْثُرُ طلاب الحديث عليه، وَيُكْثِرُوا من السؤال وطلب التحديث، فلا يستطيع أن يُسمع آخرهم. قال: فَيَصْعَدُ فَوْقَ بَيْتٍ فَيُحَدِّثُهُمْ": يعني: يصعد حتى يروه، ولهذا كره بعض أهل العلم السماع مما لا يُرى وجهه، أو يصعد لإيصال الصوت إليهم، وهذا هو المتيسر في ذلك الوقت. أما في زماننا فلا حاجة إلى الصعود، فالمكبرات تُغني ويسمع فيها من هو داخل المسجد ولو كثر الجمع.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: "يُرْفَعُ الْعِلْمُ، وَيُظْهَرُ الْجُهْلُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ الْقَتْلُ".

الشرح:

قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم، قال في بيان بعض أشرار الساعة: "يُرْفَعُ الْعِلْمُ".

فمن علامات الساعة أن يُرفع العلم النافع، المقترن بالعمل الصالح، وهذا يكون بقبض أهله وموتهم، ولا يمحوه من الصدور فيتخذ عند ذلك الناس رؤوساً جهالاً يُفتنون بغير علم، فيتمكن الجهل من الناس ويفشوا بينهم، فينتج من ذلك زوال الخشية من القلوب، وإذا زالت الخشية كثرت المعاصي وحصل توابعها وهو الجهل والهرج.

قال: وَيُظْهَرُ الْجُهْلُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ: هذه كلها من توابع رفع العلم. قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟: سألوه لأن الهرج بمعنى الاضطراب، وله معانٍ كثيرة داخلية تحت الاضطراب، فقال: الْقَتْلُ، وهذا ثمرة من ثمرات الاضطراب، والهرج هو القتل بلسان الحبشة، وهذا يحصل بسبب كثرة الفتن.

فهذا الأثر فيه الحث على تعلم العلم قبل قبض أهله، فإنه لا يُرفع إلا بقبض العلماء.



المثنى:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ عَبَادٍ، أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ، عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: "أَفْضَلُ الْعِلْمِ الْوَرَعُ، وَالتَّفَكُّرُ".

الشرح:

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: "أَفْضَلُ الْعِلْمِ: يعني: الذي ينتفع صاحبه به، فيؤدي إلى خشية الله تعالى، ويحمل على الورع والتفكير، هذا هو أفضل العلم الذي يحمل على الورع والتفكير. والورع عرفه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بأنه: (ترك ما يُخشى ضرره في الآخرة)، فيدخل فيه الورع الواجب والمستحب، ومنه الكف عن المحرمات والشبهات، وترك المتشابهات وبعض الصور الحلال مخافة الوقوع في الحرام، يدخل فيه التورع عن الفتيا ونحو ذلك. قال: الْوَرَعُ، وَالتَّفَكُّرُ: وهو التأمل في الآيات الدالة على الله عَزَّ وَجَلَّ وعلى استحقاقه للعبادة.

والآيات الدالة على استحقاق الله تعالى للعبادة على قسمين:

الأول: الآيات الشرعية، وهي نصوص الكتاب والسنة، ويدخل فيها النصوص الدالة على صفة الخلق والمملك والتدبير والغنى والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع والنفع والضرر والخفض والرفع والإعزاز والإذلال والتعالي والعظمة والكبرياء وحياة، ونحو ذلك، ويدخل فيها الثناء على الرب جَلَّ وَعَلَا وغير ذلك.

الثاني: الآيات الكونية، فالتفكير فيها يدل على استحقاق الله جَلَّ

وَعَلَا للعبادة، فالمِحدث الذي هو المخلوق لا بد له من مُحدث، فدل على افتقار المخلوقات إلى خالقها وعدم استقلالها بفعلها. ثم إن اختلاف المخلوقات في أجناسها وأشكالها وألوانها كل ذلك من الآيات الدالة على ربوبية الله عَزَّ وَجَلَّ وعلى استحقاقه للعبادة. فالورع والتفكير ثمرة من ثمرات العمل بالعلم الشرعي. فعلى طالب العلم أن يولي هاتين العبادتين غاية العناية حتى تتحقق له خشية الله عَزَّ وَجَلَّ ومراقبته.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ أَنَسٌ يَقُولُ لِبْنِيهِ: "يَا بَنِي قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ".

الشرح:

هذا الأثر تقدم مرارًا، وهو حديث صحّ مرفوعًا بطرقه.
قال: "يَا بَنِي": هذا فيه العناية بالأقربين من طلبة العلم كـ(بنيه)، وفيه التلطف في مخاطبة الأبناء.

قال: قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ: يعني: حتى لا يُنسى.

العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الوثاقة
فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة
وأنس رضي الله عنه هذه وصية من وصاياه لأبنائه: أن يعتنوا بتقيد العلم، وأنس رضي الله عنه كان كثير الولد.

ففي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «قَالَتْ أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللَّهَ لَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَتْهُ»، فدعوات مباركة، وقد جاء في صحيح مسلم أن أنسًا قال: "فَوَاللَّهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُونَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ الْيَوْمَ".



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا".

الشرح:

قال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ: يعني: لا يقبض العلم بإزالة العلم من قلوب العلماء، ولا يقبضه من محوه من صدورهم.

وكيف يُقبض العلم؟ قال: وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ: يعني: بموتهم، فيضيع العلم، فلا يوجد فيمن يبقى من يخلف من مضى، وكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم، هذا المقصود. أما الرفع الكلي من الصدور والسطور فيكون في آخر الزمان بحيث لا يبقى على ظهر الأرض مسلم.

قال: حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ: يعني: لم يُبقي الله عزَّ وجلَّ عالماً، يعني: إذا مات أهل العلم الحقيقي ووصل أهل الجهل إلى أماكن لا يستحقونها من تدريس وإفتاء ونحوه، وجعل الناس من هؤلاء الجُهلة قدوات يرجعون إليهم في الفتيا والتعليم والاستشارة والتوجيه. قال: اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَالًا: يعني: يسألونهم.

فَسُئِلُوا فَأَقْتَوَا بِغَيْرِ عِلْمٍ: فَيُفْتِي هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةَ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَجَهْلِهِمْ
فِيُحِلُّونَ الْحَرَامَ وَيُحَرِّمُونَ الْحَلَالَ، وَمَا الَّذِي يَحْصُلُ بَعْدَ ذَلِكَ؟
قَالَ: فَضَلُّوا: ضَلُّوا فِي ذَاتِ أَنْفُسِهِمْ عَنِ الْحَقِّ.
وَأَضَلُّوا: مَنْ اتَّبَعَهُمْ وَأَخَذَ بِفِتْوَاهُمْ مِنْ عَامَةِ النَّاسِ.
فَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى شَرَفِ الْعُلَمَاءِ.
وَفِيهِ الْحَرَصُ عَلَى التَّلَقِّيِ عَنْهُمْ قَبْلَ فَقْدِهِمْ.
فَالْعُلَمَاءُ لَا غِنَى لِلنَّاسِ عَنْهُمْ حَتَّى مَعَ وَجُودِ الْكُتُبِ وَالْمُؤَلَّفَاتِ
وَالْمُوسَوَّعَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فَإِنَّهَا لَا تُغْنِي عَنِ الْعُلَمَاءِ، فَالْفَهْمُ أَوَّلَى مِنَ
الْقِرَاءَةِ، فَالْعُلَمَاءُ يَخْتَصِرُونَ لَكَ الطَّرِيقَ وَيُبَيِّنُونَ لَكَ مَعَانِيَ الْكُتُبِ
وَالسَّنَةِ فَيَكُونُ فَهْمُكَ لِلنُّصُوصِ سَلِيمًا، وَقَدْ قِيلَ:
لَا بَدَّ مِنْ شَيْخٍ يَرِيكَ رِسُومَهَا وَإِلَّا فَانْصُرْ الْعِلْمَ عِنْدَكَ ضَائِعٌ



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، أَخْبَرَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَلَكِنْ عُرْوَةُ يُحَدِّثُ، عَنْ حُمْرَانَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا: "فَلَمَّا تَوَضَّأَ عُثْمَانُ، قَالَ: وَاللَّهِ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا، لَوْلَا آيَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا حَدَّثْتُكُمْوهُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلَاةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي يُصَلِّيهَا". قَالَ عُرْوَةُ: الْآيَةُ (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) [البقرة: ١٥٩] .

الشرح:

حمران هو مولى عثمان رضي الله عنه، حَدَّثَ عَنْ عثمان رضي الله عنه قال: "فَلَمَّا تَوَضَّأَ عُثْمَانُ: يعني: فرغ من وضوئه رضي الله عنه. قَالَ: وهذا فيه دليل على ضبط الراوي للمروي، وأن هذا الذي حصل كان بعد فراغ عثمان من الوضوء، فهو دقيق في الرواية. قَالَ: وَاللَّهِ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا: والحلف لتأكيد أمر ما لا مانع منه، لكن هذا خلاف الأصل، فالله جَلَّ وَعَلَا يقول: (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ) [المائدة: ٨٩]، لكن إذا احتاج المرء لتأكيد أمر مهم فله أن يحلف. قال: لَوْلَا آيَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: يعني: آية دالة على تحريم كتمان العلم.

مَا حَدَّثْتُكُمْوهُ: يعني: هذا الحديث، وهذه الآية هي قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)، فهي دالة على تحريم كتمان العلم.

قال: إني سمعتُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يقولُ: "لايتوضأُ رجلٌ: وهذا لا مفهوم له فتشاركه المرأة، فالتعبير بالرجل من باب التغليب.

فِيحَسِّنُ الوُضُوءَ: فيأتي بالوضوء على أكمل الهيئات بواجباته وفرائضه وسننه مع التأدب بآداب الوضوء وشروطه.

قال: ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلَاةَ: المعروفة التي فيها ركوع وسجود. إِلَّا غُفِرَ لَهُ: فالصلوات: مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُمَا إِذَا اجْتَنِبَتِ الْكِبَائِرُ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قال: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر" رواه مسلم.

قَالَ عُرْوَةُ: الْآيَةُ: يعني: التي عناها عثمان رضي الله عنه بقوله: لَوْلَا آيَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا حَدَّثْتُكُمْوهُ: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ)، يعني: على الناس، (مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ)، كآية الرجم ونعت النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم، وهذه الآية في أهل الكتاب وتشمل غيرهم، (مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ)، الذي هو التوراة، (أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ)، أي: يطردهم من رحمته، (وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)،

من الملائكة والجن والإنس ودواب الأرض.
فهذا الأثر فيه تحريم كتمان العلم، إلا إذا رأى العالم المصلحة في
كتمان العلم في بعض المسائل فإنه لا يدخل في هذا الوعيد.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ
الْهَيْثَمِ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ: "أَنَّهُ رَأَى أَنَسًا يَتَّبِعُونَ سَعِيدَ بْنَ
جُبَيْرٍ، فَنَهَاهُمْ وَقَالَ: "إِنَّ صَنِيعَكُمْ هَذَا مَذَلَّةٌ لِلتَّابِعِ، وَفِتْنَةٌ
لِلْمُتَّبِعِ".

الشرح:

عاصم بن ضمرة رأى أناساً يتبعون سعيد بن جبیر، فَنَهَاهُمْ وَقَالَ:
"إِنَّ صَنِيعَكُمْ هَذَا مَذَلَّةٌ لِلتَّابِعِ: الذي يتبع الشيخ.

وطالب العلم عليه أن لا يُذِلَّ نفسه، بل يختار الوقت المناسب
للسؤال، فيترك السؤال في أوقات عدم نشاط أهل العلم، كوقت
خروجهم من الدرس أو إذا رأى عليهم أثر الإجهاد أو الإعياء أو
التعب، فعليه أن يتحين الوقت المناسب للسؤال.

قال: "إِنَّ صَنِيعَكُمْ هَذَا مَذَلَّةٌ لِلتَّابِعِ، وَفِتْنَةٌ لِلْمُتَّبِعِ": فهو فتنة
على الشيخ، وكان من هدي السلف منع تعظيم الرجال لهم بالمشي
خلفهم، خوفاً على أنفسهم من الشهرة والعجب.

وَفِتْنَةٌ لِلْمُتَّبِعِ": لأنه يفرح بكثرة أتباعه فيصاب بمرض الشهرة وما
يتبع ذلك من بلايا.

وتقدم التنبيه إلى أن الكثرة ليست دليلاً على الصلاح، بل العبرة
بالسيرة الحسنة التي يسلكها طالب العلم.

ومشي الطالب وحده خلف أهل العلم إذا كان لمصلحة كسؤال أو

مشورة، لا مانع منه، إلا إذا رأى ما يدل على عدم استعداد الشيخ في بعض الأوقات للسؤال. والمراد في هذا الأثر: التحذير من تجمع الطلاب حول المشايخ لغير حاجة.



المتن:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: "إِنَّا لَا نُحِلُّ أَنْ نُسْأَلَ عَمَّا لَمْ يَكُنْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ".

الشرح:

قال عمر رضي الله عنه: "إِنَّا لَا نُحِلُّ: يعني: لا نسمح ولا نجيز لأحد أن يفعل هذا الأمر. أن نُسْأَلَ عَمَّا لَمْ يَكُنْ: أن نُسْأَلَ عن المسائل المفترضة التي لم تقع. ثم علل سبب تشديده في هذا الأمر فقال: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ": يعني: وسكت عما لم يكن، فلا يتكلف المرء بالسؤال عما لم يقع، أما إذا وقعت نازلة فيُسْأَل عنها العلماء ليبينوا الحكم الشرعي فيها.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَجُلَسَائِهِ".

الشرح:

هنا ليس خاصاً بأبي هريرة رضي الله عنه، بل هذا عام في كل مجلس علم، فالملائكة تصلي على المرء مادام في مصلاه، وطلبة العلم غالب دروسهم تكون في مصلياتهم.

وجاء في الحديث: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جِوَارِهَا وَحَتَّى الْحَوْتِ فِي الْبَحْرِ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ الْخَيْرِ" رواه الترمذي.

وجاء في حديث أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه، ما لم يحدث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة" رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري.

قال ابن الملقن رحمه الله: (والحديث تفسير لقوله تعالى: (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) [غافر: ٧]، يريد المصلين والمنتظرين الصلاة، ويدخل في ذلك من أشبههم في المعنى ممن حبس نفسه على أفعال البر كلها).



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ مَهْدِيٍّ
 بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ غِيلَانَ، قَالَ: "قُلْتُ لِلْحَسَنِ: الرَّجُلُ يُحَدِّثُ
 بِالْحَدِيثِ لَا يَأْلُوا، فَيَكُونُ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ؟ قَالَ: وَمَنْ يُطِيقُ
 ذَلِكَ".

الشرح:

قال أبو غيلان: "قُلْتُ لِلْحَسَنِ: يعني: البصري.
 الرَّجُلُ يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لَا يَأْلُوا: يعني: لا يقصر، فيبذل وسعه في
 الحفظ والضبط للحديث، ومع ذلك يقع في حديث شيء من
 الزيادة والنقصان.
 فَيَكُونُ فِيهِ: أي: الحديث، الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ؟: يعني: أنه لا يأتي
 به على الوجه الذي تلقاه بسبب عدم تقييد مسموعه في الكتاب.
 قَالَ: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ": يعني: من يستطيع أن يأتي بالحديث على
 الوجه الذي سمعه دون زيادة أو نقصان.
 والمراد: أنه يجوز له الرواية بالمعنى، بشرط أن لا يُحِيلَ المعنى، وهذا
 قول الجمهور، وسبق الكلام عن هذه المسألة.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبًا، يَقُولُ: "لَا يَكُونُ الْبَطَالُ مِنَ الْحُكَمَاءِ، وَلَا يَرِثُ الزُّنَاةُ مَلَكَوَتَ السَّمَاءِ".

الشرح:

وهب بن مُنبه رحمه الله ممن عُرف بالأخذ عن كتب بني إسرائيل. قال: "لَا يَكُونُ الْبَطَالُ مِنَ الْحُكَمَاءِ: البَطَال هو: المنشغل باللهو والجهالة والعطالة، أو بشيء لا نفع فيه، ومنه البطالة في العلم، والبطال لا يكون من الحكماء، أي: لا يكون من أهل العلم والإتقان والتجارب وحفظ الوقت والدين، فهذه الأشياء لا يتوصل إليها بالبطالة.

قال: وَلَا يَرِثُ الزُّنَاةُ مَلَكَوَتَ السَّمَاءِ": يعني: لا يفوزون بموعود الله من ملكه الغيبي الذي غيَّبه عنا وهو الجنة، فأهل المنازل العالية في السماء هم أهل العلم لا العُصاة من الزُّنَاة وغيرهم. والزنا كبيرة لا يُذهب بأصل الإيمان، وصاحبه تحت مشيئة الله تعالى يوم القيامة، وإذا وقع فيه المرء فإيمانه ناقص، وهذا هو معنى حديث: «لَا يَزِينِي الزَّانِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

وهذا فيه الحث على أن لا يكون المرء من أهل البطالة والدعة والخمول والكسل إذا أراد أن يكون من أهل العلم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ يَعْنِي ابْنَ مَعْقِلٍ، قَالَ: "قَدِمَ عَكْرَمَةُ، (الْجَنْدَ) فَأَهْدَى لَهُ طَاوُسٌ نَجِيًّا بِسِتِّينَ دِينَارًا، فَقِيلَ لَطَاوُسٍ: مَا يَصْنَعُ هَذَا الْعَبْدُ بِنَجِيبٍ بِسِتِّينَ دِينَارًا؟ قَالَ أَتَرَوْنِي لَا أَشْتَرِي عِلْمَ ابْنِ عَبَّاسٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاوُسٍ بِسِتِّينَ دِينَارًا؟".

الشرح:

قال ابن معقل رحمه الله: قدم عكرمة، مولى ابن عباس رضي الله عنهما: (الْجَنْدَ): وهو موضع باليمن، قيل: إنها الآن قرية صغيرة من أعمال تعز اليمنية في شمالها الشرقي، حوالي عشرة كيلو عنها. قال: فَأَهْدَى لَهُ طَاوُسٌ: وكان ميسور الحال، أهدى إلى عكرمة مولى ابن عباس، نَجِيًّا: من الإبل، والنجيب من الإبل: هو القوي والخفيف والسريع.

وإهداء المرء لأخيه من أسباب حصول المحبة، فأهدى إليه هذا النجيب النفيس، قال: بِسِتِّينَ دِينَارًا: من الذهب، فهو بغير نفيس الثمن، لأن عكرمة كان طالب رحلة في طلب العلم فهو محتاج للنجيب من الإبل في سفره.

والهدايا ينبغي أن تكون مناسبة لحال المهدى إليه، فلا تُهدى قلماً للأعمى، ولا تُهدى سيارة لمن لا يُحسن قيادة السيارة، وهكذا، فانظر في حال الشخص وما الذي يحبه، وما الذي ينفعه فإذا

أهديت إليه هذه الهدية، انتفع بها وكان لها وقع في نفسه.
فهنا رأى أنه صاحب رحلة في طلب الحديث، وصاحب الرحلة
يحتاج إلى كثرة الأسفار فأهداه هذا النجيب النفيس الذي يساوي
ستين دينارًا.

فَقِيلَ لَطَاوُسٍ: مَا يَصْنَعُ هَذَا الْعَبْدُ بِنَجِيبٍ بِسِتِّينَ دِينَارًا؟: يعني:
الذي كان عبدًا لأنه لما أهداه هذه الهدية كان حرًا، فوصفه بالعبودية
باعتبار الأصل، فكأنهم يقولون له: قد بالغت في إكرامه، مع أنه
يكفيه أقل من هذه الهدية.

قَالَ أَتَرَوْنِي لَا أَشْتَرِي عِلْمَ ابْنِ عَبَّاسٍ: يعني: علم عكرمة أخذه من
ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاوُسٍ بِسِتِّينَ
دِينَارًا؟: وعبد الله بن طاوس ابنه.

والمراد: أن أثر هذه الهدية يعود على ولده عبد الله بن طاوس،
فيعلمه عكرمة ما ينفعه، فهو صاحب علم غزير.
ويُحْتَمَلُ أنه علّم ابن طاوس نفسه قبل ولده، فأعطاه هذه الهدية من
باب المكافئة له.

وهذا الأثر فيه عناية السلف بتعليم أبنائهم وبذل المال في ذلك، هذا
إذا قيل أنه لابنه عبد الله، وإذا كان لابنه وله فهذا أيضًا من مكافئة
من أحسن إليك.

وفي هذا الأثر الحرص على تتبع المحتاجين من طلبة العلم وإعطائهم
الهدايا ببذل الصدقات، أو يُهدى لهم الهدايا.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ نُسَيْرٍ يَعْنِي ابْنَ دَعْلُوقٍ قَالَ: "كَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ إِذَا أَتَوْهُ قَالَ: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكُمْ".

الشرح:

الربيع بن خثيم تابعي جليل، وكان فيه من الورع والعبادة والزهد ما هو مضرب المثل في هذا الباب، حتى أنه جاء عنه أنه كان يقول للتابعين أو لبعض التابعين: " لو رأنا أصحاب محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقالوا: هؤلاء لا يؤمنون بيوم الدين".

فكان الربيع بن خثيم إذا كثر الناس حوله وتجمعوا حوله في غير مجلس العلم إذا أتوه قال: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكُمْ": يعني: ألجأ إليه واعتصم به، مِنْ شَرِّكُمْ": نسب الشر إليهم، مع أنهم من أهل الخير وجاءوا لطلب العلم، لكن هذا من باب تورعه، فالصالحون يخشون على أنفسهم من أبواب الشر كالعُجب والشهرة.

والربيع بن خثيم كان من أهل الورع والزهد والعبادة والعلم، وكان يخشى على نفسه من الشهرة وتبعاتها فكان لا يحب أن يتجمع الناس حوله.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ: "أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ بِقَاصٍ فَقَالَ: " أَتَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ".

الشرح:

قوله: (عليه السلام) هذا من عمل النساخ لا من عمل المؤلف.
قال: "أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ بِقَاصٍ: وتقدّم بيان أَنَّ الْقُصَّاصَ جهلة، ويكثر فيهم الكذب والجهل والقول على الله بغير علم، ولهذا سأله هذا السؤال قال: " أَتَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ؟.

النسخ: هو رفع حكم دليل شرعي أو لفظه بخطاب جديد.
وأركان النسخ ثلاثة: الناسخ وهو الشارع، والمنسوخ وهو الحكم المرفوع، والمنسوخ عنه وهو العبد.

والنسخ له شروط لا يجوز للمرء أن ينشغل بتعليم العلم وهو جاهل بها، فلا بد أن يعرف الناسخ من المنسوخ، حتى لا يشرح للناس حكمًا قد نُسخ، فلا بد يعرف شروط الناسخ والمنسوخ ومتي يُصار إليه؟

فسأله هذا السؤال، قال هذا القاص: لَا: يعني: لا يعرف الناسخ من المنسوخ.

قَالَ: هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ": هلكت لأنك دعوت إلى الله بغير علم، وأهلكك غيرك، فقد تُفتي بعض الناس بالمنسوخ فيعملون به.

فمثلاً: العدة كانت في أول الأمر سنة كاملة، كما قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ) [البقرة: ٢٤٠]، ثم نُسخَت بقول الله عزَّ وجلَّ: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) [البقرة: ٢٣٤].

فإذا كان المرء لا يعرف الناسخ والمنسوخ ما عساه أن يقول في معنى هاتين الآيتين؟ فهذا فيه الحث على احترام العلم ومعرفة قدر النفس. والدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ من شرطها العلم الشرعي، فلا يجوز لأحد أن يدعوا إلى الله إلا مع توافر هذا الشرط عنده، وقد قال الله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [يوسف: ١٠٨].



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: أَخْبَرَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ، قَالَ: سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ ثَنَا عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، قَالَ: "أَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ أَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: "مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَحَدٌ تَسْأَلُهُ غَيْرِي؟!".

الشرح:

أبو حُصَيْنٍ وهو عثمان بن عاصم يقول: "أَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ: يعني: النخعي، أَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ: من مسائل العلم الشرعي. فَقَالَ: "مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَحَدٌ تَسْأَلُهُ غَيْرِي؟!": أي: ألا يوجد أحد غيري تطرح عليه هذه المسألة؟! ويحتمل أنه جاءه من بلاد بعيدة فسأله: ألا يوجد أحد قريب من بلادك تسأله؟! وهذا فيه كراهة السلف للفتيا وتورعهم عنها ما لم يُبتلوا بذلك، أو لم يوجد غيرهم. وقد يكون للكلام بهذا الأسلوب مناسبة في ذلك الوقت، فقد يكون الإشكال من قبل الطالب، لعيب فيه، فيستثقل الشيخ الجواب. أما في زماننا فينبغي مراعاة الحال في هذا الأمر، فإن الناس هم في صدود عن العلم وفي بُعد عنه، فكيف إذا سمعوا مثل هذه العبارات التي ظاهرها الجفاء؟ فإن هذا يزيد في صدودهم عن السؤال عما أشكل عليهم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَنَا الْمَسْعُودِيُّ،
عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "إِنِّي لَأَحْسَبُ
الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ كَانَ يَعْلَمُهُ بِالْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا".

الشرح:

هذا الأثر فيه التحذير من معوّق من المعوقات التي تصد عن العلم الشرعي.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إِنِّي لَأَحْسَبُ: يعني: أظن، الرَّجُلَ: الذي ينتسب إلى طلب العلم.

يَنْسَى الْعِلْمَ كَانَ يَعْلَمُهُ بِالْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا": وهذا سبب من الأسباب، فالمعاصي لها أثر فمن شؤم المعصية نسيان العلم، وقد يُنسى العلم بأسباب أخرى غير المعصية، كإهمال المذاكرة وقلة الاجتهاد وعدم المراجعة وعدم اتخاذ الجلساء الذين يذاكر المرء العلم معهم.

ومن المعاصي التي قد يقع فيها من ينتسب إلى العلم: الرياء والكبر والعُجب والحسد وغيرها من أمراض القلوب، فهذه آفات قد تقع من طلاب العلم، فيرجع أثر ذلك على صاحبها إذا ابتلي بها بالبلايا فينسى العلم.

وبعض المنتسبين إلى العلم لم يُبارك في علمهم مع غزارته، بسبب سوء أخلاقهم.

وبعضهم تعلمه لغير وجه الله جلّ وعلا كالمستشرقين.
ومنهم من يقرؤون لمجرد الثقافة، ولا يريد أن ينتفع بالعلم.
وبعضهم ما انتفع بالعلم بسبب عدم تأصيله الشرعي الصحيح،
فتجده يقرأ قراءات عامة ويتصدر ويبحث عن الشهرة ويُفتي بغير
علم.

وكان السلف رَحِمَهُمُ اللهُ يوصون تلامذتهم بالبعد عن المعاصي لأنها
سبب في حرمان العلم، كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي
وقال الإمام مالك للشافعي في أول ما لقيه: "إني أرى الله قد ألقى
على قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية" رواه البيهقي في "مناقب
الشافعي".

فعلى طالب العلم أن يحاسب نفسه خاصة في أوقات خلواتها،
ويستحضر النصوص الواردة في وجوب العمل بالعلم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَلْقَمَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "وَجَدْتُ عَامَّةَ عِلْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، إِنْ كُنْتُ لَأَقِيلُ عِنْدَ بَابِ أَحَدِهِمْ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي عَلَيْهِ لَأُذِنَ وَلَكِنْ أَبْتَغِي بِذَلِكَ طِيبَ نَفْسِهِ".

الشرح:

هذا الأثر فيه بيان أدب من آداب طلب العلم.

فابن عباس رضي الله عنهما قال: "وَجَدْتُ عَامَّةَ عِلْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ: يعني: أن عامة شيوخه كانوا من الأنصار، مع أن المهاجرين كما سبق بيان ذلك في الجملة كانوا أعلم من الأنصار، لكن عامة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعه ابن عباس من آحادهم، أو أنهم كانوا أعلم في جانب من جوانب العلم من المهاجرين فأخذه منهم.

قال: إِنْ كُنْتُ لَأَقِيلُ: يعني: كان ينام القيلولة، القيلولة وقتها قبل الظهر إلى أن ينتصف النهار، تُطلق على الراحة التي تكون في هذا الوقت ولو لم يكن معها نوم.

قال: إِنْ كُنْتُ لَأَقِيلُ عِنْدَ بَابِ أَحَدِهِمْ: لماذا يقيم؟ ينتظره حتى يخرج فيسأله.

قال: وَلَوْ شِئْتُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي عَلَيْهِ لِأُذِنَ: يعني: لو أردت أن أستأذن في الدخول عليه في هذا الوقت لم أُمْنَع، بل سيُسر بذلك بحكم قرابته من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: وَلَكِنْ أَبْتَغِي بِذَلِكَ طِيبَ نَفْسِهِ: فآثر عدم الاستئذان في الدخول عليه، وآثر الصبر حتى يخرج من تلقاء نفسه، وهذا فيه حسن أدب علماء السلف وانتقاؤهم أفضل الأوقات للسؤال.

وفيه أيضاً أن من أسباب تحصيل العلم: بذل كل سبيل لتحصيله، ومن ذلك سؤال أهل العلم، فأساليب طلب العلم متعددة، فعلى طالب العلم أن ينوع هذه الأساليب التي قد كثرت في زماننا. فالسؤال قديماً أسلوب من أساليب طلب العلم، وفي زماننا أساليب لم يعرفها السلف لأنها لم تكون موجودة في زمانهم، منها: الاستفادة من وسائل التواصل بأنواعها، فعلى المرء أن يستغل كل وسيلة لتحصيل العلم.

والغرض من إيراد هذا الأثر هو: الحث على انتقاء أفضل الأوقات للسؤال.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، قَالَ: "كَانَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَابْنُ سِيرِينَ، وَرَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ يُحَدِّثُونَ الْحَدِيثَ عَلَى حُرُوفِهِ وَكَانَ الْحَسَنُ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَالشَّعْبِيُّ يُحَدِّثُونَ بِالْمَعَانِي".

الشرح:

هذا الأثر تقدم بيان معناه.

وقوله: يُحَدِّثُونَ الْحَدِيثَ عَلَى حُرُوفِهِ: يعني: بنصه كما هو، وكان

بعضهم يحدث بالمعنى.

وهذا فيه جواز رواية الحديث بالمعنى وهو قول الجمهور، لكن

بشروطه كما تقدم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، قَالَ: "دَخَلْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا حَمَّادٌ فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ وَمَعَهُ أَطْرَافٌ قَالَ: فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: إِنَّمَا هِيَ أَطْرَافٌ، قَالَ: أَلَمْ أَنَّهُ عَنْ هَذَا؟!".

الشرح:

قال عبد الله بن عون: "دَخَلْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ: يعني: النخعي.

فَدَخَلَ عَلَيْنَا حَمَّادٌ: ابن أبي سليمان.

فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ وَمَعَهُ أَطْرَافٌ: الطرف: هو جانب الشيء.

قَالَ: فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: إِنَّمَا هِيَ أَطْرَافٌ": وكانوا قديماً يكتبون

طرف الحديث حتى يستحضروه، ويحفظوه هم، ولئلا ينسى كان

الطالب يكتب طرف الحديث حتى إذا جلس مع الشيخ تذكر أول

الحديث ليُكمله الشيخ فيتأكد من حفظه وصحة سماعه لهذا المروي.

قَالَ: إِنَّمَا هِيَ أَطْرَافٌ: يعني: الذي معي أطراف المقصود منها:

تذكر الحديث.

قَالَ: أَلَمْ أَنَّهُ عَنْ هَذَا؟!": فنهاه عن ذلك، خشية أن يرجع الناس

إلى ما كتبه بعد موته، فيرون المكتوب عبارة عن أطراف، فهم كانوا

حريصين أن يكتب الحديث كاملاً، لأنه إذا وجدت أطراف الحديث

فقد لا يستفاد منها أو قد تتداخل على القارئ المرويات، فنهاه عن

هذا العمل.



المتن:

قال: عَنْ جَرِيرٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: "لَا بَأْسَ بِكِتَابِ الْأَطْرَافِ".

الشرح:

الأثر السابق فيه النهي عن كتابة الأطراف. وهذا الأثر فيه أنه: "لَا بَأْسَ بِكِتَابِ الْأَطْرَافِ": وهذا لا يُعارض الأثر الذي قبله، فالذي قبله ظاهره المنع من كتابة الأطراف للغرض المتقدم، وأما إذا كتبها لتذكير الشيوخ بطرف الحديث، أو حتى يُحدّث بهذا الحديث ثم يمسحها بعد ذلك فلا تبقى عنده لئلا يُظنّ تمامها وهي ناقصة، فإن هذا لا مانع منه. فالأطراف فيها تفصيل، فإذا كانت تُكتب وتُحفظ فهذا هو الذي جاء فيه تشديد بعض السلف فيه، وما جاء عنهم من الترخيص في ذلك فهو الذي يُكتب لمقصد ثم يُمحى، فلا تعارض بين هذين الأمرين.

ثم بعد ذلك وُجِدَ في زماننا ما يسمى بالفهارس في الرسائل العلمية وفي المؤلفات وفي غيرها فتكتب فيها الأطراف اختصاراً مع الإشارة إلى أرقام صفحاتها، فالفهارس فيها نفع للقارئ وتيسير لوصوله إلى مراده بأسرع وقتٍ.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ، أَخْبَرَنَا عِمْرَانُ، عَنْ أَبِي
مَجْلَزٍ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ هَيْكٍ، قَالَ: "كُنْتُ أَكْتُبُ الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَفَارِقَهُ، أَتَيْتُهُ بِالْكِتَابِ فَقُلْتُ: هَذَا سَمِعْتُهُ
مِنْكَ، قَالَ نَعَمْ".

الشرح:

قال بَشِيرُ بْنُ هَيْكٍ: "كُنْتُ أَكْتُبُ الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَلَمَّا
أَرَدْتُ أَنْ أَفَارِقَهُ، أَتَيْتُهُ بِالْكِتَابِ: أي: الذي كان يدون فيه
الأحاديث.

فقال: هَذَا سَمِعْتُهُ مِنْكَ: يعني: قرأه عليه، قرأ عليه المكتوب حتى
يتحقق من المسموع، فالمعارضة والمقابلة من أسباب زيادة الثبوت في
الرواية.

وتحمّل الحديث يكون من طريقين: طريق السماع، وطريق العرض.
ومن أقوى ما يحصل به الثبوت الجمع بين طريقي السماع والعرض،
فيعرض ما سمعه على الشيخ ليتثبت من صحة المروي.

قال له أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَعَمْ: فأقره على صحة هذه
الكتابة، مع أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان ممن لا يكتب، لكنه لما
سمع هذه المرويات قال له: نَعَمْ يعني: كل ما فيها قد حدثتك به
وأنه كما هو لم يتغيّر فيه شيء



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ، أَخْبَرَنَا أَشْعَثُ عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِنَ الصَّدَقَةِ أَنْ يَعْلَمَ الرَّجُلُ الْعِلْمَ فَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ" قَالَ الْأَشْعَثُ: "أَلَا تَرَى أَنَّهُ بَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْعَمَلِ؟".

الشرح:

هذا الأثر إسناده ضعيف وهو مرسل، ومعناه صحيح.
قال: "مِنَ الصَّدَقَةِ: يعني: من أبواب الصدقة: نشر العلم.
والصدقة كما قيل في تعريفها: عطية تُصرف قربة لوجه الله عَزَّ وَجَلَّ.
وزكاة العلم: نشره وإذاعته.

قال: "مِنَ الصَّدَقَةِ أَنْ يَعْلَمَ الرَّجُلُ الْعِلْمَ فَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ":
فيجمع بين ثلاثة أمور: العلم والعمل والدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.
وهذه الجملة تحتمل احتمالين:

الأول: أن يتعلم المرء العلم الشرعي، ثم يعمل به ويعلمه لغيره، فتعليمه لغيره من الصدقات.

الثاني: أن يُعَلِّمَ الرجل غيره العلم الشرعي، فيستفيد الطالب ويعمل بالعلم الشرعي في خاصّة نفسه ثم يعلمه لغيره، فيعم النفع وينتشر الخير، كل هذا يتحمله هذا الحديث.

قال الأشعث -وهو راوي الحديث عن الحسن البصري-: ألا ترى أنه -يعني: هذا الحديث - بدأ بالعلم قبل العمل؟

وهذا فيه تنبيه على أهمية العلم وأن العمل فرع عن العلم.
ومصداق ذلك في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، قال الله تعالى: (فَأَعْلَمَ أَنَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ) [محمد: ١٩].
قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح: "باب العلم قبل القول"، يعني:
قبل العمل، لأن الاستغفار عمل وقول في وقت واحد.
فهذا فيه عظم نفع التعليم، فمن علم وعمل وَعَلَّمَ فَإِنَّهُ يُدْعَى عَظِيمًا
في ملكوت السماء.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَيُّوبَ،
 قَالَ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ، يَقُولُ: "إِنَّكُمْ تَسْأَلُونَا عَمَّا لَا نَعْلَمُ،
 وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْنَاهُ مَا كَتَمْنَاهُ، وَلَا اسْتَحْلَلْنَا كِتْمَانَهُ".

الشرح:

معنى هذا الأثر تقدم مرارًا.

والقاسم بن محمد كان بمصر، فقال لما أُكْثِرَ عليه من السؤال كما جاء
 في رواية أبي نعيم في الحلية، قال: "إِنَّكُمْ تَسْأَلُونَا عَمَّا لَا نَعْلَمُ، وَاللَّهِ
 لَوْ عَلِمْنَاهُ مَا كَتَمْنَاهُ، وَلَا اسْتَحْلَلْنَا كِتْمَانَهُ".

وهذا فيه أن من أدب العالم ألا يُفْتِيَ إلا بما يعلم، فالعلم لا يُحِيط به
 أحد.

وفيه التنبيه على تحريم كتمان العلم لمن كان عنده علم.
 وفيه تورع السلف لأنه قال: تَسْأَلُونَا عَمَّا لَا نَعْلَمُ: فالذي لا يعلمه
 العالم ليس عيبًا أن يقول فيه: لا أدري، فالإحاطة بالعلم لا تحصل
 لأيٍّ أحد.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: "إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَا يَكْتُمُ وَلَا يَكْتُبُ".

الشرح:

قال أبو كثير السحيمي اليماني الأعمى: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: "إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَا يَكْتُمُ: يعني: لا يكتُم العلم، وسبق ذكر تخوفه من كتمان العلم في آية سورة البقرة إلا لمصلحة.
قال: وَلَا يَكْتُبُ": العلم بل كان يحفظه، فلم يكن يرى الكتابة ولم يكن يمنع منها كما تقدّم، وما كان بحاجة للكتابة ببركة دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، فإنه قد دعا له بالحفظ، فكان لا ينسى العلم بعدّ..



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ أَحْسَبُهُ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
"مَنْهُومانِ لَا يَقْضِي وَاحِدٌ مِنْهُمَا نَهْمَتُهُ، مَنْهُومٌ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ،
لَا يَقْضِي نَهْمَتُهُ، وَمَنْهُومٌ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا لَا يَقْضِي نَهْمَتُهُ".

الشرح:

قول مجاهد: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَحْسَبُهُ: يعني: أظنه.
رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ولا يصح رفعه، لكنه صحَّ
بشواهده موقوفًا من قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما.
قال: "مَنْهُومانِ لَا يَقْضِي وَاحِدٌ مِنْهُمَا نَهْمَتُهُ: النّهمة هي: بلوغ
الهمة والشهوة في الشيء، لا يقضي واحد منهما نهمته ولا تنتهي
فهو حريص على تحصيل غايته غاية الحرص.
مَنْهُومٌ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ: فكلما ازداد علمًا تشوّف إلى الازدياد منه
وعرف مقدار جهله، فطلب الزيادة تحصل منه ليرفع الجهل عن
نفسه ويرفعه عن غيره، ثم كلما ازداد علمًا تعلّق بالعلم الآخر في
شتى العلوم، لأنه يُكَمِّل بعضها بعضًا.
لَا يَقْضِي نَهْمَتُهُ: من العلم حتى يلقي ربه.
ولما سُئِلَ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: إلى متى تطلب العلم؟ قال: من المحبرة
إلى المقبرة، والعلم عبادة، والعبادة تنقطع بالموت، كما قال الله تعالى:
(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [الحجر: ٩٩].

وكان بعضُ الصحابة رضي الله عنهم كما تقدّم يسهرون في طلب العلم، وهذا من نُهمّتهم في الطلب. **مَنْهُومٌ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، لَا يَقْضِي نَهْمَتَهُ، وَمَنْهُومٌ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا لَا يَقْضِي نَهْمَتَهُ:** فهو متعلق بالدنيا، حريص على جمع المال في ليله ونهاره من حِلٍّ أو حرام، لأن همته إشباع شهواته، فلا يشبع من جمع الدنيا.

وقد جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ».

وهذا الأثر فيه أن للعلم لذة لا يعرفها إلا من علم حقيقة العلم الشرعي، فأهل العلم يتلذذون به ولا يستقلون أي سبيل يؤدي إليه من بذل مال أو سفر أو سؤال أو تعب أو سهر أو مذاكرة أو غير ذلك، لأنهم وجدوا هذه اللذة التي لا يعرفها إلا من جربها.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ لَيْثٍ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يُنْتَفَعُ بِهِ، أُجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ".

الشرح:

هذا الأثر صحّ مرفوعاً، قال أبو هريرة رضي الله عنه: "مَنْ كَتَمَ عِلْمًا: والمقصود به: العلم الشرعي، ولهذا قال: يُنْتَفَعُ بِهِ: لأن العلم الذي ينتفع به هو العلم الشرعي.

فمن سئل فكتّم العلم، أو كتّمه ولو لم يُسأل فيُخشى عليه من هذا الوعيد، وهو ما جاء في قوله: أُجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ: فالجزاء من جنس العمل، فتوضع في فمه قطعة من حديد من النار يوم القيامة عقوبة له، لأنه لجم نفسه بالسكوت في محل الكلام، والليجام: هو ما يوضع في فم الفرس لتقاده به.

وهذا فيه الترهيب الشديد من كتمان العلم الواجب.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ لَيْثٍ عَنْ يَحْيَى عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقَّ الْفَقِيهِ الَّذِي لَا يَقْنِطُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا يُرَخِّصُ لِلْمَرْءِ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَلَا يَدْعُ الْقُرْآنَ رَغْبَةً إِلَى غَيْرِهِ، إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا، وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا فِقْهَ فِيهِ، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدَبَّرُ مَعَهَا".

الشرح:

هذا الأثر عن علي رضي الله عنه من جهة إسناده فيه ضعف، ولكن جميع الوصايا وصايا صحيحة من جهة معناها.

قال: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقَّ الْفَقِيهِ: الفقيه هو الذي يستحق هذا اللقب هو الذي يتصف بهذه الصفات:

الَّذِي لَا يَقْنِطُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ: أي: لا يؤسّسهم من الخير، فاليأس من رحمة الله من كبائر الذنوب وهو مُفْضٍ إلى ترك العمل، وهذه الخصلة قد يُبتلى بها حديث العهد بالاستقامة، فيخاف من ذنوبه خوفاً عظيماً حتى يصل إلى ترك العمل قنوطاً من رحمة الله عزَّ وجلَّ، والقنوط يكون بتغليب جانب الخوف على جانب الرجاء، فالفقيه لا يقنط الناس من رحمة الله بل الفقيه يعلم أن الله يقبل توبة التائبين، ويدعوا للعصاة.

ومن أوصاف الفقهاء، قال: وَلَا يُرَخِّصُ لِلْمَرْءِ فِي مَعَاصِي اللَّهِ: أي: لا يجوز لهم فعل المعصية، ولا يهوّن من شأن المعاصي فيركن

الناس إلى جانب الرجاء ويغلبونه ويتركون العمل، فالعبادة لها ثلاثة أركان: المحبة والخوف والرجاء، ولا بدّ من اجتماعها. قال: وَلَا يَدْعُ الْقُرْآنَ رَغْبَةً إِلَىٰ غَيْرِهِ: فلا اجتهد مع النص، ولا تقليد مع علم مخالفة النص.

وبعضهم يُعْظِمُ أقوال الرجال وعلم الكلام ويدع القرآن ولا يعمل به. وتقدّم الكلام عن حكم هجر الشريعة وحكم الجزئي والكليّ منه. قال: إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا: فالعبادة التي تقوم على الجهل لا خير فيها، وهي من التشبّه بالنصارى، فالعمل فرع عن العلم.

وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا فِقْهَ فِيهِ: يعني: لا فقه فيه ولا فهم للنصوص، فجمّع العلم وحده دون فهم معانيه لا نفع فيه، إلا في قراءة القرآن الكريم الذي يُقْرَأُ ليُحْصَلَ به القارئ أجر التلاوة، لكن الانتفاع التام الذي يعود على القلب بالصلاح لا يحصل له.

وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدَبَّرَ مَعَهَا: فقراءة القرآن بدون تدبر هذا من هجر القرآن.

وكذلك قراءة الكتب التي تعين على فهم القرآن بدون فهم لها لا خير فيها، لأنك لن تستفيد منها إلا سوء الفهم لمعاني كلام الله تعالى.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْأَلُوا عَمَّا لَمْ يَكُنْ فَإِنَّ عُمَرَ، كَانَ يَلْعَنُ أَوْ يَسُبُّ مَنْ يَسْأَلُ عَمَّا لَمْ يَكُنْ".

الشرح:

هذا الأثر بهذا الإسناد ضعيف، لكن له شواهد.
 قال: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْأَلُوا عَمَّا لَمْ يَكُنْ:
 يعني: لا تسألوا عن المسائل الافتراضية، لأن هذا من التكلف.
 وقد قال عمر رضي الله عنه كما في البخاري: "هُيْنَا عَنِ التَّكْلُفِ".
 قال: فَإِنَّ عُمَرَ، كَانَ يَلْعَنُ أَوْ يَسُبُّ: شك من الراوي، مَنْ يَسْأَلُ
 عَمَّا لَمْ يَكُنْ": ولا يلزم من هذا أن يدعو عليهم بالطرد من رحمة الله،
 لأن اللعن له معانٍ، فمن معانيه: إطلاق العيب والشتم على
 المخاطب، ولا يلزم منه الدعاء عليه بعدم رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ له.
 فيفعل ذلك لأن من يجيب عن ما لم يقع ضرره متعدي، على السائل
 وعلى غيره، وهذا من إنكاره على هؤلاء.
 وقد يكون اللعن لغير المعين، وقد كان عمر رضي الله عنه شديداً في
 دين الله عَزَّ وَجَلَّ وله دِرة يؤدب بها المخالفين.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: "مِنَ السُّنَّةِ إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْقَوْمَ أَنْ يُقْبَلَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، وَلَا يَخْصُ أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ".

الشرح:

قال حبيب بن أبي ثابت: "مِنَ السُّنَّةِ: يعني: من طريقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي كان يتحرّاهَا، ومن طريقة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن الأخلاق المستحسنة.

إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْقَوْمَ أَنْ يُقْبَلَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، وَلَا يَخْصُ أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ": وهذا الأدب أدب عام في مجالس العلم وغيرها، وهو الإقبال بوجهه عند الحديث على جميع الحاضرين ولا يخصّ واحدًا منهم بوجهه أو قوله.

وفي هذا من الفوائد: حسن الأدب مع الجميع، وإظهار الاهتمام لهم.

وفيه: إغلاق باب التحاسد بين الطلاب بسبب الغيرة التي قد تحصل بينهم، إلا إذا فعل ذلك أحياناً لمقصد شرعي كالتأليف مثلاً، لكن لا يكون هذا منهجه وطريقته.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ أَبِي كِيرَانَ قَالَ: "سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ، قَالَ: "إِذَا سَمِعْتَ شَيْئًا فَاكْتُبْهُ وَلَوْ فِي الْحَائِطِ".

الشرح:

قال الشعبي رحمه الله: "إِذَا سَمِعْتَ شَيْئًا: من العلم يستحق أن يُكتب، قال: فَاكْتُبْهُ وَلَوْ فِي الْحَائِطِ": ولا تُفَرِّط في هذه الفائدة. والمراد: كتابته بما يتيسر في زمانك، فلا يُكْتَبُ في الحائط في زماننا. وقد جاء عن سفيان الثوري رحمه الله: "أنه كان يكتب الحديث بالليل في الحائط، فإذا أصبح نسخه ثم حكه". فيكتب المرء بما يتيسر في زمانه، ثم بعد ذلك ينسخه في أوراقه إن كانت عنده أوراق.

ومن لطائف ما يُروى في الحرص على كتابة العلم: ما جاء عن عبيد بن عبد الواحد بن شريك، قال: "حَضَرْتُ مَجْلِسًا كَثُرَ ازْدِحَامُ النَّاسِ فِيهِ فَأَحْسَسْتُ فِي قَفَايَ بِحِكْمَةٍ وَحَرَكَةٍ فَلَمَّا الانْصَرَفِ إِذَا بِرَجُلٍ يُجْلِسُنِي فَقُلْتُ مَا لَكَ فَقَالَ اجْلِسْ فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ الْمَجْلِسَ فِي قَفَاكَ فَأَنْتَظِرُنِي حَتَّى أَقَابِلَ بِهِ" ذكر هذه القصة السمعاني رحمه الله في أدب الإملاء والاستملاء، ولعل فعل ذلك بسبب ضيق الوقت عليه وخشي من فوات هذا العلم فكتبه بهذه الطريقة التي لا ينبغي أن تكون طريقة لطالب العلم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، ثنا أَبِي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْشٍ، قَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ يَكْتُبُونَ عَلَى أَكْفِهِمْ بِالْقَصَبِ عِنْدَ الْبَرَاءِ".

الشرح:

قال عبد الله بن حنش رحمه الله: "لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ: يعني: طلاب العلم من أهل الحديث، يَكْتُبُونَ عَلَى أَكْفِهِمْ: يعني: يكتبون ما يتلقونه من العلم على أكفهم، بِالْقَصَبِ: يعني: بقلم القصب. عِنْدَ الْبَرَاءِ": يعني: في مجلس البراء.

وسبب كتابتهم في أكفهم: امتلاء ألواحهم، أو عدم وجودها معهم في وقت الفائدة.

في بعض النسخ: "عند البرء"، يعني: عندما يبرونها، فيجربون البري على أكفهم هل هو جيد أم لا؟ وهذا الأثر فيه الحرص على تقييد الفائدة، وعلى الاعتناء بإعداد آلات الكتابة.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ: عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ، مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي عِلْمًا بِدِرْهَمٍ؟".

الشرح:

تقدم أنّ ابن عباس رضي الله عنهما كان لا يرى كتابة العلم، فكيف يقول هنا: "قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ؟" هذا يحتمل احتمالين:

الأول: إما أن يكون هذا آخر الأمرين منه.

والاحتمال الآخر: أنّ هذا الأثر لا يصحُّ.

وسواءً صحَّ هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما أو لم يصح هذا ففيه الحث على كتابة العلم؛ لأنّ الكتابة فيها ضبط للعلم كما سبق بيان ذلك مرارًا.

وقوله: " مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي عِلْمًا بِدِرْهَمٍ؟ ": يعني: يشتري مني صحفًا أو ألواحًا بدرهم حتى يقيد فيها العلم، وهذا فيه ترغيب أصحابه في كتابة العلم، والأخذ عنه.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنِي الْمُنْدَرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ عَنْ عَلْبَاءَ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ، عَلَيْهِ السَّلَام: "مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي عِلْمًا بِدِرْهِمٍ؟" قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ يَقُولُ: يَشْتَرِي صَحِيفَةً بِدِرْهِمٍ، يَكْتُبُ فِيهَا الْعِلْمَ.

الشرح:

هذا الأثر كالذي قبله، "مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي عِلْمًا بِدِرْهِمٍ؟": يعني: يشتري مني صحفًا أو ألواحًا بدرهم حتى يقيد فيها العلم. هذا معناه في أثر ابن عباس: إن صح عنه. قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ يَقُولُ: يَشْتَرِي صَحِيفَةً بِدِرْهِمٍ: يعني: يشتريها ويقيد فيها العلم. يَكْتُبُ فِيهَا الْعِلْمَ: وهذا فيه الحث على شراء الصحف، ومثلها الدفاتر التي يُقيد فيها العلم. وفي زماننا كثرت وسائل حفظ العلم من كتب مطبوعة ودروس مسجلة ومفرّغة، فلا عذر لأحد في التفريط في دراسة العلم وضبطه.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: "قُلْتُ لِعَبِيدَةَ أَكْتُبُ مَا سَمِعْتُ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: إِنْ وَجَدْتُ كِتَابًا أَقْرَأُهُ؟ قَالَ: لَا".

الشرح:

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ: "قُلْتُ لِعَبِيدَةَ: السلماني. أَكْتُبُ مَا سَمِعْتُ؟: يسأله قال: أَكْتُبُ مَا سَمِعْتُ؟ قَالَ: لَا: وهذا فيه استشارة أهل العلم، فهنا استشاره فأشار عليه بعدم الكتابة.

فقال: إِنْ وَجَدْتُ كِتَابًا أَقْرَأُهُ؟: يعني: أقرأه عليك إِنْ لم تُرد أن يُكتب عنك العلم، فهل تأذن لي بقراءة الكتب عليك؟ قَالَ: لَا": ومقصوده حثه على تمرين النفس على حفظ العلم. وقد تقدم استقرار الإجماع على كتابة العلم، فهذا اجتهاد منه، والإجماع منعقد على الحث على كتابة العلم. قوله: إِنْ وَجَدْتُ كِتَابًا أَقْرَأُهُ؟: فيه أَنَّ القراءة على أهل العلم وسيلة من وسائل تحصيل العلم، فلعل مقصوده ما تقدّم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ شَرِيكِ، قَالَ: "سَمِعْتُ شَيْخًا فَحَلَيْتُهُ، فَقَالُوا ذَاكَ أَبُو ضَمْرَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ حَمَادًا يَكْتُبُ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ كِسَاءٌ لَهُ أَنْبَجَانِي وَهُوَ يَقُولُ: "وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ بِهِ دُنْيَا".

الشرح:

قال شريك النخعي رحمه الله لطلابه: "سَمِعْتُ شَيْخًا: يعني: شيخًا يُحدث، لا يعرفه، ولا يدري من هو.
قال: فَحَلَيْتُهُ: وصفته عند قوم بأوصافه، حتى يتعرّف عليه، وبعد ذلك يسمع منه الحديث؛ لأنه كان في مجلس حديث يُحدّث.
قال: فَقَالُوا ذَاكَ: يعني: هذا الذي وصفت، أَبُو ضَمْرَةَ: والصواب أنه أبو صخرة جامع ابن شداد، كما في روايات هذا الأثر الأخرى، وضمرة هنا تصحيف.
قَالَ: يعني: أبو صخرة، رَأَيْتُ حَمَادًا: يعني: ابن أبي سليمان الفقيه، يَكْتُبُ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ: أي: النخعي، عَلَيْهِ كِسَاءٌ لَهُ: لباس له.
أَنْبَجَانِي: هذا نسبة للكساء وهذا الكساء من أرخص ما يُلبس وهو غليظ، وهو من منبج من بلاد الشام وهي في ضمن محافظة حلب.
وَهُوَ يَقُولُ: القائل حماد بن أبي سليمان، "وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ بِهِ دُنْيَا": يعني يقول: ما نريد بلباسنا هذا الدنيا، يعني: لو كنا نريد الدنيا لاعتنينا بلباسنا، وهذا من تواضعه.

ويُحتمل أنه يريد ما نريد بكتابة الحديث الدنيا، ولو أردنا الدنيا للبسنا أحسن الثياب، فأثر تقديم شراء ما تحصل به كتابة العلم على شراء اللباس الغالي، وهذا من زهده.

ولا مانع لطالب العلم أن يتجملّ ويتزين، وهذا جرى عليه عمل جمع من السلف فقد كانوا يلبسون أغلى ما يملكون ويتزينون لمجالس العلم، وطالب العلم ينبغي له أن يحرص على لباسه، وأن يُري الناس أثر نعمة الله عليه إن كان صاحب نعمة، ولكن لعل هذا من تواضع حماد بن سليمان رحمه الله.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ عَطِيَّةَ، عَنْ
ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: "كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا ضَلُّوا بِكُتُبٍ
وَرِثُوهَا".

الشرح:

عن محمد بن سيرين قال: "كَانُوا: يعني: أهل العلم من الصحابة
والتابعين، يَرَوْنَ: يعني: يغلب على ظنهم، أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ: وهو
يعقوب عليه السلام، إِنَّمَا ضَلُّوا: سبب ضلالهم: بِكُتُبٍ وَرِثُوهَا":
يتناقلونها من أحبارهم وعلمائهم وقد دخلها التحريف فجعلوها
عمدة في معرفة دينهم، فكانت سبباً لضلالهم.

وفي هذا الأثر: الحث على عدم العناية بكتب بني إسرائيل؛ لأنه
يكثر فيها التصحيف والتحريف والكذب، وهذا فيه التأكيد على
التلقي والسماع في النقل، فعلى الإنسان أن يتحرى فلا يقرأ أي
كتاب، ولا يسمع لأي أحد حتى يثبت من صحة معتقده وسلامة
توجهه.

وقد جاء عن محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ قَوْلُهُ: "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ
فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ".



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: "كَتَبْتُ عَنْ أَبِي كِتَابًا فَظَهَرَ عَلَيَّ فَأَمَرَ بِمَرْكَنٍ فَقَالَ بِكُتُبِي فِيهَا فَغَسَلَهَا".

الشرح:

قال أبو بُرْدَةَ رحمه الله: "كَتَبْتُ عَنْ أَبِي: ووالده هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، "كِتَابًا: ولعله كان يكتب سرًّا دون علم والده، كان يكتب ما يسمعه من أبيه من الأحاديث والعلم دون أن يعلم والده به.

قال: فَظَهَرَ عَلَيَّ: يعني: ظهر به بعد تخفيه منه ورأى الكتاب بيده، وهذه قرينة تدل على أنه كتب ذلك دون علمه.

فَأَمَرَ بِمَرْكَنٍ: إناء أو وعاء، أي: طلب أن يؤتى بهذا المِركن. فَقَالَ بِكُتُبِي فِيهَا فَغَسَلَهَا": ألقاها في هذا الإناء المملوء بالماء فغسل الصحف ليذهب حبرها وما سَطَّرَ عليها.

وقد فعل ذلك إما من باب التورع فيرى أنه كُفي في العلم فلا يحتاج الناس إلى ما عنده، أو كان يرى أن ابنه غير ضابط للكتابة فخشي أنه قد كتب شيئاً فهمه على غير الفهم الصحيح، أو أراد أن يبينه ابنه أن ينشغل بعلم الكتاب والسنة لا بعلم والده، أو لغير ذلك من الأعذار.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُدَيْرٍ عَنْ أَبِي مَجْلَزٍ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ هَيْكٍ، قَالَ: "كَتَبْتُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ كِتَابًا، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَفَارِقُهُ، قُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنِّي كَتَبْتُ عَنْكَ كِتَابًا فَأَرْوِيهِ عَنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ ارْوِهِ عَنِّي".

الشرح:

تقدم أنّ أبا هريرة رضي الله عنه كان لا يكتب الحديث، وكان يحفظ بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بحفظ العلم، لكنه أجاز لغيره الكتابة، لضبط العلم ونشره.

ولهذا قال بشير بن هيك لما أراد أن يفارقه: إِنِّي كَتَبْتُ عَنْكَ كِتَابًا فَأَرْوِيهِ عَنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ ارْوِهِ عَنِّي: وهذا فيه الاستئذان من الأشياخ في الرواية.

وهكذا ينبغي الاستئذان في تسجيل دروس أهل العلم وفي نشرها، فقد تحتاج إلى مراجعة، فلا ينبغي للطالب الاستعجال في نشرها قبل الاستئذان.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا دَامَ الْعِلْمُ فِي ذَوِي أَسْنَانِكُمْ، فَإِذَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الشَّبَابِ أَنْفَ ذُو السِّنِّ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنَ الشَّبَابِ".

الشرح:

هذه وصية عظيمة من ابن مسعود رضي الله عنه.

قال: "إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ: أي: في دينكم.

مَا دَامَ الْعِلْمُ فِي ذَوِي أَسْنَانِكُمْ: يعني: في الأكابر، الأكابر في العلم، والغالب أن الأكابر في العلم هم أكابر في السن.

والكبار في السن تستفيد منهم من جهة علمهم، ومن جهة تجاربهم في الحياة، فقد زالت عنهم عجلة الشباب، فتستفيد من سماتهم وأدبهم وأخلاقهم.

قال: فَإِذَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الشَّبَابِ: حتى لو كانوا كباراً في العلم وهم شباب، قال: أَنْفَ ذُو السِّنِّ: يعني: امتنع، ذُو السِّنِّ: يعني: أن الكبير قد يأنف من أخذ العلم عن الشباب، لأنه يراهم في سن أولاده، بخلاف الكبار في السن فإنه قد يجالسهم، لأنهم أقران له في سنه وربما هم أكبر منه.

والعاقل ينبغي أن يفعل ما فيه مصلحته ولو كانت عند من هو أصغر منه سنًا، فهذا الفعل من الحياء المذموم، لأنه يترتب عليه

حرمان العلم.

وقال مجاهد رحمه الله: " لا يتعلّم العلم مُستَحْيٍ، ولا مُستَكْبِرٌ".

والإمام مالك رحمه الله جلس للتحديث قبل العشرين.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسمع القرآن من غيره، وقد قال

لأبي بن كعب: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ»،

رواه النسائي وأحمد.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: "مَا سَمِعْتُهُ وَأَنَا شَابٌّ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي قِرْطَاسٍ أَوْ وَرَقَةٍ".

الشرح:

علقمة رحمه الله يُخبر عن نفسه أنه عظيم الحفظ، حفظه قوي، ولعل هذا من التحدث بنعمة الله جَلَّ وَعَلا على العبد، ولكن هذا لا يقال لأي أحد، بل يُتكلم به إذا وجدت حاجة أو مصلحة.

قال: "مَا سَمِعْتُهُ: يعني: وحفظته كما في بعض الروايات، وَأَنَا شَابٌّ: في مقتبل عمره، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي قِرْطَاسٍ أَوْ وَرَقَةٍ: في صحيفة أو ورقة من أجزاء الكتاب، وهذا فيه أن المحفوظ في الصغر أكثر ثباتاً من المحفوظ في الكبر، إذا روجع وتمت مذاكرته فاستحضاره يسير.

وهذا الأثر فيه فضل طلب العلم في زمن الشباب والفراغ وحال اجتماع القلب والبدن، فالإنسان إذا كبرت سنه كثرت مشاغله.

وقد ذكر النووي في مقدمة المجموع أثر سفيان الثوري رحمه الله: "إذا تزوج الفقيه فقد ركب البحر فإن ولد له فقد كسر به".

وفي هذا الحث على طلب العلم قبل الزواج وقبل حصول العوارض.

فعلى الشاب أن يحمد الله تعالى على نعمة الشباب، وأن يستغلها فيما ينفعه في دينه، ومن أعظم ذلك استغلالها في طلب العلم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ عَبْدِ
الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: "الْعِلْمُ ضَالَّةُ
الْمُؤْمِنِ، كُلَّمَا أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا حَوَاهُ، وَابْتَغَى ضَالَّةً أُخْرَى".

الشرح:

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدٍ رحمه الله: "الْعِلْمُ: يعني: العلم الشرعي.
ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ: فهو كالضالة المفقودة، فإذا فقدت شيئًا لك نفيسًا،
فستبحث عنه في كل مكان حتى تجده، فكذلك العلم هو كالضالة،
فابحث عنه حتى تحصله، وطلبه يكون بحضور مجالس العلم وبذل
الوسع في طلب العلم بكل سبيل ممكنة.
قال: كُلَّمَا أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا: كلما حصل علمًا وفرح به، حَوَاهُ:
واعتنى بكتابته وضبطه وحفظه ومذاكرته، وبهذا يحصل الاحتواء للعلم
وعدم ضياعه.

قال: وَابْتَغَى ضَالَّةً أُخْرَى: فطلب الزيادة من العلم الشرعي الذي
لم يكن عنده، والعلم يؤخذ عن أهله شبابًا كانوا أو كبارًا، ولا يؤخذ
عن أهل البدع إلا بقيود وشرائط ثقيلة ذكرها أهل العلم.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ،
 قَالَ: "كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ تُوْطَأَ أَعْقَابُهُمْ".

الشرح:

قال إبراهيم النخعي: "كانوا: يعني: الصحابة والتابعون، يَكْرَهُونَ أَنْ تُوْطَأَ أَعْقَابُهُمْ": يعني: يكرهون المشي خلفهم، بل يمشي السائل إما عن يمين العالم أو عن شماله خوفاً من الشهرة وتوابعها من العُجب والفتنة.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: "كَانُوا يَجْلِسُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ الْعِلْمَ وَالْخَيْرَ، ثُمَّ يَتَفَرَّقُونَ، لَا يَسْتَغْفِرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَلَا يَقُولُ: يَا فَلَانُ ادْعُ لِي".

الشرح:

قال إبراهيم النخعي رحمه الله: "كانوا: يعني: مشايخه الذين كان يدرس عليهم، ومن أدركهم من أهل العلم كانت هذه طريقتهم. يَجْلِسُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ الْعِلْمَ وَالْخَيْرَ: وهي مجالس أهل العلم. ومجالس أهل العلم متنوعة فيُدرسون في وقت ويتدارسون العلم فيما بينهم في وقت آخر، فأهل العلم مجالسهم كلها خير، في نزعتهم وفي ذهابهم وإيابهم وفي مجالسهم الخاصة والعامة وفي المسجد ومجامع الناس، فطالب العلم بحق مبارك أينما حلّ نفع. قال: " ثُمَّ يَتَفَرَّقُونَ: من هذا المجلس إما لصلاة أو لبيوتهم أو لغير ذلك.

لَا يَسْتَغْفِرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ذكر ذلك ولعل هذا الأمر كان يُفعل من بعض أهل زمانه وهو طلب الاستغفار من المشايخ فاستنكره. والمعروف في خاتمة المجالس أن يؤتى بكفارة المجلس وهو قول: "سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك، كما جاء عند أبي داود والنسائي، فيستغفر كل واحد لنفسه، وما كان يقولون للشيخ: ادع الله لي، أو استغفر لي.

وقال: وَلَا يَقُولُ: يَا فُلَانُ ادْعُ لِي: ولا كان بعضهم يقول لبعض ذلك.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: يعني: إبراهيم وهو النخعي رَحِمَهُ اللهُ: أن ذلك لم يكن من عمل الصحابة أن يدعوا بعضهم لبعض بعد الفراغ من الدرس والمذاكرة فهو بدعة.

هذا رأي الشيخ ولعله أخذه من هذا الأثر.

لكن الجزم بالبدعية محل بحث وتأمل، فطلب الدعاء من غيرك، ورد ما يدل عليه، ومنه قول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأويس القرني في الأثر الطويل، قال: "فاستغفر لي، فاستغفر له"، فطلب منه الاستغفار فاستغفر له كما جاء في صحيح مسلم.

وسأل جمع من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الدعاء من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كعكاشة، والمرأة التي تُصرع، ومنه طلب المسافر الدعاء له.

ويُحمل هذا الأثر والله أعلم على الإرشاد إلى أَنَّ التعليم قُرْبَةٌ لا يُرتجى جزاءً ولا شكور من أحد بسبب تعليمه، وعدم طلب ذلك لا شك أنه أولى.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: "كَانُوا يَكْرَهُونَ الْكِتَابَ".

الشرح:

قال إبراهيم النخعي رحمه الله: "كَانُوا: يعني: شيوخه ومن تلقى عنهم، يَكْرَهُونَ الْكِتَابَ"، يعني: كتابة العلم، ومضمون هذا كرهه مرارًا، ولعل ذلك للتأكيد على أهمية العناية بالحفظ والمذاكرة وتقوية الذاكرة، لأن الاعتماد على الكتابة المجردة قد يُضعف العناية بالحفظ.

ويُحتمل أن هذا كان في أول الأمر خشية اختلاطه بالقرآن، وخشية إهمال الحفظ، وتقدم الإجماع على كتابة العلم بعد ذلك.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ،
قَالَ: "لَا بَأْسَ بِكِتَابِ الْأَطْرَافِ".

الشرح:

تقدم الكلام عنه، ولعله أعاده هنا ليبين مذهب إبراهيم النخعي،
وأنه يرى كتابة الأطراف، ولعله محمول على محوها بعد كتابتها.



المتن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى: حَدَّثَنَا ابْنُ
 لَهْيَعَةَ ثَنَا دَرَّاجٌ عَنْ ابْنِ حُجَيْرَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: "سَمِعْتُ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلُ الَّذِي يَعْلَمُ الْعِلْمَ، وَلَا يُحَدِّثُ بِهِ،
 كَمَثَلِ رَجُلٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُنْفِقْ مِنْهُ".

الشرح:

معنى الأثر: أنَّ الذي يرزقه الله العلم ويتقنه ويحصّله ولا ينشره مثله
 مثل الرجل الذي يرزقه الله مالاً ولا ينفق منه.
 فالمال وسيلة للانتفاع به، فإذا لم يستفد منه فما فائدة جمعه؟!
 وكذلك العلم، ما الفائدة من ضبطه ودراسته على أهل العلم ثم تخزينه
 عندك؟! فالعلم يزيد بكثرة الإنفاق منه.
 وهذا الأثر فيه التحذير من كتمان العلم إلا لمصلحة، كما تقدم
 ذلك.



المُتَن:

قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: "اطْلُؤُوا ذَكَرَ الْحَدِيثِ، لَا يُدْرَسَ".

الشرح:

معنى الأثر: أنَّ الذي يرزقه الله العلم ويتقنه ويحصِّله ولا ينشره مثله مثل الرجل الذي يرزقه الله مالاً ولا ينفق منه.

"اطْلُؤُوا: يعني: استمروا في الطلب، ولازموا ذكر الحديث، يعني: ذاكره وكرره وأعيدوا النظر في مراجعته وحفظه ومدارسته.

لَا يُدْرَسَ": يعني: لا يُنسى ويُحى ويلى، فإذا لم يُراجع العلم ويذاكر فإنه يذهب.

فعلى طالب العلم أن يعتني بمذاكرة العلم مع نفسه ومع أقرانه الناصحين الجادين، والصوارف عن العلم كثيرة، فيحتاج طالب العلم إلى مذاكرة العلم بين الفينة والأخرى، وإلى العناية بتدريس العلم، فهذا من أعظم أسباب زيادته.

أسأل الله تعالى أن يهدينا ويسددنا، ويرزقنا الإخلاص في العلم والقول والعمل، إنه سميع مجيب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

